

تاریخ دوّل المُغْرِبِ الْعَرَبِيِّ

ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا

٢٠٠٠

تأليف الأستاذ الدكتور

محمد السيد

أستاذ التاريخ الإسلامي - كلية المعلمين
المدينة المنورة - سابقًا

مؤسسة شباب الجامعة

شارع الدكتور مصطفى شرقه
نيفاكس، ٤٨٣٦٤٧٧، الإسكندرية



تاريخ دول المغرب العربي

(ليبيا . تونس . الجزائر . المغرب . موريتانيا)

تأليف

أ.د. محمود السيد

أستاذ التاريخ الإسلامي (كلية العلوم)
للهبة المchorة (سابقاً)

٢٠٠٠

الناشر

مؤسسة شباب الجامعات
٤٠ ش. الدكتور / مصطفى مشرف
٤٨٢٩٧٤٢ الإسكندرية

sharif mahmoud

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان للناس وهمى وموعظة للمتقين

صدق الله العظيم

(آل عمران آية ١٣٨)

ومن هذه الحقائق التاريخية يتضح حقيقة تسرب الدماء العربية إلى بلاد المغرب قبل ظهور الإسلام بقرن عديدة، ثم أصبحت مهجراً للمجات العربية الصريحة في عهد مبكر من ظروف الفتح الإسلامي حيث سير عمرو بن العاص حملة عربية إلى ليبيا.

ثم سير عبد الله بن سعد في عهد عثمان بن عفان حملة عربية إلى تونس، ثم أخذت الموجات العربية تترى إلى بلاد المغرب في عهد الأمويين حيث أثبتت توطيد السلطان العربي في جميع أنحائها قبل انتهاء القرن الأول الهجري السابعة الميلادي.

ولم تقطع الموجات العربية عن الانسياح في بقية عهد الدولة الأموية، ثم في عهد الدولة العباسية والقاومية حيث ظلت تلاحق وتغزو جنبات بلاد المغرب حتى أصبح طابععروبة بارزاً عليها.

ومما سبق يتضح أن الوحدة الجنسية متوفرة بعمق وفورة في الوطن العربي الكبير منذ أقدم الأزمنة، وقد أصبحتعروبة مطابعه الخالد منذ الفتح الإسلامي، بفضل الإسلام العربي والقرآن العربي.

وترجع أصول سكان أفريقيا عدا من هاجروا إليها من العرب والآسيويين وغيرهم، هم البشمان والزنوج (النجرو) والحاميون الشرقيون والليبيون والساميون. أما أفراد قبائل البشمان فصار القامة لونهم ضاربة إلى السمرة وحرفتهم الصيد كانوا يمكنون المذاق التي على الحدود الشرقية والجنوبية لصحراء القلاهاري منذ حملهم على الذهاب إليها اعتداءات المحتلتين والباحثين. وكانت البشمان قبل هذا تسكن ناحية بحيرة تنجدانيا شماليًا، وإلى جانبهم قبائل المحتلتين رعاة البقر وأفرادها يسكنون

فيما بلاد الكتاب.

ويبدو أن الهاشقون جاءوا ثمرة الاختلاط بين عناصر البشمان والزنوج للحاميين.

أما الزنوج (النجرو) فهم يسكنون المناطق التي بين جنوب الصحراء الكبرى وأعلى النيل إلى الكتاب عدا الحبشة والجاللا والصومال.

أما القبائل المتنقلة فهي ثمرة امتداد النجرو بالليبيين في الشمال والساميين العرب والحاميين على الساحل الشمالي الشرقي والشرق.

على أن الامتداد الذي تم بين الفولا غرب السودان وبين البايجima في فيكتوريا والعناصر الليبية والحامية أوضح من الامتداد الذي تم بين العنصر الزنجي وغيره.

أما الليبيون أو البربر فهم ب羿 البشرة وسكان شمالي الصحراء الكبرى.

أما في الشمال الشرقي فيختلط الحاميون والساميين ذوي البشرة السمراء.

ويبدو أن البشمان والزنوج دون العناصر الثلاثة الحامية والسامية والليبيين هما وحدهما أصلًا سكان أفريقيا.

وقد تناول هذا الكتاب عرضاً لذريعة وجغرافية دول المغرب العربي وهي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريطانيا. تلك الدول التي تكون وحدة جغرافية وعصرية وتاريخية ودينية فطبيعة أرضها واحدة فارتبطت

مصالحها برياط واحد منذ القدم وقربت بينها وحدة الآلام والأمال.

كما تناول هذا الكتاب تاريخ السودان لارتباطه بالدور الذي لعبته القبائل المغربية والمربيبة في دخول الإسلام إلى بلاد السودان ثم انتشاره بين ربوعه خاصة السودان الغربي فلزم الحديث عن السودان باعتباره أمتداداً لحركة الجهاد الإسلامي العربي كما كان امتداده من مصر إلى شمال السودان منذ بداية الفتح الإسلامي وخلال العصر الإسلامي في مصر وخاصة العصر المملوكي.

لقد كانت دول المغرب العربي ووحدة تاريخية واحدة كانت هي الدافع لن تقديم هذا الكتاب الذي تحتاجه المكتبة العربية اليوم .

sharif mahmoud

الباب الأول

نبیا

الفصل الأول

ليبيا من الفتح العربي إلى العهد الموحدى

- * الوصف الجغرافي.
- * السكان.
- * الفتح العربي في ليبيا وتوقيته.
- * المرفق في إفريقيا البيزنطية في ظروف الفتح العربي.
- * عودة العرب لمواصلة الفتح.
- * المذاهب والعقائد.
- * العباسين والأباضية.
- * الأباضية والأغالبة.
- * ليبيا في العهد الفاطمي.
- * الهجرة الهلالية من مصر إلى بلاد المغرب العربي ونتائجها.
- * العرب والمرباطن.
- * العرب والموحدون.

يعد شمال أفريقيا منذ قبر النار تاريخ وحدة تاريخية واحدة، ويمتد من ليبيا شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً.

وقد كان الرومان حين أخضعوا هذه البلاد لحكمهم يقسمونها إلى ثلاثة أقسام هي أفريقيا ونوميديا وموريتانيا.

كما أن العرب رأوا صحة هذا التقسيم الروماني حيث أن لكل قسم منها طابعه المميز جغرافياً فأطلقوا عليها أفريقيا والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وهو يشمل حالياً ليبيا وتونس والجزائر ومراكش أما موريتانيا فكانت تضم في عهد الرومان موريتانيا والمغرب الأقصى معاً.

ونقع موريتانيا في الشمال الغربي من أفريقيا جنوب المغرب الأقصى، وللجزائر التي تقع أقصى شمالها الشرقي من الصحراء الغربية، ويجاورها من الغرب المحيط الأطلسي وفي الجنوب منها دولة مالي، وفي الجنوب منها السنغال.

وأما السودان فهو في جملته سهل أو هضبة فسيحة تعزل عن شمال وادي نهر النيل بصحراء يجري في وسطها النيل.

”وتعد السودان من الشرق المرتفعات التي تمتد بطول ساحل البحر الأحمر إلى الشمال“.

أما من الغرب فيدور النطاق العجذب حول الوادي الذي يجري فيه النهر وروافده.

وفي الجنوب الشرقي يسير خط العدود مع حافة هضبة بحيرة رودلف مجناناً أرامني وعدة ويقطع مستنقعات عالية عند اقترابه من البحيرة

وتركه لها. ثم يتبع خط الحدود مع حافة الهضبة الحبشية ثم الهضبة الأريتيرية إلى البحر الأحمر وتتعدد مع البحر الأحمر شمالا نحو خمسة ميل إلى الحدود الجنوبية لمصر. ويشترك السودان في بداية الحدود السياسية مع مصر شمالاً. ومع أريتريا والعبشة في الشرق وأوغنده والكونغو في الجنوب ومع دول تشاد وليبيا في الغرب.

ليبيا:

يحد ليبيا شمالي البحر الأبيض المتوسط . ومصر والسودان شرقاً، وتونس والجزائر غرباً وتشاد والنيجر جنوباً.

وليبيا هضبة صخرية رملية بها نلال متوسطة الارتفاع ليس بها مجاري مائية، وبها بعض الواحات التي تفصل بينها بقاع واسعة جرداء.

ويقسم سطحها إلى مهول ومرتفعات وهضاب وهي:

السهل الساحلي:

ويمتد على طول الساحل ويختلف عرضه بين ميل وعشرين أميال ويختفي في بعض الجهات فتصل إليه الصحراء مثل إقليم سرت. وقد امتاز ساحل البحر في منطقة طرابلس بين زوارة ومصراته بالازدهار والنشاط البحري للأسطول الليبي طوال العصور القديمة والوسطى.

وفي سهل طرابلس عدد من الواحات، أما في الجنوب في يوجد سهل الجفارة، وهو صالح للزراعة في جهة الشرق أما في جهة الغرب فهي جدباء. ويحيط بالجفارة من الجنوب حافة الهضبة وتعرف بجبل نفروسة، وجبل ترهونة وغالبية القرى كاسية وهي شبه خالية من المواد الصالحة

لظهور النبات.

سهل برقة:

تقع برقة بين صحراء مصر الغربية شرقاً وطرابلس غرباً ويمتد جنوباً حتى السودان وأفريقيا الاستوائية. وأكثر تلك المنطقة صحراء مجدهبة. ويكون الجزء الشمالي منها من سلسلة تلال كلاسية وسهول خصبة، ويتقاض منطقة الجبل الأخضر بجودة أرمنها وطيبة هوانها، وتغذى هذا الجزء مياه الأمطار الموسمية فضلاً عن جداول وعيون متفرجة مما جعلها صالحة للزراعة، فنزرع بها الأشجار المثمرة وكذا الحبوب.

كما يصلح في بعض أراضي برقة مزاولة حرفة الرعي للماشية وهي حرفة يتناولها السكان البرقيون في غالبيتهم.

وتوجد في المناطق الصحراوية في الجنوب بعض الواحات التي يظهر فيها النخيل، ويزرع بها الخضروات.

ومع أن المياه الجوفية في برقة بعيدة عن سطح الأرض إلا أن الأمطار تغوص هذا النقص في مياه الآبار، فضلاً عن انخفاض حرارة الجو لإرتقاء السطح وقربه من البحر.

ويمتد السهل الساحلي لبرقة بحيث يمكن تقسيمه إلى منطقة ضيقه في الوسط من غرب درنة إلى شرق طوكر من ناحية الجبل الأخضر الذي يطل على البحر.

ويضيق الساحل ويتسع قليلاً عند سوسة ثم يتسع عند برقة حتى يصل إلى عشرات الأميال ويمتد حتى يحتدم بالصحراء في الجنوب ويمتد إلى

السودان وأفريقيا الوسطى.

أما في الشرق من درنة وهي مدينة صغيرة في طرف الجبل الأخضر تكتنفها أشجار الدخيل والزهور وحتى الحدود المصرية، فهي أرض شبه صحراوية تصلح للرعي وزراعة الشعير.

وأما برقة البيضاء والمحراء:

فتمتد إلى الجنوب من بني غازى، وتوسطها السلوى وأجدابية وفيها مناطق تصلح للشعير والرعي وأحياناً القمح. وتعتمد برقة على مراجعتها من الأغذام والمراشي ومنتجاتها.

وتسورد برقة المصنوعات المعدنية والأرز والشاي والأقمشة بأنواعها.

درنة:

وهي مدينة (درنيس اليونانية) لجأ إليها عرب الأندلس الفارين من الاضطهاد الدييني أواخر القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى. ودرنة تأتيها المياه من وادي درنة ويوجد بها أشجار الدخيل والنفواكه مثل التين والمؤنر.

والمرج: وهي مدينة (بركة اليونانية) وعرفت باسم برقة ثم أطلق اسمها على الإقليم فهو إقليم برقة وهي ذات طابع معين في الإقليم ويزرع بها أشجار الصابون والسرور.

أما طبرق: وتقع طبرق بين درنة والبردية على شاطئ برقة، وفي الشتاء تسقط الأمطار وتثبت الأعشاب وتكثر الأغذام والأبقار والماعز في

تلك الأراضي التي تعرف بساحل البطنان (جبل عقبة أو مرمريكا) . وهو لا يمتد كثيرا في إتجاه الجنوب ثم تبدو الأرض صحراء فاحلة.

وسومه : وقد قدم إليها مهاجرين من كريت في نهاية القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى .

وأجدابية : وتقع في الجنوب من سومه ، عمرت بالعرب بعد الفتح .

بني غازى (١) : ويمتد السهل من بني غازى إلى طوكره وهي أرض مكشوفة مستوية من الحجر الجيرى والحمصى وتغطى بعض لجزانها صلصالة حمراء تكونت من تفتيت الصخور وتنشر بها بعض البجيرات العذبة ، أما غرب بني غازى فتغلب عليه الطبيعة الرملية .

ويشغل الأهالى في بني غازى بالزراعة البسيطة وبالتجارة فتستورد المصانعات القطبية والجلدية وتصدر لمصر الماشية .

وكانت القوافل التجارية تتجه إلى بني غازى وتتنقل بين المدن البرقية مثل درنة وطبرق في الشمال رواحاتها في الجنوب ، كفره وأوجلة وفزان ، حيث كان لأقليم برقة نشاط تجاري مع السودان منذ العهد اليونانى .

وفي العهد الرومانى في نهاية القرن الأول الميلادى تمت السيطرة على أقليم برقة وطرابلس ، ثم غزا الوندال ليبيا في منتصف القرن الخامس الميلادى وعاثوا في البلاد وأفسدوا حتى ظهرت بيزنطة عليهم وغبلتهم وصارت السيطرة لهم قرب منتصف القرن السادس الميلادى .

بني غازى : سميت بهذا الاسم العربي الحديث ، ويرجع ذلك إلى سبى بني غازى المدفون فيها ، أما أصلها في القديم يوسفides ثم صار يربى في عصر البطالمة ، وقد هجرت تلك المدينة زمانا حتى أعادوها « بناجرون » هرب من توار مزاييس في القرن التاسع الهجرى / الخامن عشر الميلادى .

وتحولت ليبيا في العهد البيزنطي إلى التبعية لمصر، باستثناء إقليم طرابلس الذي أخضعته قرطاج لها، وبقي الأمر كذلك حتى الفتح العربي.

أما السهل الساحلي لخليج سرت فهو سهل متسع تمتد مساحته بمحاذاة الخليج ولكنه خال من النماء.

وأما عن المرتفعات الساحلية في ليببا فتقع على جانبي خليج سرت. ففي الغرب من الخليج توجد المرتفعات الساحلية لطرابلس وتعرف باسم الجبل وهو يحد سهل الجفارة من الجنوب ويمتد من تونس إلى الخمس بالساحل ويعرف باسم جبل نفوسه في الغرب. أما الشرق فهو جبل ترهونة وأما في برقة فتشمل المرتفعات بها الهمبة المعروفة باسم للجبل الأخضر، وهي على شكل هلال وتحاذى الساحل، ويقع وادي درنة بين الجبل الأخضر غربا وهضبة مرمرة (البطنان) في الشرق.

وتقع جنوب الجبل (نفوسه وترهونة) الهمبة الداخلية، وتعرف بإقليم حماده وهو محصور بين الدلال الساحلية ومنخفض فزان، وفي الجلوب الشرقي من إقليم حماده يوجد جبل السودة وهو من صخر جيري ورملي وينتشر هذا الجبل شرقا إلى شعبتين وهما حروج الأسود وحروج الأبيض وإقليم الهمبة الداخلية كثير المنخفضات التي تكثر بها الواحات أهمها أولجه وجالو، وفي منخفض أولجه ومنخفض الكفرة الذي يقع جنوب أولجه مجموعة من الواحات أهمها تازريبو وبريزينا وربيانه.

ومن أكبر إقليم الواحات في ليببا منخفض فزان. ويقع بين الجزائر وتونس غربا وبرقة طرابلس شمالا وبهذا الأقليم بعض الواحات منها سبها ومرزق وغداش وتقع غرب الحدود التونسية الجزائرية وهي محاطة بغابة

كثيفة من التحيل ومحطة للقرافل (طرابلس - تالوت - غدامس).

الشعب الليبي:

السكان: ينكون الشعب الليبي من بدوره لهم أكبر سكان الهمضاب والصحاري مثل لواته في إقليم برقة، ونقوشه في إقليم طرابلس، وحضر يقيمون في المدن وهم البرانس سكان المدن الشمالية مثل هراره ونفزاوة.

ولما قدم الفيليقين واستقروا في ليبيا وشاركهم القرطاجيون، وقدم الليونانيون في برقة، ثم ظهرت الرومان، وبسطوا سلطانهم على كل ليبيا.

كما قدم إلى ليبيا جماعات من اليهود في القرن الثالث قبل الميلاد في عهد القرطاجيين، بعد طردتهم وهدم المعبد اليهودي في القدس الفلسطينية في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي.

كما قدم إليها الوندال في القرن الخامس الميلادي، كذلك فقدت إلى ليبيا رهبان من القبط المصريين لخدمة الكنيسة بها.

أما في إقليم فزان فقد كان الزنوج يقيمون فيه بكثرة للخدمة في الرعي وللزراعة في مختلف العهود السابقة.

فكان شعب ليبيا قد تمثلت فيه لجناس من أنحاء آسيا وأوروبا وأفريقيا. وقد اندمجت تلك العناصر في البربر الذي ظلوا العنصر الرئيسي في البلاد. فلما قدم العرب بعد الفتح شكل كل من العرب والبربر وحدة متماسكة حين اندمج بعضهم ببعض حتى صاروا شعبا واحدا له ملامح واحدة.

الفتح العربي في ليبيا:

فتح العرب مصر لتأمين حدودهم في الشام، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى برقة لتأمين مركزهم في مصر، فبعد أن انتهى عمرو بن العاص من فتح مصر مباشرة اتجه بقواته إلى برقة خشية أن يهاجم الروم مصر من برقة بالمسير إليها وباعتبارها الخطرة الأولى للاستيلاء على أفريقيا وبقية أقاليم المغرب كذلك.

وفي عام ٤٢ هـ / ٦٤٢ م غزا عمرو طرابلس. على أن فتح برقة بعد خاتمة فتح وادي النيل كله.

وقد شغلت قبيلة لوانة الصحراء من أرض مصر إلى برقة وطرابلس.

بعث عمرو بالسرايا للاستطلاع واستكشاف ميدان القتال، والتعرف على المنطقة وأوضاعها، ثم بدأ عمرو في التوجه إلى برقة وحصارها، وتم الاستيلاء عليها فأسلم بعض أهلها. ثم أعاد عمرو تنظيم جيشه فجعله قسمين أحدهما اتجه إلى طرابلس لفتحها بقيادة عمرو والقسم الآخر يقوده عقبة بن نافع اتجه إلى الراحات الجنوبية نهر فزان.

اتجه عمرو إلى طرابلس فوجدها مدينة حصينة محاطة بأسوار عالية، وظل عمرو يحاصر المدينة، حتى واتته الفرصة وتمكن من إقتحامها بجذوره بعد أن استكشف نقط الصنف فيها، وأتم فتحها وفرض عليها الجزية.

ثم بعث بجزء من جيشه إلى صبراته وفاجأ المدينة بقواته فدخلها من أبوابها دون مقاومة، إذ أن علصر المفاجأة قد لعب دوره، وقد بلغت يقظة

ال المسلمين في النهاية فلم يمضعوا الفرصة منهم وقد غفل أهل المدينة عن الاستعداد واليقظة فسقطت مدنهما دون عداء.

كما بعث عمرو برجاله إلى فزان في جنوب طرابلس وإلى ودان وعقد معاهدة مع أهلها من قبائل نفوسه.

ولما أرسل عمرو طلائعه إلى قابس . وهى تابعة لإقليم طرابلس فى ذلك الحين . وأدرك تعذر فتحها قبل أن يتزود بالرجال والعتاد لفترة دفاعها، فبعث إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب السماح له فى مواصلة الفتح ، إلا أنه لم يجد من الخليفة عمر استجابة لرغبتة ، فامضطراً عمرو إلى التوقف عن الفتح ، وانصرف عائداً إلى مصر وقد خلفه فى ليبيا عقبة بن نافع .

وفي عام ٦٤٥ هـ / ١٢٥ م وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان عزل عمرو من منصبه وتولى عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر وأفريقيا.

الموقف فى أفريقيا البيزنطية فى ظروف الفتح العربى .

في بداية القرن السابع الميلادى ، أحسست بيزنطة بالأخطار الخارجية للتحدة بالدولة البيزنطية من جانب أعدائها من الفرس واليهود والصقالبة ، وحاول الأباطرة البيزنطيون تدارك تلك الأخطار الخارجية . إلا أن الأخطار الداخلية أخذت فى الظهور هي الأخرى ولم ينقذ الدولة البيزنطية من هذه الأخطار إلا ظهر الامبراطور هرقل ابن حاكم قرتاجنة الأفريقية البيزنطية واستيلانه على العرش عام ٦١٠ م وظل الامبراطور هرقل يقاوم الأعداء فلما تكاثرت عليه المشاكل وتعذر عليه مواجهتها ، فكر هرقل إزاء كل تلك الكوارث المتلاحمة أن يترك القسطنطينية فعلاً ويعود إلى قرتاجنة عاصمة

الولاية البيزنطية و يجعل منها مركزاً لما ينظمها من مقاومة ضد الأخطار.

وعليه تقدم سرجيوس بطريرك القسطنطينية إلى الامبراطور هرقل وقد له كل مالديه من كلوز ونفاثس ليستعين بها الامبراطور على محاربة أعدائه. وقد تمكن الامبراطور هرقل من التغلب على الصعب الذي واجهه، إلا أن الموقف قد تغير تماماً بعد ظهر الخطر العربي، لقد اندفع المسلمون إلى أراضي الدولة البيزنطية في فلسطين بعد موقعة أجنادين في عام ١٣ هـ / ٦٣٤ م ثم موقعة اليرموك عام ١٥ هـ / ٦٣٦ م فاستولوا على بيت المقدس في عام ١٦ هـ / ٦٣٧ م.

ثم واصل العرب فتوحاتهم بعد ذلك فاستولى عمرو بن العاص على مصر عام ٢٢ هـ / ٦٤٢ م ثم واصل العرب تقدمهم في شمال أفريقيا واستولوا على برقة وطرابلس.

وهناأخذ جريجورس الحاكم البيزنطي في قرطاجة وهو يتتبع أخبار الغزو العربي في بلاده، ويعمل على حماية نفسه من الوقع في أيدي الأعداء فعمل على الانسحاب من مقره في قرطاجة إلى سبطنه الذي أقام حولها تحصينات تحسباً لهجوم وشيك عليها، كما حصن مدينة قابس.

وبعد انسحاب عمرو من ليبيا وعودته إلى مصر مللت برقة على حالها من الاستقرار والتبعية لمصر.

أما طرابلس فقد أعلنت راية العصيان بعد أن وصلتها الإمدادات من بيزنطة.

بعث عبد الله بن أبي سرح إلى الخليفة عثمان بن عفان ليواصل فتح أفريقيا وفقاً لخطة تأمين مصر من الخطر البيزنطي المحتمل. واستجاب الخليفة عثمان وبعث بالامدادات العسكرية التي سارت من المدينة عاصمة الدولة العربية الإسلامية في الحجاز متوجهة إلى مصر.

وفي مصر تولى عبد الله بن أبي سرح قيادة الجيش الذي بلغ تعداده عشرون ألف مقاتل ومن قبط مصر وبرير من أفريقيا، وقد أخذوا طريقهم إلى أفريقيا.

وصل عبد الله بن أبي سرح إلى برقة، وتقابل فيها مع عقبة بن نافع في جماعة من المسلمين وواصل سيره حتى وصل طرابلس وهو يبعث أماته بالسرايا للاستطلاع ورأى أن يصرف اهتمامه عن طرابلس - التي تحصن أهلها خلف الأسوار - كسباً للوقت وفعل ذلك عند قابس. ثم واصل سيره بجنه إلى سبيطلة.

ولما وردت الأنباء إلى الحاكم البيزنطي جريجوريوس في قرطاجة بتحرك جيش المسلمين من مصر متوجهين إلى أفريقيا. أخذ الإجراءات في تحصين مدينة سبيطلة وبعد أن وصل المسلمون إلى قمونيه على بعد أيام من سبيطلة، وبعد فشل المفاوضات بين الجانبين، بدأت المفاوضات العسكرية ولكن دون جدوى.

وجاءت الامدادات بقيادة عبد الله بن الزبير الذي عرض خطة حربية جديدة هي تقسيم الجيش العربي إلى قسمين قسم يقاتل والقسم الآخر يأخذ قسطاً من الراحة فإذا أصابه الإرهاق من القتال. فرجح العدو بالقسم الذي لم يقاتل فلا يقوى العدو على مواصلة القتال ويدهزه ويلتصر المسلمون. وقد

كان وانتصر المسلمين وقتل القائد البيزنطي وفتح المسلمين سبيطه واستولوا عليهما.

ثم واصل المسلمين السير في نواحي أفريقيا ووصلوا إلى قصبه ثم تفاوض الجانبان على أن يدفع القرطاجيون مبلغاً كبيراً من المال مقابل الانسحاب من البلاد وقبل سعد العرض.

ثم رأى عبد الله بن أبي سرح أن يعود أدراجه إلى مصر وذلك لخوفه من استعدادات البيزنطيين في البحر للتدخل الإنقاذ للبلاد خاصة بعد سقوط سبيطه في أيدي العرب. وكذلك خوفه على الأموال والذخائر التي غنمها، فقامت المفارضات مع البيزنطيين وانتهت بالاتفاق على عودة عبد الله بن أبي سرح نظير مبلغ من المال يدفعه البيزنطيون وتأمين عدوه جلده، على أن من أسباب عودة عبد الله بن أبي سرح هو خوفه من أن يقطع العدو خط الرجعة فيفقد جلده وما حصل عليه من الثنايا.

عاد عبد الله إلى مصر وتوقف النشاط العسكري في بلاد المغرب، حيث وقعت أحداث سياسية بال العاصمة الإسلامية المدينة انتهت بالثورة على الخليفة عثمان ومقتله، وتولى الإمام على بن أبي طالب منصب الخلافة. ثم بدأ الصراع المسلح بين على ومعاوية بن أبي سفيان الذي انتهى باستشهاد الإمام على وتولى معاوية بن أبي سفيان خلافة المسلمين.

تولى معاوية الحكم بعد استقرار الأمور وعادت الفتوح إلى سيرتها الأولى، وتولى عمرو بن العاص ولاية مصر لمعاوية للمرة الثانية وبدأت الحملات العربية تخرج من مصر إلى أفريقيا، وهي حملات محددة، فاتجهت إلى الواحات مثل فزان في ليبيا. وفي عام ٤٤٤هـ/١٦٤م توفي

عمرو بن العاص.

وفي عهد معاوية تحولت أفريقيا من تبعيتها لوالى مصر إلى ولاية مستقلة تابعة للخليفة نفسه لأهميتها.

تولى حكم مصر عقبة بن عامر الجهنى . وتولى معاوية بن حدیج قيادة أفريقيا وولايتها ، وفي نفس الوقت الذى كان فيه عقبة بن نافع حاكماً فى ليبيا فى فزان وواحاتها والأحوال مسلفة بها من أيام عمرو بن العاص حتى عام ٦٥٥هـ / ١٢٥م وخاصة فى إقليم برقة حيث استجاب الأهلى وأقبلوا طواعية للدخول فى الدعوة الإسلامية لما عرفوا من سماحة الإسلام .

خرج معاوية بن حدیج الذى ولى رويفع بن ثابت الانصارى على طرابلس فى جماعة من الجنود ، وسار حتى بلغ قمونية التى انتصر فيها المسلمين على البيزنطيين ، ثم هاجروا مديلة حللاه وانتصروا على جندها وغلبوا جميع ما فيها ، ثم أقام معاوية بن حدیج مساكن فيها .

وفي عام ٦٥٠هـ / ١٢٥م ولى معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع على أفريقيا ، فدخلها وهو له سابق خبرة بأرض ليبيا وخاصة إقليم برقة وإقليم فزان وواحاتها المتعددة وكان له بها سياسة حكيمه مساعدت على استقرار الأحوال فيها ، لاتباعه تعاليم الإسلام . فأقبل البربر من أهالى برقة وفزان على الإسلام بعدما لمسوا سماحته ومساواته بين جميع المسلمين من عرب وغيرهم .

بلغ عدد جيش عقبة عشرة آلاف مقاتل وسار فى طريقه مستخدماً

أسلوب السرية في تحركاته حتى يكسب معركته مع العدو بأيسر سبيل .
 وقد تمكن فعلاً من التقدم هلي وصل إلى غدامس في أقصى الغرب
 من قزبان .

ثم اتجه بعد ذلك متقدماً ناحية الغرب إلى منطقة اختارها لتكون مقراً
 للقيادة العربية ومستقراً وأطلق عليها اسم الفيروان . وشرع المسلمين في بناء
 المسجد وبناء المساكن حول المسجد واستمرت حركة البناء في الفيروان التي
 لم تبعد عن الساحل غير ثلثين كيلو متر وهي كافية لأعطاء الأمان
 للمدينة من العدو القادم من البحر ، وهي في نفس الوقت على طرق
 المواصلات الرئيسية بالأقاليم .

وفي عام ٥٥٥هـ / ٦٧٤م عزل عقبة من ملصبه في ولاية أفريقيا ، وكان
 مسلمة بن مخلد قد تولى الإمارة على مصر والمغرب عام ٤٤٧هـ / ٦٦٧م
 ومسلمه هو الذي رشح أبو المهاجر دينار لولاية أفريقيا عام ٥٥٥هـ / ٦٧٤م .

بدأ أبو المهاجر دينار حملته للجهاد يقود حملة كبيرة لرفع راية الإسلام
 ففتحت شريك وهي جزيرة تقع بين سوسة وتونس ثم اتجه إلى تلمسان
 وجاء بقبيلة أوريه من البرانس وزعيمها كسيله الذي وقع في الأسر ثم
 أعلن إسلامه . وقد استخدم أبو المهاجر سياسة المهادنة مع البربر وأحسن
 معاملتهم مما شجع الكثيرين على الدخول في الإسلام . وقد اعتمد أبو
 المهاجر دينار على المرونة السياسية في تعامله مع البربر دون القوة
 العسكرية ، ونجح في سياساته التي أثمرت فانضم البربر وزعيمهم كسيله إلى
 العرب ضد البيزنطية فقوى بهم العرب بعد ما دخلوا في الإسلام ، واندفع
 العرب والبربر إلى تلمسان ففتحوها وبذلك سيطر العرب على المغرب

الأوسط حتى تلمسان.

وفي عام ٦٦٢هـ / ١٢٨١ م عزى أبا المهاجر من ولايته وحل محله عقبة بن نافع في ولاية أفريقيا للمرة الثانية في عهد الخليفة الأموي يزيد الأول.

أنشأ عقبة بن نافع القثروان في فتره ولايته الأولى لأفريقيا وافت القثروان حتى أصبحت قاعدة حربية يتسعون منها جنوب المغرب لاستكمال فتحه. وفي الفتره الثانية من ولاية نافع اطلق متوجهها عبر الطريق الداخلي بعيداً عن الساحل واشتراك مع الروم حتى اضطربهم إلى الفرار وتمكن من فتح حصون باغاية وأذنه قاعدة الزاب وشتم الكثير منها.

ثم اتجه إلى الساحل ليصل إلى بلاد المغرب الأقصى. فأصبح أول من وطأ بقدمه أرضه ثم اتجه إلى طنجة فرحب به بليان حاكم المدينة وقدم فروض الطاعة.

ثم اتجه عقبة بعد ذلك إلى مدينة وليلي ثم إلى درعة والسويس وحارب البرير وهزمهم، ثم واصل مسيرته حتى بلغ المحبيط. ولم تشغله حروبها عن بناء المساجد لكي تكون مركز اشعاع ديني بين الأهالي من البرير وتعليمهم قواعد الدين الجديد.

جعل العرب للمغرب نوعاً من الوحدة السياسية تقدّمها القثروان، تلك القاعدة الإسلامية التي صارت قبله سكان المغرب جميعه يتوجهون إليها طلباً للعلم ومشاركة لها في يسراها ورخائها.

فقد لعبت القثروان دوراً نشاطاً في تاريخ المغرب وتوجيهه فقد كثرت مواردها وتعددت كما كانت لها موانئها المطلة على البحر المتوسط. فقد

كان لها موقعها الجغرافي الممتاز وقربها من طرق المواصلات.

إلا أن حركة عصيyan تزعمها كسيله بن لمزم الأولي ضد المسلمين فتريض بعقبة بن نافع بقصد الاتياع به بسبب سوء معاملة عقبة لكسيله وهو زعيم في قومه فارتد عن الاسلام، وتقابل مع عقبة وهو في جيش كبير وعقبة في كتبية صغيرة ووقع القتال بينهم واستشهد عقبة في مكان يقال له تهوده وأقاموا بها مسجداً ضم رفاته وعرفت المنطقة باسم سيدى عقبة.

وتولى بعد استشهاد عقبة بن نافع زهير بن قيس، وهو من كبار القادة، وحاول دفع المسلمين للاستمرار في المقاومة والهجوم إلا أن الرأى المعارض تغلب في النهاية وأضطر زهير إلى الانسحاب من القิروان عائداً بالجيش إلى برقة ويقى بها انتظاراً للتعليمات.

على أن الأعمال الحربية للمسلمين توقفت مدة خمس سنوات نتيجة لاضطراب الأحوال في المشرق.

وفي خلافة عبد الملك بن مروان صدرت التعليمات من الخليفة عبد الملك إلى زهير بن قيس وهو في برقة لتولي القيادة استعداداً لمواصلة القتال واستعادة القิروان، وبعث الخليفة بالإمدادات الحربية من الخيول والجنود، وجمع زهير المقاتلين الذين معه وأنضم إليهم من جاء من مصر وتجهزوا جميعاً لقتال كسيله ومن معه من الهربر والبيزنطيين، وهذا أسرع كسيله بالخروج من القิروان بعد ما بلغه من أنباء الإمدادات والحفشود الاسلامية في برقة متوجهها إلى مصر وهي على بعد قليل من القิروان وقربها من الجبال فضلاً عن كثرة المياه بها، وجعلوا من الجبال حصناً لهم في حالة

الهزيمة.

خرج المسلمون من برقة بقوائهم واتجهوا إلى القิروان وبقوا بها أياماً للإستعداد للمعركة النادمة، ثم انطلق الجيش يقوده زهير إلى مس مقر كسيله، وبدأت المعركة وأشتد القتال بين الفريقين وسقط كثير من الجانبين ثم انهزم العدو وقتل كسيله. فضجع جلده وفروا من ميدان المعركة. وقد أسرد المسلمون قوتهم وارتفعت معنوياتهم بعد هذه المعركة.

أما برقة فقد أدرك البيزنطيون خلوها من الجنود وأسرعوا بالدخول إليها عن طريق البحر، ولم تستطع المدينة المقاومة مما لحق بها من اعتداء إلا أن كثرة جرع المهاجمين تغلبت على القلة المدافعة وسقط زهير شهيداً في المعركة.

بعد استشهاد زهير كلف الخليفة عبد الملك بن مروان القائد حسان بن النعمان لولاية أفريقيا وقيادة جيوشها ووصل حسان إلى أفريقيا يقود جيشاً قوامه أربعين ألف مقاتل.

وفي عام ٥٧٤/٦٩٣ م وصل حسان إلى القىريوان وبدأ بجمع المعلومات حتى علم أن البيزنطيين قد حشدوا جموعهم في قرطاجة في للطرف الشمالي من (تونس حالياً) وهي عاصمتهم في أفريقيا. فأعاد حسان عدته لقتالهم في مركز تجمعهم وأشتبك معهم في قتال عنيف اضطر كثير منهم إلى الانسحاب من المدينة فراراً إلى البحر.

وتمكن المسلمون من دخول المدينة فاتحين ثم تبعوا من انسحب منهم في نواحي البلاد فاتجهوا إلى بنزرت، وتغلبوا على من بها من المدافعين

من البيزنطيين والبربر.

ويعود فترة هدره واستجمام أعد المسلمين أنفسهم لمراجعة شرسة مع البربر الذين تزعمتهم الكاهنة وهي من قبيلة جراوة من البتر، عرفت هذه المرأة بالبراعة في فنون السحر وبلغت حد الزعامة التي دامت نحو خمسة وثلاثين عاماً في جبل أرواس مقر إقامتها.

النبي المسلمين والبربر تقودهم الكاهنة في وادي مسكيانه وتقابل الفريقيان وتکاثر البربر وتمكنوا من التغلب على المسلمين وهزمتهم وأضطر حسان إلى الانسحاب بجندوه واستمر في الانسحاب حتى مجاهده فقام بها ثم تركها واتجه إلى مكان آخر يتحصن به، ثم تقابل الفريقيان مرة أخرى في مسكيانه واقتلاوا جميعاً فانهزم المسلمون وأسرعوا إلى الانسحاب بعد أن تكبدت الكاهنة من أسر جماعة من المسلمين.

عمدت الكاهنة إلى خطة جديدة لها بقصد إضعاف المسلمين وإرغامهم على الانسحاب من جميع البلاد، فقامت بحركة تخريب للمزروعات وخلع الأشجار وهدم الحصون.

لأن الكاهنة لم تصل إلى ما هدفت إليه بفعلها السلبي في الهدم والتخريب إذ أن ذلك أصاب الأهالي بالفزع واضطروا إلى اللجوء إلى المسلمين يستجدون بهم لما وقع عليهم من أضرار بالغة وقد استفاد المسلمون من تحول موقف سكان تلك البلاد من صرف الكاهنة إلى صفوف الفاتحين.

وببدأ حسان يعمل على الاستعانة بأهل البلاد وأنجحه بعد ذلك إلى قابس

وعين عليها واليا يتبعه ورحب به أهلها.

ثم اتجه إلى فقصة واستولى عليها وعلى قسطنطيله ونقراؤه ووردت الأ מדادات من مصر بعد تلك المعارك وجمع حسان جنوده واتجه إلى لقاء الكاهنة مرة أخرى ووَقَعَت معارك ضارية انتهت بمقتل الكاهنة عند بدر عرف باسم الكاهنة بعدها.

مكنت هذه المعركة التي انتهت بمقتل الكاهنة المسلمين من القضاء على مقاومة البربر في أفريقيا جميعها كما قضت على مقاومة البيزنطيين من قبل، واستقامت لحسان البلاد.

ثم بدأ حسان حركة تعمير فأسس مدينة تونس على بعد اثنى عشر كيلو متراً من قرمطاجة، وبنى دار صناعة لانشاء الأسطول المغربي وأتى بالعمال من مصر بأهلهم لتنفيذ خطته العسكرية ونظم إدارة الحكم.

على أن حسان بن النعمان لم يتمتع بلمرة هذا النصر فسرعان ما هُدِّد عليه عبد العزيز بن مروان والي مصر وأُسند إلى موسى بن نصیر عام ٥٨٥هـ / ١٢٠٤م ولاية أفريقيا بدلًا منه.

قدم موسى بن نصیر إلى أفريقيا ونزل بالقيروان وكله عزم وإصرار ليحيط سلطان المسلمين على أفريقيا كلها، وبعد أن نشر جنوده للحراسة في القيروان وتواجدها عمد إلى القلاع والمحصون لفتحها وبدأ بقلعة زغوان على مسيرة يوم من القيروان ففتحها، ثم هدأ لفتح المغاربة الأوسط والأقصى.

وأنم فتح المغرب الأوسط ثم اتجه بجنوده إلى المغرب الأقصى فوصل طلحة رولي عليها طارق بن زياد ثم اتجه إلى السوس الأدنى والبربر

يفرُّون هرِيَا منه ثم أسرعوا إلَيْه بطلُّبِنْ منه الأمان وقدموا له الطاعة.

وأستمر موسى قى تقدمه فى بلاد المغرب الأقصى وأخضع هوارة وزنانه وصنهاجه وكناه ونشر الإسلام بينهم وأقبلوا على الدين الجديد بحماس بالغ وانشر الأمان فى جميع الأنحاء.

لقد تمكن موسى بن نصیر من فتريـب الإسلام إلى البرير وحبـبـهم فيه فجـعـ المـسـلـمـونـ فيـ بـسـطـ تـفـوزـهـ عـلـىـ كـلـ الـمـغـرـبـ الـأـقـصـىـ .

ثم اتجه موسى بن نصیر بعد ذلك إلى تقسيـمـ المـغـرـبـ لـخـمـسـ وـلـاـيـاتـ هـىـ بـرـقـةـ وـأـفـرـيقـيـاـ وـشـمـلـ (ـتـونـسـ وـطـارـابـلسـ)ـ وـالـمـغـرـبـ الـأـوـسـطـ وـالـمـغـرـبـ الـأـقـصـىـ وـالـسـوـنـ (ـسـجـلـامـاسـ)ـ وـاستـقـلتـ كـلـ مـنـ لـاـيـةـ بـرـقـةـ وـطـارـابـلسـ فـىـ شـرـئـهـماـ الدـاخـلـيـةـ فـعـلـ ذـكـلـ عـلـىـ تـشـرـبـ الـأـفـارـقـةـ لـتـعـالـيمـ إـلـاسـلـامـ وـدـخـلـ فـىـ قـلـوـبـهـمـ فـأـخـلـصـوـنـاهـ لـهـذـاـ دـيـنـ الـجـدـيدـ .ـ ثـمـ اـسـكـنـلـ هـذـاـ دـوـرـ الـخـلـيـفـةـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ فـبـعـثـ بـكـيـارـ الـعـلـمـاءـ إـلـىـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ فـتـحـوـلـ الـمـغـرـبـ إـلـىـ دـارـ إـلـاسـلـامـ فـىـ جـمـيعـ أـرـجـانـهـ .ـ وـأـسـمـرـتـ أـحـواـلـ الـمـغـرـبـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـدـارـ مـاـدـامـ الـحـكـامـ الـعـرـبـ يـسـيـرـونـ عـلـىـ نـهـجـ إـلـاسـلـامـ فـىـ الـمـساـوـةـ بـيـنـ الـعـرـبـ وـالـبـرـirـ .ـ دـوـنـ تـفـرـقـةـ فـىـ الـمـعـاـلـةـ بـيـنـهـمـ .ـ

فـلـمـ تـبـدـلـ سـيـاسـةـ الـوـلاـةـ مـنـ التـقـيـضـ إـلـىـ التـقـيـضـ وـفـرـقـواـ بـيـنـ الـعـرـبـ وـالـبـرـirـ فـىـ الـمـعـاـلـاتـ قـامـتـ الـلـرـرـاتـ وـخـرـجـ الـبـrـirـ عـنـ طـاعـةـ الـعـرـبـ .ـ

وـمـذـ لـاـيـةـ عـبـيـدـ اللـهـ بـنـ الـحـبـحـابـ لـلـمـغـرـبـ فـىـ عـهـدـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ (ـ١٢٥ـهـ /ـ٧٣٤ـمـ)ـ وـنـذـلـوـاـ بـالـقـيـرـوانـ عـاـمـ ١١٦ـهـ /ـ٧٣٤ـمـ وـجـهـ الـحـمـلـاتـ الـحـرـيـةـ لـتـأـمـيـنـ الـبـلـادـ فـىـ جـمـيعـ الـأـنـحـاءـ .ـ إـلـاـ أـنـهـ سـارـ عـلـىـ

سياسة مخالفة لما سار عليها الولاية الأتية، ففرق في المعاملة بين العرب والبربر فكان لسياسته هذه أسوأ الأثر في نفوس البربر فقامت الثورات وناهض البربر العرب وتتحولت المعارضة للعرب إلى نزاع مسلح مما ترتب عليه انقسام المغرب الأقصى عن الخلافة في دمشق الأمر الذي ترتب عليه ظهور المذاهب الدينية التي فرقت ليس بين العرب والبربر فحسب وإنما بين العرب أنفسهم.

المذاهب والعقائد:

لقد تذمر البربر من أن العمال العرب صاروا يعاملونهم معاملة الخدم الذين يلزمهم أداء الجزية مع أنهم مسلمون صادقون في إسلامهم ويشتركون في الجهاد متخصصين لذلك تغيرت نفوس البربر وصارت تربة خصبة لدعوة الخوارج الذين جاءوا من المشرق ليذروا بذور مبادئ الخوارج بين البربر.

لقد لجأ البربر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يسألوه أن يرفع عنهم ما يشكرون منه، ولكن لم يوذن لهم في الدخول عليه، فرجعوا وهم يشعرون بخيبة الأمل وهنا أدرك البربر أن الخوارج على حق فيما يقولونه من أن ظلم العمال لهم إنما هو بأمر الخليفة نفسه، وأن الخليفة بسبب جشعه للحصول على الأموال هو الذي يكرههم على أن يمتتصوا بهم الرعايا.

ولهذا ثار البربر ثورة مريعة بقيادة أحد الخوارج امتدت من مراكش إلى القبائل. وتبين أن أمراء أفريقيا غير قادرين على أن يغطوا إزاء هذه اللثرة شيئاً.

وفي عام ١٣٢ھ / ٧٤١م ظهرت في ميدان القتال بالغرب الأقصى

جحافل خيل الشام وكان على رأسهم كلثوم بن عياض عامل دمشق . ولكن على الرغم من قوة شكيمة لهم في القتال هزموا أمام فرسان البربر الذين كانوا أشبه بالمرأة وقتل كلثوم في معركة كبيرة عند نهر نوام .

لقد استطاع البربر باسم الاسلام أن يضربوا العرب في المغرب أشد ضرراً وإن كان العرب قد أحرزوا نصراً في السنة النبوية واستطاعوا بفضلهم أن يستولوا على القبائل وأن يثبتوا أقدامهم فيها .

الخوارج والبربر:

الخوارج جماعة ظهرت بظهور الخلافات التي قامت بين الخليفة على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . خرج جماعة من جنود على بلغ عددهم ألفاً وعشرين ألفاً وعسكروا في حرورة فسموا الخوارج أو الحرورية وجعلوا شعارهم «لا حكم إلا لله ، ونادوا بالمساواة بين الناس ، فقرى أمرهم وأشند .

استشهد على بن أبي طالب بيد خارجي عام ٤٠ هـ / ٦٦٠ م وقامت الدولة الاموية ، واعتلاء معاوية كرسي الخليفة فاعتبرض الخوارج حيث رفضوا خطته السياسية المغایرة لسياسة الخلفاء الراشدين من قبل .

قام الصراع بين الأمويين والخوارج وانضم الخوارج إلى معارضي معاوية ، ووقفوا مع ابن الزبير ضد الأمويين ثم اختلفوا مع ابن الزبير وانفصلا عنه واتجهوا إلى البصرة وكان منهم عبد الله بن أبياض ، ونافع بن الأرق ، وعبد الله بن صفار .

ولما قصنت الدولة الاموية على الحركة الزبيرية اتجهوا للخوارج

وتمكروا من القضاء عليهم إلا أنهم اتخذوا من جنوب شبه الجزيرة العربية مقر لنشاطهم المذهبى وازداد نشاط الخارج فى أرجاء الدولة الإسلامية.

قامت الثورة فى المغرب الأقصى عام ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م كما قامت الأباصرية التى انتشرت فى إقليم طرابلس وجبل نفوسة وتعقبهم عبد الرحمن بن حبيب منذ عام ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م حتى علم أن رئيسمهم فى طرابلس عبد الله بن مسعود التجبيى فبعث إليه أخاه إدريس فقطنه فبایع الأباصريون الإمام للحارث بن تليد الحضرمى عام ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م وقربت الأباصرية حتى صار إقليم طرابلس وامتداد إلى قابس فى تونس تابعا للأباصرية، ثم اغتيل الحارث ومعهه عبد الجبار فى عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ثم ثقل الأموريون على الأباصرية.

ومع تطور الأحداث بالشرق وقيام صراع دمرى بين الأموريين والعباسيين أنهى باستشهاد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية، وعلى فناصص الأموريين قامت الدولة العباسية فى عام ١٣٢ هـ / ٧٥١ م.

العباسيون والأباصرية:

اخلف حبيب بن عبد الرحمن الوالى للدولة العباسية على أفريقيا مع قبيلة ورنجومه وتولى عبد الملك بن أبي الجعد بعد مقتل عاصم بن جميل زعيم ورنجومه. واستخدام ابن أبي الجعد القسوة فى معاملة سكان القبروان وخاصة العرب وأباح لجنوده الاعتداء على الأموال والمقدسات الإسلامية.

وفى ظل تلك الظروف الموالية للأباصرية اتفق الأباصرية من عرب وبربر فى منطقة طرابلس وجبل نفوسة أن يعملوا على إقامة إمارة مستقلة

لهم يلظمون فيها شرورهم بما يتفق مع تعاليمهم ومبادئهم وأخذاروا لهم إماماً اشترطوا عليه أن يسير على نهجهم، وسار الأباضية بعيداً عن الأصولاء وفي سرية ثامة حتى ظهور أبي الخطاب عبد الأعلى المعاافري وأرادوا الظهور بالدعوة إلى العلانية.

وفي عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م لجأوا إلى أبي الخطاب عبد الأعلى السمح المعاافري وهو من قادة العرب وأبااضي المذهب ليقدّم مما حل بالقيروان.

أسرع أبو الخطاب باندعاوة بين العرب والبربر أتباعه إلى الدفاع للنصرة الإسلام ومحاربة ورجومه الظالمة المناهضة للإسلام فاجتمع حوله جموع القبائل وهاره وهي من أكبر القبائل البربرية ثم انتطبق إلى القيروان، ودارت رحى القتال بين الأبااضية وبين أبي الجعد وانضم أهل القيروان إلى الأبااضية بسبب مالاشرفة من فهر ورجومة وانتهت المعركة بانتصار أبي الخطاب وقتل عبد الملك بن أبي الجعد واستولى عبد الأعلى الأبااضي على القيروان.

بدأت المعركة الأبااضية السرية بقودها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهو الذي عمل على تشكيل جماعة سرية تعمل على نشر مذهب الأبااضية، وخصص مدارس لتخرج الدعاة وأطلق عليها حملة العلم، وبهذا انشرت الأبااضية، في أنحاء العالم الإسلامي حتى وصلوا إلى المغرب.

وفي المغرب دعا سلمة بن معد الحضرمي إلى المذهب الأبااضي وعمل على تشجيع أتباعه بالرحيل إلى الشرق العربي للتفقه في أصول الدعوة وتعلمتها من شيخ الأبااضية وإمامهم في البصرة وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمه التميمي.

ومن يرث من طلاب الدعوة الأياضية عبد الرحمن بن رستم من القبروان.

وقد تمكن العباسيون من محاربة الدعوة الأياضية، وقتل أبي الخطاب المعاافري في عام ١٤٤هـ/٧٦١م في معركة تاورغا من أرض سرت بطرابلس.

تولى عبد الرحمن بن رستم ولاية القبروان بتكليف من أبي الخطاب الذي غادرها إلى طرابلس - واستطاع عبد الرحمن بن رستم أن يضم كثيراً من الأتباع وتحالف مع القبائل البربرية وتحالف مع قبيلة لامية من البتر.

ولما حارب العباسيون الأياضية في طرابلس وتغلبوا عليهم وبلغ عبد الرحمن بن رستم مقتل أبي الخطاب في معركة مع العباسيين وكان متوجهًا إليه في طرابلس غير إتجاهه وسارع إلى تاهرت بالغرب الأوسط حيث أسس الدولة الرستمية هو وأولاده واستمرت نحو مائة وخمسين عاماً.

ويرجع ذلك إلى أن الأياضية رأوا أن تكون لهم دولة تحميهم وتدور عليهم.

انشق الأياضية ومنهم قبائل لامية وهواره وزواخة ومطمطة وزنانة ومكلاسه على أن يجعلوا عبد الرحمن بن رستم إماماً لهم، واجتمعوا على إقامة مدينة تاهرت وشرعوا في بناء المدينة عند سفح جبل جزول، حيث المكان شديد الحصانة وحاول العباسيون اللحاق بعد عبد الرحمن بن رستم إلا أنهم فشلوا في خطتهم.

وقع الاختيار لبناء مدينة تاهرت غربى الجزائر قريبا من مدبلة تاهرت التى عاصرت الدول السابقة من الرومان والبيزنطيين، وهى منطقة غابات صالحة للزراعة ولكنها تسكلها الروحش، إلا أن ذلك لم يثنهم عن الاستقرار والعيش بها خاصة وأن المياه تجري فيها بصفة دائمة من نهرين الأول يسمى نهر ميله والأخر يأتى بالمياه من عيون تائنس.

لم تكن هذه الأرض خالية من السكان فقد سكناها جماعة من مرداسة وصلهاجـه البربرية، وقد تعايشوا مع الأماضية فى وقـام، ولم تنسـانـسـ الروحـشـ تلكـ المـنـطـقـةـ بعدـ ماـ لـزـحـمـتـ بالـسـكـانـ وهـجـرـنـاـهـ إـلـىـ غـيـرـ رـجـعـةـ.

وهكذا اطمأن الأماضية لمباشرة حياتهم فى أمان، وبايعوا ابن رستم إماما لهم فى عام ١٦٠ھـ / ٧٧٦مـ . ثم بدأ الأماضية فى بناء المسجد وألحقوا به مصلى للمجنائز كما أنشأوا سوراً حول المدينة وخصصوا له أبواب وبذلك صارت المدينة محصنة من الأعداء . ثم بدأ رستم فى تثبيت أركان دولته ووضع الخطط لنظام الحكم والإدارة مما ساعد على رسوخ واستقرار الأحوال للدولة الجديدة .

وتربـبـ علىـ ماـ تـقدـمـ أنـ مـديـنـةـ تـاهـرـتـ صـارـتـ كـعبـةـ لـتـقـصـادـ مـنـ أـهـلـ المـشـرقـ وـالـمـغـرـبـ وـمـنـ الـأـنـدـلـسـ .

كـمـاـ دـخـلـهـاـ التـجـارـ وـرـجـالـ الـأـعـمـالـ وـرـجـالـ الصـنـاعـةـ وـالـأـدـبـ وـالـفـنـانـينـ مما سـاعـدـ عـلـىـ نـمـوـ الـمـدـيـنـةـ وـازـدـهـارـهـاـ فـىـ مـخـلـفـ الدـوـاحـىـ مـنـ عـمـرـانـ وـزـيـادـةـ ثـرـوـاتـهـاـ .

بعد ذلك عمد عبد الرحمن بن رستم إلى تشكيل مجلس من سبعة أفراد

لاختيار خليفة من هؤلاء السبعة وبعد وفاة عبد الرحمن بن رستم في عام ١٢١هـ/٧٨٧م وقع الاختيار على ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ليكون خليفة لوالده عبد الرحمن وواجهته معارضة لإمامته لأن عبد الوهاب تمكن من التغلب عليها وبقي إماماً للأباضية حتى عام ٤٢٦هـ/١٠٣٥م.

وقد خالف الأباضيون أنفسهم حين جعلوا الإمامة وراثية، وهذا ينافي إنكار النظام الوراثي للخلافة، ولذلك حدث الانشقاق في صفوف الأباضية وظهرت فيهم طائفة النكارة التي خرجت على الأباضية، وأنكرت إماماة عبد الوهاب الوراثية، إلا أنه قمعها عليها وانضم جبل أوراس إلى الأباضية، ولما عادت المعارضه نشاطها فشلت وتغلب الأباضيون على الثورة التي قتل قادتها وتفرق أتباعه.

وبعد وفاة عبد الوهاب خلفه في الإمامة ابنه أمين بن عبد الوهاب الذي استطاع أن يقود البلاد بأمان حتى ارتقت أحوال الدولة الرستمية ونفت حضارتها للغاية.

وتتابعت قيادة الدولة الأباضية في أحفاد عبد الرحمن بن رستم حتى جاء الإمام اليقظان بن أبي اليقظان محمد وفي عهده انهارت الدولة الرستمية بالغرب الأوسط عام ٤٩٦هـ/١٠٩٩م.

أما الأباضية الذين في طرابلس فقد خضعت للعباسيين وبقي يسودها الهدوء والاستقرار حتى عام ٥١٧هـ/٧٨٦م نهاية ولاية يزيد بن حاتم المهلبي الذي صنم لقليم برقة إلى مصر. ثم صارت ولاية المغرب إلى روح بن حاتم، واستمرت الأحوال في هدوتها حتى عام ١٨١هـ/٧٩٧م. ثم

تحولت الولاية للغرب إلى إبراهيم بن الأغلب التميمي.

ظهرت دولة الأغالبة في أفريقيا (تونس) نتيجة للمساواة التي سار عليها الخليفة العباسى الرشيد في بلاد المغرب وهي العمل على إخماد ثورة البرير والوقف في وجه الأدارسة في حالة تمردتهم ضد العباسيين فعهد العباسيون بولاية أفريقيا إلى إبراهيم بن الأغلب عام ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م.

عمل إبراهيم بن الأغلب على ضبط الأحوال وبنى مدينة العباسة بجوار القيروان.

ولما صارت طرابلس تابعة للأغالبة عينوا عليها عملاً من قبلهم فقامت الثورات الأباشيية في طرابلس ويدهم إخوانهم في تاهرت بالإمدادات لمساعدتهم على المقارمة.

وفي عام ١٩١ هـ / ٨٠٦ م ثار الأباشيوان في طرابلس في عهد وإليها إبراهيم بن الأغلب ولكنه تقلب على الثورة وفي عام ٢٦٥٠ هـ / ١٨٧٨ م ثار ياقليم برقة عباس بن أحمد بن طوزون ضد أبيه وإلى مصر وجعل من برقة قاعدة له.

ثم قام بحملة عسكرية لمهاجمة طرابلس إلا أنه هزم في المعركة ثم تقلب عليه أبوه في عام ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م وولى على برقة واليا من قبله فقام بتدارك محدث من أخطاء بها.

وفي عام ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ثار الأباشيوان في جبل نفوسه ضد الأغالبة إلا أن إبراهيم بن أحمد الأغلبي قضى عليها.

ولما عمل الأغالبة على الاستقلال بحكم المنطقة، وجعلوها وراثية في

أيدائهم، ولم تكن للخليفة سوى الخطابة والدعاء على المنابر، واحتفظ الأغالبة بالسلطة الحقيقة وإدارة البلاد في أيديهم، واستمرت على ذلك مدة قرن وتمكوا خلالها من تدبير الأمور كأحسن ما يكون حتى تریص بهم الفاطميين وقضوا على دولتهم في عام ٩٦٥هـ ١٩٤٦م.

حاولت الدولة الفاطمية في عام ٩٦٦هـ ١٩٤٧م بسط سلطانها على طرابلس واستولت عليها ثم قامت بإرسال جيش إلى برقة واستولت عليها من العباسين، ولأن الرايدين برقة وطرابلس على غير المذهب الفاطمي، حيث برقة مذهبية تأخذ بمذهب المالكية وطرابلس تتبع الأياضية ولذلك عارضت كلاهما سيطرة الفاطميين عليها وقامت طرابلس في عام ٩٦٩هـ ١٩٥٠م بالثورة ضد الفاطميين ونكلوا ب الرجال كتامة أتباع الفاطميين فأرسل الفاطميون حملة عسكرية برية وبحرية وحوصرت طرابلس حصاراً لستة أشهراً إلى طلب الصلح. وهدأت الأحوال في طرابلس وأذعنوا للسلطان الفاطمي.

ثم ثارت برقة في عام ٩٣٤هـ ١٩١٦م فعاقبها الفاطميين بقصوة. وفي عام ٩٣٠هـ ١٩٢٢م ثار الأهالي الأياضية في جبل نقوس ضد الفاطميين فلم يمهلهم الفاطميون وأنزلوا بهم شر هزيمة.

وهكذا ظلت الأحوال في ليبيا حتى جاء عام ٩٧١هـ ١٩٥١م فانتقل الفاطميون إلى عاصمتهم الجديدة في مصر وأنشأوا القاهرة التي صارت عاصمة للدولة الفاطمية.

واستخلف الخليفة الناطمي المعز، بلکین بن زيري زعيم صفهاجه ثانياً له على أفريقيا (تونس) والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وجعل

الفاطميين من ولائي برقة وطرابلس ولابعين تابعين للدولة الفاطمية بالقاهرة.

وفي عام ٣٦٧هـ / ٩٨٠م جعل الخليفة المعز تبعية طرابلس إلى بلكين الصنهاجى وصار الولاية في طرابلس تابعين إلى بلكين ومن بعده أبنائه الملصوري ثم باديس. وفي عام ٤٩٩هـ / ١٠٩٠م وفي ولاية عسيله بن بكار من قبل باديس الصنهاجى قام هذا الوالى بتسليم طرابلس إلى يانس الصقلى حاكم برقة فأسرع باديس بارسال جيش لحصار طرابلس وعندئذ قام رجل من زнатه يدعى فلقل بن سعيد بحركة سياسية بارعة تمكّن خلالها من الاستيلاء على طرابلس وأقام بها دولة بني خزرون. وتحولت طرابلس بفضل جهود أهل طرابلس وفلقل الزناتى من المذهب الفاطمى الشيعى إلى المذهب السنى، وظل الحال على ذلك حتى منتصف القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى.

أما إقليم برقة فقد تخلى عن الفاطميين وحكمها بنو قرة.

وفي عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م خرج المعز بن باديس عن طاعة الفاطميين وقطع خطبة الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وأعلن ولاده للدولة العباسية استجابة لشعوب البلاد المغربية التى تأخذ بالمذهب المالكى، ففقد عليه الفاطميين، فكتب إليه المستنصر الفاطمى ينهذه وقال له هل افترضت أثار أبيائك وأجدادك في المطاعة والولاء لنا؟

فأجاب ، إن أبيائى وأجدادى كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك. ولو أخرتهم لتقدموا بسيوفهم واستمرعلى قطع الخطبة، فاستعظم الخليفة هذا الأمر ورأى أنه أصبح بين ثارين بعد انتوره عدون قويان فلن رمنى بهذا

للخروج سقطت هيبة حكمه وزلزل سلطانه، وإن هر حراره خاف العباسيون
فسكت مرتفعا الفرمان وسوانح الحظوظ.

ومضى على ذلك زمن وهو يدارى الأمور بالصبر ويداورها بالحيلة،
بالرغم من موقفه الحرج.

فلما استقرر الخليفة أبا محمد البازوي وكان بيده وبين المعز مكان من
الجفاء، فكر في اثناع القبائل العربية ليقذف بهم إلى المغرب، فأندب مكين
الدولة بن ملهم لعقد الصلح بين زغبة ورياح وسلم وهلال وغيرهم إذ كان
بيتهم حروب متواصلة وأحقاد متوارثة ومنافسات على الزعامة متأصلة فتم
له ذلك، وأحضر رؤسائهم عند الوزير البازودي فنفحهم بالعطايا وخلع
عليهم خلعا سنية، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة وزودهم بالرصاصية القيمة
ووعدهم بالمدد والعدد وأمرهم بقصد بلاد أفريقيا على أن يكون كل
مافتحوه إقطاعا لهم، فنشط العرب وساروا إلى أفريقيا عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م.

وكتب البازوي إلى المعز، أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا وحملنا
عليها رجالا كهولا، ليقض الله أمرا كان مفعولا.

وهذا يظهر أن البازوري أعلن الحرب على ابن باديس بإرساله العرب،
وتبيّنه لهم بهذه الرسالة، وربما يقال إنها كانت رسالة شخصية لما بيدهما
من المنافسات السياسية السابقة.

فلما وصل العرب إلى أرض برقة وصلوا بها وطروا ما ولها، وجدوا
بلاد كثيرة خصبة المرعى، خالية من الأهل، لأنها كانت ملك زنانه
البربرية التي أبادهم وعسف بهم المعز فأقام العرب واستوطنوا وعاشوا في

أطراف البلاد، فتقاعدت قبائل صنهاجة عن مقاومتهم تجلياً لشرهم، ولأنهم كانوا على خلاف مع المعز. فلما علم المعز بقدوم العرب احتقرهم ولم يبال بتخاذل صنهاجة لأنه كان يملك ثلاثين ألف مملوك كلهم ينعم في واسع عطائه فأهملهم شأنهم فتقدّم العرب وملكوا طرابلس عام ١٠٥٢هـ/٤٤٦م فتسامعت القبائل وأخذ الوزير يتابع إرسال النجدات إليهم من القبائل العربية مثل الأنج وعذّل وكبايا رياح وزغبه فقوى شأن العرب وقطعوا السبيل، وأرادوا أن يتقدّموا إلى القิروان عاصمة البلاد فعانت الأمير مؤنس بن يحيى المرداسي لأنّه كره البادرة وفضل خطّة الظرف والفرص العبيث في البلاد لإرهاب السكان وإخافة الحكومة، فسألوه ماذا يجب أن نصنع؟ فأخذ بساطاً كبيراً وفرشه وقال لهم من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه ف قالوا لا نقدر على ذلك، فقال وهكذا القิروان خذروا من البلاد شيئاً فشيئاً، حتى لا يبقى إلا القิروان ومن ثم حاصرواها وخذلواها. أما إذا حاصرت معاها الآن فإن القبائل التي تسكن في أطرافها وتحيط بها يصيّرلوكم ويختطفون أبناءكم، ف قالوا له أنت شيخ العرب وأميرها.

وأنت المقدم علينا ولأنقطع أمرا دونك.

وهذا طلب المعز أن يجتمع بالعرب فاتفقوا على أن ينتدبوا من رؤسائهم وFDA إليه ليسبروا غوره وليقفوا على دخبله أمره، فذهبوا إليه وقابلوه فأذكر لهم ويدل لهم شيئاً كثيراً. من العطايا والملح، أملاً أن يدفعهم بالحسنى ويخدعهم بالمال، فلما خرجوا من عنده، ذهبوا إلى قر مهم وحرضوه على الحرب وقابلوا عطاياه بالعنف وشنوا الغارات وأفسدوا الزروع وقطعوا الشمار وحاصروا المدن فضاق الناس الأمر وساعت أحوالهم وانقطعت أسفارهم فاحتلف، المعز بالأمر ورأى أن هذه الغارة الطارئة أصبحت فحراً واحتلالاً.

وجمع عساكره فكانوا ثلاثة ألف فارس ومئتهم مشاة وسار بهم إلى جبل جندران الذي يبعد مسيرة ثلاثة أيام من القيروان.

فلما رأى العرب عساكر صنهاجه والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم الأمر عليهم لأنهم كانوا أقل من ذلك فقال لهم الأمير مؤنس ما هذا اليوم يوم فرار ولا يوم تخاذل، وإنما هو يوم صبر ونصر.

التحم الجيشان، واشتد القتال، واستعرت الحرب وثبتت أقدام العرب وانهزمت صنهاجه لأنها كانت غير راضية عن المعز وكانت غير صادقة النية.

وبقي المعز مع عبيده ومعاليكه يبتلون بلاءهم فثبتت أقدامهم ولم يتزحزهو فقتل منهم خلق كثير فخجلت صنهاجة من هزيمتها، في حين أن العبيد والمماليك ثبتو، وحاولت تسترد هيبيتها وكرامتها فجربت أن تلف وتنطوي على العرب من ورائهم فلم يستطعوا لأنهم أتوا متأخرین وقتل منهم عدد عظيم، فتراجع المعز إلى القيروان مهزوما على كثرة من معه من جلود محاربين، وغنم العرب الخيل الكثير والخيام وما فيها من مال وغناء.

ثم جمع المعز جموع زنانه وصنهاجة وخرج بنفسه لمحاربة العرب والقضاء عليهم، فلما أشرف على منازلهم جنوب جبل جندران نشب القتال واشتعلت نيران الحرب وكان عدد العرب سبعة آلاف، فانهزمت صنهاجة وولى كل منهم إلى منزله وانصرفت زنانه وثبتت المعز فيمن معه من العبيد شيئاً عندياً حتى خارت قواهم فانسحب المعز إلى المنصورية.

ثم هاجم العرب المنصورية ورفاقه ورأى المعز أن يسمح للعرب بدخول القிரوان، وجعل لهم سوقاً ليشتروا منه ما أرادوا وبيعوا مما فاض معهم وفقاً لما هو متبع في ذلك الحين بين المغاربة.

فلما وصل العرب القிரوان لم تزد العادة هذه القواعد واستطاعت على العرب ووقعت المشاجرات التي انتهت بانتصار العرب ودخولهم القிரوان عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م وانسحب المعز بن ياديس إلى المهدية.

أما العباسيون الذين بايعهم المعز بن ياديس فلم يقدموا إليه أية مساعدة بعد المسافة وتعذر المواصلات وللاختلال الداخلي الذي هدد كيان الدولة.

ويقى العرب لهم الزعامة في أفريقيا وطرابلس واستقرت زغبة ورياح في برقة وطرابلس، كما استقر بدر هلال وسليم في منطقة تونس وما يليها غرباً.

فكان لسليم الشرق ولهلال الغرب وانحصر سلطان الدولة الزيرية المحدورة جداً في المنطقة الساحلية المحيط بعاصمتهم المهدية.

وقد استمرت الدولة الزيرية الصنهاجية بعد ذلك ما يقرب من مائة عام بفضل مهادنتها للقبائل الغربية.

وقود العرب حتى نمكروا من السيطرة على قبيلة صنهاجة ثم قبيلة زنانة وأخضعوا لسلطانهم القبيليتين، ولكنهم لم يؤسسوا لهم دولة وظلوا على رقامتهم في السهل. وكرونا لهم بعض الإمارات الصغيرة مثل أسرة جامع من دهمان من بنى على من يطربن رياح التي أست إمارة عربية بمدينة قابس ونجحت في جعلها حاضرة صغيرة مزدهرة مليئة بالقصور والبساتين

والعماير، كما عمل العرب على تعريب القبائل البربرية بال المغرب.

فإذا كانت الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بالمغرب فإن الهجرات الهمالية قد جاءت لتصفيق إلى ذلك الدم العربي وتعديل التكرين الجنسيوالعنصري لسكان المغرب حتى أصبح العنصر البربرى القديم لا يلتفت إلا في معاملات الجبال ذات الطبيعة الوعرة، ولا يميز إلا بعض الظواهر اللغوية.

وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة الشمال الأفريقي ملامح جديدة وظهرت أجيال من العرب والبربر أقوى وأشد شكمة ومراسا.

لقد بقيت تلك القبائل العربية مسيطرة على أغلب أفريقيا (تونس) وطرابلس حتى ظهر المرابطون في القرن السادس الهجري (الثانية عشر الميلادي) ثم أعقبتهم الموحدون من بعدهم.

وقد شاركت القبائل العربية بأفريقيا ضمن قوات المرابطين التي عبرت الأندلس بقيادة يوسف بن نافعين خلال جوازه الثالث في عام ١٠٩٧هـ/١٠٩٧م حيث جهز الجند من المرابطين والعرب والأندلس مثال ذلك وقعة كنسو بجاية التي وقعت في عام ١٠٩٠هـ/١٠٩٧م وشارك العرب مع المرابطين ضد أعدائهم.

كما شارك العرب مع المرابطين في موقعة أقليش عام ١١٥١هـ/١١٤٨م وكذلك شارك العرب مع المرابطين في عام ١١١٣هـ/١١١٩م بعد استيلاء المسيحيين على قلعة أبيوب في شرق الأندلس وعبر على بن يوسف إلى الأندلس للمرة الثانية لمحاربتهم.

ثم قامت دولة الموحدين وهي دعوة دينية إصلاحية طابعها التجديد وإعلاء راية الإسلام شامخة لتحقيق اتحاد إسلامي عالمي.

عمل الموحدون على ضم جميع العرب في أفريقيا لمشاركتهم في الجهاد ضد الأعداء في بلاد الأندلس وقد لبى العرب النداء الموحدى.

وفي عام ١١٤٦هـ / ٥٥٤١ م دخل الموحدون يقودهم عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط فانضم إليه عرب الأثير وجسم وبابووه، فعقد لأبي خليل بن كسان من عرب الأثير ولحياس بن مشيفر على عرب جشم. ثم بدأ بالاستيلاء على بجاية بالمغرب الأوسط (الجزائر).

بدأت العلاقات بين غرب أفريقيا والدولة الموحدية بداية درامية عنيفة فقد عارض العرب الموحدين لرعيتهم في الاحتفاظ باستقلالهم عن الدولة الموحدية. فعندوا حلفاً مع صنواحة أفريقيا المجاورين لهم وهاجموا الجيش الموحدى وتمكنوا من هزيمته ثم قاموا بمحاصرة القيروان. ثم هجم موسى بن يحيى الرياحى المرداوى على مدينة بلجة واستولى عليها، وعندئذ أتجه إليهم عبد المؤمن على رأس جيش كبير بلغ تعداده ثلاثين ألف فارس. فقام حلف أفريقي من الأثير وزغبه ورياح وبنو قرة يقودهم زعيمهم يحيى بن عبد العزيز لمواجهة الموحدين في بجاية.

وفي نهاية سطيف بدأ القتال بين عرب أفريقيا والجيش الموحدى في عام ١١٥٢هـ / ٥٥٤٧ م واستمر أربعة أيام فانهزم العرب أمام الجيش الموحدى وقد ذرروا خلفهم أموالهم ونساءهم وأولادهم وتعقيبهم الموحدون حتى حصن تبسه بجبيل الأوراس ثم عاد الموحدون إلى القائم فاستولوا عليها وأحتفظ عبد المؤمن بالنساء والأولاد وجعلهم في رعايته وأبلغ أمراء العرب بذلك

مُلْعَنٌ لِهِمُ الْعَفْوُ الْعَامُ.

وهذا أقرب إلى أمراء العرب وهم ديفل بن ميمون وحباس بن الرومية
ولبن الزحمامس وأبن زيان وأبو قطران وأبو عرفة والقائد ابن معرف فأعاد
قيمهم فضلا عن الملحق والأموال الكثيرة فتألفت القلوب وصاروا إتحاداً
عربياً موحدياً شاملـاً.

بلغت دولة الموحدين من القوة إلى درجة السيطرة على الإمارات العربية في أفريقيا فاستولى الموحدون على قابس من بني كامل من رياح وقصبه من بني الورد، وطبرقة من مدافع بن علال وجبل زعوان من بني حماد بن خليفة وشباريه من بني عماد بن نصر الله الكلاعي والأريس من بني فنانه العربي وبلازرت من عيش بن مقرب بن طراد من بني الورد

ثم يسط سلطانه على نيبا وأفريقيا إلى المغرب الأوسط.

وفي عام ١١٥٤هـ/١٧٤٥م قسم تلك البلاد من ليبيا إلى المغرب الأقصى ووضع عليها الخراج فكان على القبائل من عرب وبربر تقديم ملليها من الزروع والمواشي والأموال.

ولما خشي عبد المزمن من احتتمال عصيانهم أخذ ألفا من كل قبيلة
جيالهم من عرب بدوى رياح وبنى جشم الموحدية . وجعلهم جنودا له
يطرب بضم الأباء من الفرنجة .

وفي عام ١٩٥٥م - ١٤٣٠هـ بادر الموحدون بالهجوم على الدورمان وطردتهم من ساحل أفريقيا (تونس) وصارت المهدية تحت سلطانهم، وفي

نفس العام توجه وقد من طرابلس من كبار رجالها يتزعمهم ابن مطروح لمقابلة عبد المؤمن الخليفة الموحدى فرحب بهم، وخاصة بابن مطروح حاكم طرابلس الذى كان له فضل تحرير طرابلس من الحامية الصقلية وولاه طرابلس نيابة عنه.

ثم انتقالت أحوال العرب بعد ذلك من الصراع الداخلى إلى الوحدة والتماسك ثم الالتفاف حول الدولة الموحدية والتوجه تحت قيادتها لمراجحة الفرنجة بالبلاد الأندلسية.

وبسبب اعتداءات الفرنجة على عرب الأندلس توجه أبو حفص إلى الأندلس فى ١١٦٥هـ / ٥٥٦م على رأس جيش شارك فيه العرب وشغلوا مقيدة الجيش بعده آلاف من خير فرسانهم فى قتال للحرير قرطبة من ابنى مردنس وتقابل الجيشان بمحصن لك بنواحى قرطبة ودامت الحرب يوماً كاملاً كشف العرب فيه من الشجاعة ما يغرق الوصف.

واضطر ابن مردنس لإجراء تعديل في خطط الحرب فقسم جيشه لثلاثة أقسام وجعل القسم الأول لمهاجمة العرب الذين في مقيدة الجيش العربي الموحدى وثبت العرب ثبوراً قويًا مكن الفرق الأخرى من الجيش الموحدى من التصدى للعدو والالتفاف حوله وهزمته وانسحب ابن مردنس هارباً.

ثم واصل الجيش العربي الموحدى القتال ضد الجهات المجاورة واستولى على الغاليم من غليره وقرياته فى نواحى بسطه وتورقه.

وقد استشهد في تلك المعركة سبعة من كبار فرسان العرب. وهكذا بلغ

للتضامن العربي مع الدولة الموحدية أقصاه، وأعلن الموحدين إعجابهم
بإخلاص العرب ونشروا ذلك على الملأ واستندوا إليهم حماية المدن
الأندلسية من الأعداء.

على أن الموقف تغير بعد تولية أبي يوسف يعقوب (المنصور)
الموحدى عام ١١٨٤هـ/٥٨٥م وذلك بعد ظهور معارضة من بني غانية -
بقايا الدولة المرابطية - وقد حالفهم ضد الموحدين جماعة المماليك الغز
بقيادة فراغوش ومن عرب بني هلال وسلمي بافريقيا بعد انهيار دولة
المرابطين واستقر بتوغانية وهم من قبيلة مصرفة الصنهاجية وتولوا
المناصب الكبرى في العهد المرابطي ثم لجأوا إلى جزر البليار وأعلدوا
تعينهم لبني العباس فالتحالف حولهم بقايا المرابطين وقد بقى بتوغانية على
معارضتهم للموحدين وهو في نفس الوقت يحاربون القوى الصليبية
ولستخدموا اساطيلهم في القيام بغارات بحرية على سواحل قطالونيا وجذوب
فرنسا.

ثم رأى بتوغانية مهاجمة بجایة بالمغرب ودخلوها في عام
١١٨٣هـ/٥٧٩م وفر الموحدون إلى تلمسان بعد هزيمتهم أمام بني غانية في
ياميلول. ثم واصل بتوغانية الاستيلاء على الجزء الشرقي من المغرب
الأوسط وبعض القلاع والمدن. على أنه سرعان ما استرد الموحدون بجایة
ومدينة أشیر في عام ١١٨٥هـ/٥٨١م.

ثم تحالف بتوغانية والمماليك الغز وعرب بني سليم وجمع فراغوش
الأتمنى قواته متوجهًا من المغرب إلى فزان للاستيلاء على فزان وطرابلس
وانضمت إليه رياح بقدوها مسمود بن زيان زعيم الزواويد الخارج عن

طاعة عبد المؤمن وعرب بني ذياب. كما فتح جبل نقوسه، وبعد فتح طرابلس اجتمع حوله العرب.

كما قام ابراهيم بن فرانكين بالانضمام إلى الموحدين فعارضه عرب أفريقيا لغيل بعضهم للدعاة العباسية.

وفي عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م جمع يعقوب المنصور قواه وتقابل مع بني غانية بالعملة لي بعد أيام من القتال وتمكن من هزيعتهم وفر ابن غانية حيث قامت من أثر جرح أصابه في المعركة ثم توالي بعده أخوه يعني الذي اختفى في الصحراء، وتبع المنصور الموحدي بني غانية والعرب ثم لجأ إليه العرب وأعلنوا خصونهم فنقل قبائل بني هلال بن عامر وجشم بن معاوية بن بكر من بلادهم إلى المغرب الأقصى فنزلت قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهميط فيما بين قصر كنامة (القصر الكبير) أزغار البسيط الأفique هناك إلى ساحل البحر الأختار (المحيط الأطلسي) حيث استقرت، وطاب لها المقام هناك.

ونزلت قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط ما بين سلا ومراكش وهو أواسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن الثاريا المفضية إلى القفار لإحاطة جبل درن بها مما أضطرهم إلى الاستقرار.

وقد نتج عن هجرة هذه القبائل العربية إلى بلاد المغرب الأقصى استكمال عروبة المغرب الأقصى ومزجه بالدماء العربية، فكان ذلك تمهما لما قامت به دولة الأدارسة حين أدخلت الحضارة الإسلامية هناك من قبل، وبعد ما حققه المنصور الموحدي من انتصارات عمل على منم

الهمائيك إلى جنده فأسرع قراقوش إلى الدخول في طاعة المنصور، ثم عاد وأعلن الثورة على الموحدين في عام ١١٩٠/٥٥٨٦ م واستولى على قايس، وفي عام ١١٩٢/٥٥٨٨ م جمع المنصور وفوداً من عرب سليم ورياح والحقهم بناس ضيوفاً على الدولة لمدة أسبوع ثم أنعم عليهم بالعطايا وأعادهم إلى بلادهم مكرمين ليبقوا على ولائهم له.

وبعد وفاة المنصور عام ١١٩٩/٥٥٩٥ م، تحول التحالف العربي الموحدى إلى تحالف صورى ثم انقلب إلى عداء وحرب للموحدين ولكن تقلب الجيش الموحدى في النهاية على التحالف العربي مع بدئ غانية وذلك في عام ١٢٠٦/٩٥٦١٤ م فاضطر العرب إلى الانسحاب إلى طرابلس، وهناك أرغم العرب على محاصرة قراقوش في ودان حتى أعلن استسلامه للعرب في عام ١٢١٢/٩٥٦١٩ م.

وهكذا عاد النفوذ الحفصى الموحدى إلى تلك الأقاليم من ليبيا إلى أفريقيا، واسترد الموحدون طرابلس عام ١٢١٧/٥٦١٤ م وعاشت طرابلس تابعة لحاكم تونس منذ عام ١٢١٧/٥٦١٤ م.

ثم تغيرت الظروف حين تمكّن أبو زكريا الحفصى من إقامة الدولة الحفصية عام ١٢٢٥/٥٦٢٥ م وجاهد في تعميرها حتى قويت وامتد وجودها حتى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى)، وظلت طرابلس في العهد الحفصى في ازدهار اقتصادى في الزراعة والتجارة.

ثم خلعت طرابلس تبعيتها للدولة الحفصية، حين قدم إليها أبي عمارة لحمد بن مرزوق، الذي أدعى أنه ابن الخليفة الواقى المخلوع وأن اسمه الفضل قباعي كثيرون من بنى سليم وخضعت له طرابلس وما إليها غرباً،

لأن عمر بن أبي زكريا الحفصى تمكن من استعادة طرابلس عام ١٢٨٤هـ / ١٢٨٣م وأعلن والى طرابلس محمد بن عيسى الهمتاني تبعيته لأبي زكريا الحفصى.

وفي عام ١٢٨٨هـ / ١٢٨٩م حاول ملك أرجنون غزو طرابلس ولكنه فشل في محاولته.

وفي عام ١٣٠٩هـ / ١٢٧١م قدم الى طرابلس الأمير الحفصى أبو يحيى زكريا بن محمد اللحيانى فرحب به الأهالى وشجعوه على بسط سلطانه على تونس حيث فسحت الأحوال فيها ورحب الأمير الحفصى بالدعوة وتوجه إلى تونس في عام ١٣١١هـ / ١٢٧١م روقف خلفه عرب طرابلس حتى نعمت له البيعة في تونس وبقى في حكمها ست سنوات. ثم ظهر في تونس أمير قسطنطينية وتغلب على الأمير الحفصى الذي انسحب إلى طرابلس على أمل الاستعداد والعودة لاسترداد تونس وخلف فيها ولده محمد (أبوضربي)

وشكل أبو يحيى زكريا جيشا في طرابلس تمكن به من توسيع ملكه في نواحي طرابلس.

ولما فشل محمد أبو ضربه في الاحتفاظ بما في يده في تونس وتغلب عليه أمير قسطنطينية، رحل أبو يحيى زكريا عن طرابلس ولجا إلى مصر في عهد السلطان المملوكي قلاون تاركا ولاية طرابلس لمصره، محمد بن عمران الذي بقى في ولايته بطرابلس حتى ثار عليه الأهالى وخلعوه في عام ١٢٢٤هـ / ١٢٢٣م وتولى مكانه ثابت بن محمد بن عمار من أسرة طرابلسيّة، الذي استطاع أن يتوسّد دولة بنى عمار

ثُبَّتْ بْنُ مُحَمَّدْ بْنُ ثَابِتْ جَاءَ تَجَارٌ مِّنْ جَهَوَةِ كَانُوا يَتَرَدَّدُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ
وَلَحَظُوا مُنْفَعًا تَحْصِيَّاتِهَا عَلَى الرُّغْمِ مِنْ خَيْرِهَا فَأَغْرَاهُمْ ذَلِكَ بَغْزُوهَا
وَلَتَلَالُهَا وَفَرَّ وَالِّي الْمَدِينَةِ حِيثُ أَعْدَمَ بَعْضَ الْأَعْرَابِ.

وَأَدْرَكَ أَمِيرُ قَابِسِ أَحْمَدَ بْنَ مَكِّيَ خَطْرَوْرَةً مَاطِلَ طَرَابِيلِسَ، وَقَامَ
بِالتَّفاوضِ مَعَ الْجُنُوبيِّينَ لِلْإِنْسَابِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقَدِمَ لَهُمْ خَمْسِينَ أَلْفَ
مِيلَ شَارِكَهُ تَقْدِيمَهَا الْأَهَالِيَّ مِنْ كُلِّ الْتَّوَاحِي فَانْسَحَبَ قَانِدُ الْبَحْرِيَّةَ
الْجُنُوبِيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَصَارَتْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَايَةُ طَرَابِيلِسَ حَتَّى عَامِ
١٣٦٤هـ/١٩٨٩م وَتَوْفَى وَقُولَى بَعْدَ ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَكِّيَ وَلَمْ يَحْسُنْ
الْعِرْةُ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ ثَابِتٍ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ مُقِيمًا مَعَ أَبِيهِ
فِي الْاسْكَنْدَرِيَّةِ رَشَحَهُ الْأَهَالِيَّ مِنَ الْمَرْبَرِ وَالْبَرِّ لِلْوَلَايَةِ طَرَابِيلِسَ وَظَلَّ
يَحْكُمُهَا حَتَّى عَامِ ١٣٨٩هـ/١٩٧٢م.

ثُمَّ تَعَاقَبَ بَعْدَ ذَلِكَ عَدْدٌ مِّنَ الْوَلَاةِ تَابِعِينَ إِسْمَاعِيلًا لِلْوَلَاةِ الْمُوَحَّدِينَ فِي
قُوفَّى حَتَّى جَاءَ عَامَ ١٩١٦هـ/١٩٥٠م وَهَاجَمُهَا الْأَسْطُولُ الْإِسْبَانِيُّ. وَكَانَتْ
قَلْةُ تَحْوِلٍ فِي تَارِيخِ الشَّمَالِ الْأَفْرِيْقِيِّ.

هَاجَمَ الْأَسْطُولُ الْإِسْبَانِيُّ شَوَّاطِئَ طَرَابِيلِسَ فِي عَامِ ١٩١٦م/١٩١٠هـ
وَقَعَ نِيَرَانٌ مُدَافِعٌ عَلَى الْمَدِينَةِ وَرَدَتْ عَلَيْهِ بَطَارِيَّاتُ السَّاحِلِ بِبَصْرَعٍ
مُهَمَّاتٍ مِّنْ مَدَافِعِهَا الْعَتِيقَةِ وَاسْتَبْعَلَ الْأَهَالِيَّ فِي الدِّفاعِ عَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى
حَطَّ الْكَثِيرُونَ شَهَادَهُ وَخَرَجَ الْآخَرُونَ لِلْاستِعْدَادِ لِلْمُقاوَمَةِ مِنْ تَجْوِيَّهِ الَّتِي
جَطَّوْهَا مَرْكَزًا لِلْمُقاوَمَةِ الْعَدُوَانِ الصَّلَبِيِّيِّ.

وَتَعَطَّلَتِ الْحَرْكَةُ التَّجَارِيَّةُ مَعَ الْعَالَمِ الْفَارَجِيِّ وَسَاءَتِ الْأَحْوَالُ

الاقتصادية.

وفي عام ١٩٣٦هـ / ١٥٣٠م قام الأسبان بتعليم المدينة إلى فرسان
القديس يوحنا في مالقا وظلت المقاومة مستمرة حتى استدرج السكان
بإلى السلطان العثماني مليم الأول لإنقاذ البلاد.

الفصل الثاني

لليبيا من العهد العثماني إلى الاستقلال

- * ضعف القرة الدفاعية والإحتلال الأسپاني للبيبا
- * ظهور العثمانيون في ليبيا وانسحاب المعتدين
- * ليبيا في العهد الفرامانلى
- * عودة الحكم العثماني
- * الدعوة السنوسية
- * ضعف الدولة العثمانية وأطماع الاستعمار الإيطالي في ليبيا
- * الإحتلال الإيطالي لليبيا وظهور حركة المقاومة
- * انتصار المقاومة الليبية واستقلال البلاد

بدأت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الكبير (١٥٢٦-١٥٦٦/٩٣٤-١٥٧٤) م تتجه إلى شمال أفريقيا، فقد اتجه السلطان سليمان الكبير إلى تعزيز قرنه البحرية كهدف رئيسي لتنفيذ مشروعاته البحرية، وبسط سلطان الدولة العثمانية بالقرنة البحرية القوية.

وخلال ذلك ورد إلى السلطان العثماني رسالة أحد رجال البحر الكبار يعلن ولاءه للسلطان العثماني وفتحاته إلى الساحل الأفريقي، وسرعان ما قبل السلطان الرسالة واستجاب لهذا البطل البحري المسلم وهو خير الدين بربوسه وهو فرسان يوناني الأصل من جزيرة (تسبروس) ولقبه بايلاريك أي (أمير الأمراء) وزوده بالجنود وبعض السفن.

وهكذا ساهم الأتراك العثمانيون في حروب تحرير بلاد المغرب العربي منذ الأسبان وتمكن خير الدين حتى عام ١٥٣٦/٩٤٢ من تحرير كثير من السواحل العربية المغربية ودمرا الأسطول الإسباني في أكثر من موقع وتوقفت بعد ذلك الحروب الأسبانية.

وقد شجعت تلك الانتصارات للأتراك في الساحل المغربي سكان طرابلس على الاستجداد بالسلطان سليمان الكبير لإنقاذ بلادهم من المعذبين الأسبان. فبعثوا بوفد منهم إلى القسطنطينية فقابل السلطان وشرح له الظروف القائمة في شمال أفريقيا.

تأثر السلطان العثماني بكلام الوفد الليبي، وعين مراد أغا لولاية ليبيا. وكلمه بمرافقة الوفد والتعرف على أحوال المنطقة.

وفي عام ١٥٥٧ هـ / ١٥٥٠ م وصل الوفد إلى طرابلس واختار مراد أغا

تاجوراء فنزل بها. وانخذلت الاجراءات البحرية في نفس الوقت بالتنسيق مع سنان باشا قائد البحرية العثمانية لطرد فرسان مالطا من طرابلس.

ثم تطورت الأحوال في طرابلس حتى صارت قاعدة من القراءد البحرية الهامة في الساحل الشمالي الأفريقي.

لقد برع العثمانيون في البحر عسكرياً في عام ١٤٥٦هـ/١٨٦١م انطلقت مائة وثمانون سفينة شراعية من غاليبولي إلى سواحل بحر إيجي للقتال هناك ثم واصل السلطان سليم الأول تعزيز الأسطول العثماني في نشاطٍ بالغٍ حتى إذا رقى سليمان العرش زاد من عدد سفنه إلى ثلاثة مائة. وفي عهده رقى القرصان خير الدين بربروسه وحمل الهول الذي كان ينطوي عليه اسم العثمانيين حتى الشراطي الأسبانية.

لقد تفوق العثمانيون مادياً بفضل الغابات الفائمة على شاطئي البحر الأسود التي أمندهم بمعين لا يذهب من الأخشاب وجلبوا المعادن الضرورية من الأفلاق والبغدان.

أما الأشرع فقد استوردوها من فرنسا. أما الصناع فقد استخدمت البنا دقّة لبناء السفن وأيضاً اليونانيين. وقد دخلت الجنود الإنكشارية في خدمة الأسطول العثماني وأظهروا تفوقهم حتى أن شجاعتهم في لقحاص سفن الأعداء ألغت الرعب في قلوب التصاري.

لقد شكلت سفن القرصان العاملة في شواطئ أفريقيا الشمالية منذ عهد بربروسه جزءاً هاماً جداً للأسطول العثماني في عام ١٥٥٨هـ/١٩٥١م قامت قطع من الأسطول العثماني بمهاجمة الفرسان المالطيين وطردتهم من

المدينة وصارت طرابلس تابعة للعثمانيين منذ ذلك الحين.

ليبيا في العهد العثماني: ١٥٥١-١٦٢٣هـ / ١٧١١-١٩٥٨م

لقد أبدى الوالي العثماني مراد أغى اهتماماً بالمدينة، فقام بأعمال الترميم والصيانة للحصون والقلاع وبنى مسجداً ونشطت الحياة التجارية في المدينة واستقرت الأحوال.

وفي عام ١٥٥١/١٦٤٦م تولى درغوت باشا قائد الأسطول، وهو من أشهر قواد الأسطول العثماني تولى درغوت باشا حكم البلاد. وعرف عهده بالإنشاءات والتعمير في المدينة حتى انتعمت المدينة، وشيد القلاع والحصون لحماية البلاد، كما شجع الفلاحة وأعمال اليمان وفتح التجارة، فكثرت الأموال والتقد حوله أهل البلاد.

لقد جعل درغوت باشا الجهاد ضد الأعداء هدفاً أساسياً في حياته، فجاء السواحل الأوروبية والأفريقية متقبلاً الغرفة ثم يعود محملاً بالغنائم فينفقها لخدمة المدينة. ولقد استخدم درغوت باشا في حربه الجنود الإنكشارية ثم قويت شركة الإنكشارية وسيطروا على الولاة ففسدت البلاد وضعفت.

أما برقة وكانت تحكمها دولة العمالق مصر فقد تحولت تبعيتها إلى الحكم العثماني، بعد الفتح العثماني لمصر وهكذا صارت ليبيا تحت الحكم العثماني الذي استمر يحكم ليبيا حتى بلغ عدد الولاة العثمانيين في حكم ليبيا أربعة وأربعين ولباً حتى عام ١٦٢٣هـ / ١٧١١م بداية العهد القرامانتي.

لبيبا في العهد القرامشى ١١٢٣ـ١٢٥١ـ١٨٣٥ م / ١٧١١ـ١١٢٣ـ٥

ظلت ليببا في هاوية الصراعات والانقسامات ولم ينقد البلد إلا عندما تولى أحمد باشا القرامشى حكم ليببا عام ١١٢٣ـ٥ / ١٧١١ م باتفاق الجنود الانكشارية في ليببا ولقب نفسه بأمير المؤمنين وجعل الحكم وراثياً في الأسرة القرامشية.

انتصَرَ أَحْمَدُ باشاً أميرَ الْمُؤْمِنِينَ بالشجاعةِ والاقتدارِ فرقَ مَا عَرَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْسَافِ بَيْنَ الْأَهْلِيِّ.

وَلَمَّا بَعْدَهُ القَسْطَلْطِينِيَّةُ بَاسْطَرَلَ إِلَى لَبَبِّا نَوْلَاهَ خَلِيلَ باشاً لِلْبَبِّا وَقَعَ صَدَامُ بَيْنِهِ وَبَيْنِ أَحْمَدَ باشاً فَامْسَطَرَتِ الْقَسْطَلْطِينِيَّةُ إِلَى إِصْدَارِ فَرْمَانٍ سُلْطَانِيٍّ بِتَقْيِيدِ أَحْمَدَ باشاً القرامشىَّ لِلْبَلَادِ لَبَبِّا.

وَعَنْ ذَلِكَ عَادَ الْأَمْنُ إِلَى الْبَلَادِ وَيَدَأْتُ الْأَحْوَالُ تَسِيرُ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ فِي عَهْدِ القرامشيةِ.

لَقَدْ جَاءَ الْعَهْدُ القرامشىُّ وَجَعَلَ مِنْ لَبَبِّا وَحْدَةً مُنْكَامَلَةً، وَقَدَمَ إِصْلَاحَاتٍ كَبِيرَةً بِهَا وَجَعَلَ الْأَمْرِكَزِيَّةَ مِبْدَأَ الْحُكْمِ فِي لَبَبِّا، مَا أَعْطَى اِنْطَلَاقَ فِي الْعَمَلِ وَالْإِنْتَاجِ فِي الْبَلَادِ وَعَمَتِ الْحُرْبَةُ الْبَلَادَ. رَظَلَ فِي حُكْمِهِ لِلْبَلَادِ مَدَةً خَمْسَةَ وَثَلَاثَيْنَ عَامًا لَمْ يَتوَانَى خَلَالِهِ عَنِ اِنْذِلَّ وَالْعَطَاءِ، وَسَهَلَ وَصْوَلَ الْمَيَاهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِالْطَّرْقِ الْفَنِيَّةِ خَدْمَةَ الْمَدِينَةِ، وَبَنَى مَرْوِقَةً وَاسِعَةً رَبِّيَّةً وَأَصْلَحَ الْقَلْعَةَ، وَسَهَلَ لِلسُّفُنِ الْفَادِمَةِ إِلَى طَرَابِلسِ الْحَصُولِ عَلَى الْمَاءِ.

وَفِي عَامِ ١١٤١ـ٥ / ١٧٢٨ م هَاجَمَ الْأَسْطَوَلُ الْفَرْنَسِيُّ الْمَدِينَةَ وَضَرَبَهَا بِالْمَدَافِعِ لِيَرْغِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى الْخُضُوعِ لِمَطَالِبِهِ لِلْحَصُولِ عَلَى أَمْوَالٍ وَتَسْلِيمِ

الأسرى الفرنسيين واستمر الأسطول الفرنسي يضرب المدينة بالمدافع ثلاثة أيام ولم يسحب إلا أن بعد نفذت ذخيرته ونجح الأهالي في المقاومة وفازوا بالنصر وانسحب الفرنسيون متزوجين لم ينالوا غير الهزيمة أمام شجاعة الأهالي واستبسالهم بقيادة حاكمهم أحمد باشا.

وفي عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م تولى الحكم ابنه محمد بعد وفاة أبيه وظل يحكم البلاد حتى عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م . في سهرة ويسر حتى خلفه في الحكم ابنه على الذي استمر في حكم البلاد نحو أربعين عاماً . وقد ازدهرت في أيامه الأحوال الاقتصادية من زراعة وتجارة وعم الأمان ريعان البلاد.

وفي عام ١١٩٤هـ/١٧٨٤م وقعت مجاعة استمرت مدة عامين وانتشر خلالها وباء الطاعون فتسبب في إنهيار الأحوال الاقتصادية.

أما عن السياسة الخارجية للأمير على فلم يكن موقفها فيها حيث أنه أسرف في منح الامتيازات للأجانب . كما حدثت في عهده انقسامات داخلية وقعت بين أبنائه ، وتوفي الأمير على في عام ١٢٩٣هـ/١٢٠٨م .

وفي خلال تلك الانقسامات تمكن أحد المغامرين الأتراك ويدعى على ابن يرغل من اقتحام المدينة طرابلس واستولى عليها . ثم أعيد حكم البلاد إلى أصحابه في عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م بعد تدخل باي تونس الذي تغلب على هذا المغامر الدخيل وتولى يوسف القرامياني حكم البلاد.

وهكذا عادت ليبيا إلى حكم الأسرة القرامانية في عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م وسلك يوسف في الحكم مسلكاً جعل البلاد تنعم بالأمن والرخاء من جديد وصلاحت أحوال التجارة والزراعة وازدهرت ، وبدأت

العلاقات الخارجية للبيضاء تزدهر من جديد خاصة مع فوريا.

كما على يوسف بالأسطول الليبي الذي أخذ يقرم بدور حماية السفن التجارية في البحر الأبيض مقابل مبالغ مالية كبيرة. ولم تتمكن الدول التي عارضت دفع إتاوة الحماية لسفتها إلى ليبيا من الاستمرار في الرفض فقد تطلبـتـليبيـاـعـلـىـتـالـدـوـلـمـثـلـدـوـلـالـسـوـيدـالـتـيـتوـسـطـلـهـاـالـإـمـپـاطـورـنـابـلـيـونـلـخـفـيـضـتـالـإـقاـوـةـ.

كما لم يتمكن الأسطول الأمريكي من فرض سيطرته على الأسطول الليبي الذي تغلب عليه وهزمـهـ وأسر بعض سـفـنهـ ثم أـفـرـجـ الـلـيـبـيـوـنـعـدـهاـبعـدـتوـسـطـالـقـنـصـلـالـانـجـلـيـزـيـفـيـهـذـاـأـمـرـ.

وهكـذاـحـظـيـتـلـيـبـيـاـفـيـعـهـدـيـوسـفـالـقـرـامـانـىـبـالـتـقـدـيمـوـالـرـفـقـ،ـوـنـالـتـهـبـيـةـفـيـالـدـاخـلـوـالـخـارـجـ.

لقد بدأ يوسف باشا أعماله المجيدة بتهيئة الحالة الداخلية للبيضاء وإزالة الآثار التي خلفتها النزاعات والانقسامات بسبب ولادة العهد. وقام يوسف بترميم الحصون وأصلاح سور طرابلس وأقام أبراجاً للدفاع عن المدينة. كما أعطى اهتمامه البالغ للأسطول الليبي وخصص المبالغ الازمة لهذا الغرض. ويسط الأسطول الليبي سلطانه على العمليات للحربية في البحر المتوسط في الوقت الذي انصرف فيه أوروبا إلى الثورة الفرنسية ومتابعتها.

كما توطدت العلاقة الليبية الفرنسية الأمر الذي أدى إلى ظهور الخلافات مع الدولة العثمانية. وقد ساعدت تلك العلاقات الفرنسية الليبية Libya في نزاعها مع الدول الأوروبية بسبب الإتاوة التي تفرضها عليها Libya على

تلك السفن.

على أن الموقف تغير بعد انضمام الدول الأوروبية لمناهضة الدولة الليبية ومنعها من فرض أية إتاوات على سفنها في البحر في الشمال الأفريقي.

وفي مؤتمر أكس لاشابيل ١٨١٨-١٢٣٥ م تقرر تفويض الدول الأوروبية العمل على منع أية إتاوات تفرض على السفن الأوروبية المارة في مياه الشمال الأفريقي في طرابلس أو حتى في غيرها واعتبروا هذه الإتاوة فرصة بحرية.

ثم بدأت الأساطيل الأوروبية تقوم باستعراض لأساطيلها حتى تتمكنوا من إرغام ليبيا على تسليم الأسرى الأوروبيين إلى دولهم ووقف الغارات البحرية التي تقرم بها ضد السفن الأوروبية.

وقد تأثرت ليبيا اقتصاديا، فقد كانت تدخلها مجالغ طائلة من جراء تلك الإتاوات المالية. ثم أعقب ذلك تراكم الديون على ليبيا. ثم تنازل يوسف عن الحكم لإبنه على القرامشلي في عام ١٨٤٨/١٢٤٢ م.

وفي عام ١٢٥١-١٨٣٥ م تمنت الدولة العثمانية من استعادة سيطرتها على ليبيا مرة ثانية، وبذلك انتهى عهد الأسرة القرامشلية في حكم ليبيا.

عودة الحكم العثماني إلى ليبيا (١٢٥١-١٨٣٥ / ١٣٢٩-١٢٥١)

أعلن أهالى ليبيا سرورهم بعودة الحكم العثماني عام ١٢٥١/١٨٣٥ م، وخاصة الذين نcumوا على العهد القرامشلي خاصة في

أواخر أيامه، أما بقية الأهالى فقد تربوا فى الحكم على الموقف الجديد حتى يتبيروا حقيقة الموقف، فلما تبين لهم غير ما كانوا يدركون أعلنوا حركة عصيان ضد العثمانيين فلجأت الحكومة الجديدة إلى استخدام القوة ضد الأهالى.

والحقيقة أن النظام العثمانى لم يعط الفرصة للولاة الذين تستند إليهم شؤون البلاد حتى يقوموا بالإصلاحات والتعهير لارتقاء بالبلاد إلى حياة أفضل.

لقد نجح الجندي فى إخضاع الأهالى بالقوة وفى عام ١٨٣٦/١٢٥١ م تمكن العثمانيون من السيطرة على البلاد وخاصة مصراته. وتوالى على ليبيا حكامًا من قبل الدولة العثمانية وظلت الثورات تتتابع فى عهودهم حتى جاء عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤ م فتمكن سامي باشا من السيطرة على البلاد ونظم المتراتب وشجع الصناعات المحلية. ثم جاء عاصم باشا الذى استجاب لمتطلبات العصر. فعمل على ربط علاقته بالسكان ومعرفة ما يضايقهم حتى أنه قام برحلات داخلية يتفقد البلاد فى مختلف الأنحاء. وكان رجلا فاضلا لم يقبل الهدايا التى كانت تقدم له.

ثم خلفه فى ولاية ليبيا أحمد عزت باشا فى ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩ م وتمكن من كسب رضا الأهالى وأحترامهم له. وقام ببناء المدارس الصناعية والمستشفيات. كما أنشأ سوق الحميدية واعتنى بالحسون، كما أصدر تعليمات لبناء منارة فى ميناء طرابلس.

كما على العثمانيون ببناء الكتاتيب والزوايا وحلقات الدرس وأنشأوا المدارس فى طرابلس والخمس وبنى شارعى ودرنة.

الدعاة السنوسية:

هي دعوة دينية أنشأها محمد بن علي السنوسي وهو جزائرى المولد شريف النسب دعا بالعودة إلى الإسلام الصحيح كما كان في عهده الأول . وسرعان ما انضم الناس إليه والتغروا حوله موزعين بدعورته معبرين عن رغبتهم في إستعادة مجده الإسلام القديم.

درء في فاس مركز الدراسات الإسلامية العتيق دعت السنوسية إلى وجوب دراسة القرآن والحديث والسنّة وقد تخصص جماعة من رجال الدعاة للتفرغ للدعوة والعمل على نشرها في أنحاء البلاد وأعدوا أنفسهم للدفاع عن البلاد بالسلاح حتى لزم الأمر.

فهي إذن دعوة للجهاد ضد الاستعمار ومقاومة الفساد واتجه الشيخ السنوسي إلى برقة بالزاوية البيضاء وجعلها مركزاً لدعورته ثم انتقل منها إلى جعوب . وأخذت الدعاة السنوسية تنتشر بفضل جهوده . ثم في عهد ابنه محمد المهدي انتشرت الدعاة إلى طرابلس في العهد القرامشى .

بعد أن قررت الدعاة بعد انتشارها في أنحاء البلاد ، تحولت إلى العمل على رفع الظلم عن المظلومين ومواجهة المعذبين . فأدخلت التدريبات العسكرية بالبدء بالدراسة النظرية من دراسة لأصول الحرب وأنواع السلاح ثم التدريب على لقاء العدو.

وبعد أن تطورت الدعاة السنوسية وكثير أتباعها حيث كانت جعوب عبر الذاهبين إلى مكة والعائد़ين منها وصارت مركزاً ثقافياً يلتقي فيها المسلمين كيف يكون المعلم الحق .

فالدين الإسلامي أوجب على المسلم الجهاد في سبيل الحق وإعداد القوة لمواجهة العدو والمرابطة لإرهاب العدو. فإن الإسلام نظم أمر الحياة دنباً ودين. ونظم أمور العرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ووضع لها المبادئ والنظريات الأساسية التي قامت عليها أول مدرسة عسكرية في تاريخ العرب مكملة الأركان.

وعلى هذا الأساس قامت العسكرية الإسلامية أن التكليف القرآني بالجهاد، وإعداد القوة والمرابطة تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة. ومقتضى ذلك ألا تفتر عزائم الأمة الإسلامية عن إعداد القوة بعناصرها المعددة مع الأخذ بالأسباب للتقدم والتطور التي تفرضها طبيعة العصر.

فواجب الأمة الإسلامية وهي تتجه نحو النهضة الحضارية الشاملة أن تتخذ من مبادئ العسكرية الإسلامية ونظرياتها مدلطاً لبناء قوتها الذاتية فإن من أعلم ما تتميز به تلك المبادئ أن لها بحكم انتهاها من الدين - من الأصلية مالا يدخل من أصلية وأن لها في كل عصر - من القوة والصحة والكمال ما يجعل الجيوش التي تعمل لها قوة لا تفهر.

لقد نظمت الدعوة السنوسية الدعاة وتلقوا من العلم ما يمكّنهم من أن يكونوا شيخ زوايا فيخرج الواحد منهم ويكون زاوية جديدة تكون مركزاً لشعاع ثقافي وفني وحربى وسياسي جديد، وسمحت الدعوة السنوسية بأن تكون المشيخة وراثية من الأب إلى الإبن.

وفي عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٥م أمر الشيخ محمد المهدي بنقل الدعوة السنوسية من واحة جغوب إلى واحة الكفرة في الجنوب الشرقي من ليبيا لكي تكون قريبة من طالبي الاتصال بالدعوة من شباب ليبيا.

لم تختلف الدعوة السنوسية مع الدولة العثمانية بل أعلنت الدعوة ولاءها للدولة العثمانية، وكذلك لم يبد العثمانيون أي تطرف من حركة الدعوة السنوسية باعتبارها دعوة إلى الدين، فهي تجمع المسلمين تحت راية الإسلام وتدعى إلى الاستقرار فلذلك شجعت الدولة العثمانية الدعوة السنوسية إلى المضي في طريقها، واعترفت للزعيم السنوسي بالإمارة السنوسية وجعلها وراثية لخلفائه القادمين، كما أعمت أملاك الزوايا من الصنائع، وكذلك سمح للسنوسية بجمع ضريبة من أتباعها، وفي عهد السلطان العثماني عبد العزيز اعتبروا الزوايا السنوسية (حمى) يل جا إليها الناس.

وتوطدت العلاقة بين العثمانيين والسنوسيين وتواصلت الوفود بين القسطنطينية والمقر السنوسي في جغبوب أثر في الكفرة.

لقد لعبت الزوايا السنوسية دوراً مباشراً حين تصدى للتفوز الفرنسي من أن يمتد إلى داخل القارة الأفريقية.

لقد جعلت الدعوة السنوسية من الإسلام أساساً للدعوة والقرآن والسنة هي الأصل الذي يجب الاعتماد عليها في فهم الإسلام.

وقال الزعيم السنوسي بأن باب الاجتهاد لم يقفل ومن ثم يجوز الاجتهاد.. ولم تقتصر الدعوة السنوسية على العبادة والتصرف وإنما عبادة وعمل وكفاح. ولذلك أقامت الدعوة الزوايا التي صنعت المساجد والمدارس والمزارع والمتاجر. ويقوم الناس فيها بالعمل باجتهاد.

لقد دربوا الزعيم السنوسي الكبير الطرق الصوفية المتعددة مثل

للتبرجانية والشاذلية والأدريسيّة والقادريّة ، لقد نادت السلوسيّة بالعودة إلى الإسلام الذي يجمع بين الدين والدولة . ولذلك نادت الدعوة باتخاذ حياة للرسول مثّاراً يقتدون به ونمودجاً اسمى يتعلّمون على الوصول إليه .

لقد نادت السلوسيّة للعمل للدين والدنيا معاً . لقد كانت الزاوية هي مركز الحياة الروحية والمادية وشكّلت الزوايا بحسب تحدّي على قاعة ومحراب للصلوة وغرفة لحفظ القرآن أو تلاوته ، وبعض غرف للمتنبّف والطلبة ، وبعض الزوار من ينزلون بها مع ما تحتاج إلى من المرافق . وانتهت الزاوية أحياناً حتى تصبح مسجداً يمثّل من فيه من الزوار والطلبة .

وأحياناً يخصص بها غرفة لشيخ الزاوية يدفن فيها وتتعلّمها قبة . ولقد نادت الزوايا كدور علم في كثير من الأحيان فضلاً عن أماكن مخصصة للعباد والزهد ، وغرف تسكّن الطلاب والشيوخ ، كما أحدثت المكتبات بالزوايا .

فجامع زاوية جغبوب بلغ اتساعه بحيث يصلّى فيه نحو ستمائة مصلّى في وقت واحد ، كما بلغ عدد الطلاب المتّردّين على الزاوية من أقحاء ليبيا ما يقرب من ثلاثة مائة طالب .

كما خصص للتجار قاعات كبيرة لحفظ بضائع التجار وعرضها للإيل اللى تنقل التجار . كما اعنى المسؤولون عن الزاوية بتدبير المياه اللازمة للزاوية وزوارها من بذر في الزاوية أو بالقرب منها .

كما بنيت الأسوار حول الزاوية وزودت الحصون والأبراج وستخدم

لأغراض الدفاع، ولذلك اعتبرت الزاوية مركز الوحدة القبلية، مما جعلها مكاناً آمناً لمن يلجأ إليها من الناس. كما خصصت أراضٍ لرعايتها تابعة للزاوية.

ورئيس الدعوة هو الذي يقوم بتبنيه شيخ الزاوية ويتم الاختيار بموافقة رجال القبيلة، ويشترط في شيخ الزاوية أن يكون على مستوى المسؤولية والكفاية العملية حتى يمكنه معالجة ما يعرض له بحجة قرية وأسلوب مقطع، لأن شيخ الزاوية هو صاحب الحل والربط فيها، فهو الذي يشرف على التعليم، وحفظ النظام ويعتنى بالقواعد.

لقد حمل المسلمون في الزاوية السلاح إذا ماتهددهم خطر من الأخطار، فكان يجتمع الأخوان زرافات ووحدانا إلى الزاوية ومعهم أسلحتهم لمقاومة الخطر وليقضوا على مصدره، تنفيذاً لخطة شيوخهم وتحقيقاً لهدف واحد هو مواجهة الأعداء وصدتهم عن البلاد.

كما جعلوا الزاوية في أماكن هامة مثل ملتقى الطرق والإشراف على ماحولها وسهولة الدفاع عنها وجعلوا من الزاوية وحدة متماضكة وعلى اتصال مستمر بالقيادة العليا للدعوة.

لقد تمكنت الدعوة من مواجهة الاستعمار الأوروبي زمناً طويلاً.

* حركة المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالي:

نحو منصفة الظروف التي أدت إلى ضعف الدولة العثمانية وظهور الاستعمار الأوروبي وأطماعه في البلاد الإسلامية تحولت الدعوة السنوسية إلى حمل السلاح للدفاع عن البلاد وعملت الدعوة السنوسية على التعاون

مع العثمانيين ضد الاستعمار الإيطالي، وعندما اعتقدت إيطاليا على برقة توحد الشعور الوحدوي وقوى الولاء بين العرب.

لقد أخذت إيطاليا تتطلع لامتلاك ليبيا منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وكانت الدولة العثمانية لائزنا صاحبة حق في حكم ليبيا، ولم يكن ذلك يخفى على الدول الأوروبية. ومع ذلك فقد عمدت إلى إتخاذ خطوات لتحقيق أهدافها، فقد قاموا بفتح المدارس في طرابلس وبني غازى، وإرسال الجماعات التبشيرية وفتح فروع للبنوك الإيطالية، ليسيطروا سلطانهم على اقتصاد البلاد.

وأقامت الفحصالية الإيطالية في كل من طرابلس وبني غازى بأعمال الدعاية والتجسس لمعرفة المراكز الدفاعية.

أما الدولة العثمانية فقد أهملت الدفاع عن ليبيا الأمر الذي دفع الإيطاليين للإندفاع في تحقيق أهدافهم الاستعمارية.

ففي عام ١٩١١هـ/ ١٩٢٠م أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا وقام الجيش الإيطالي باحتلال طرابلس والخمس وبني غازى ودرنة.

أما السوسية فقد بادر زعيمها السيد أحمد الشريف بإعلان الجهاد وبعث المنشورات إلى جميع الزوايا وطالبيهم بتلبية النداء. وفي برقة استعد السنوسيون للجهاد. ثم اشتبك الفريقيان في معارك انتصر فيها السنوسيون على الإيطاليين الذي بلغ عددهم ستة وثلاثين ألف مشاة وستة آلاف وثلاثمائة من الفرسان.

كما بعثت الدولة العثمانية ضباطا إلى برقة لتنظيم القتال وبلغ جنودهم

أربعة ألف ومائة جندي. وكذلك كلف السيد أحمد الشريف وكان مقينا بالكفرة السيد عمر المختار شيخ زاوية القصورو بالبدء في الدفاع ضد الأعداء.

وكان عمر المختار صادق العزيمة قوى الشكيمة رابط الجيش قوى الإيمان بالله. وقد تعاون كلا من العثمانيين والأهالي الذين بلغ عددهم خمسة عشر ألف يقاتلون الإيطاليين دفاعا عن أرض الوطن.

وفي درنة تغلب العرب على الإيطاليين فسقط مئات من القتلى واستولى العرب على سلاحهم وเมزدتهم واستشهد من العرب نحو أربعين شهيدا.

ثم تطورت الأمور بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية وانتهت بعقدها معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ھ / ١٩١٢م وقد نصت المعاهدة على إيقاف الحرب بين إيطاليا والدولة العثمانية وانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا.

ثم أعلنت الدولة العثمانية منع ليبيا الاستقلال الداخلي وتعيين ممثلا للدولة العثمانية في ليبيا يمنع لقب نائب السلطان لحماية المصالح العثمانية.

أما إيطاليا فقد أعلنت هي الأخرى من جانبها سيادتها على ليبيا.

أما الزعيم السلوسي السيد أحمد الشريف فقد أعلن الجهاد ضد الأعداء ورفض معاهدة الصلح. على أن القوة العثمانية التي في برقة بقيت وتترك للسنوسين أمر الدفاع عن البلاد. وكان بداية السيادة السلوسية على البلاد.

وقف العالم الإسلامي بجانب الشعب الليبي يؤازره بالتبرع بالأموال والمتطوعين من كافة التخصصات للدفاع عن البلاد.

واصل الإيطاليون الحرب في برقة وقد نجحوا في احتلال بيته وبيوتريم والأبيار وطرکرره وجرس العبيد وطلميته والمرج وسلطنه والشحات ومرسى سوسه وذلك في أوائل عام ١٢٢٢هـ / ١٩١٣م وقد تكبد الإيطاليون خسائر فادحة إلا أنهم واصلوا الحرب، وتحمّلت السلوسيّة عبء قيادة الحرب منذ إيطاليا، أما تركيا فقد خرجت من الحرب تماماً.

ولما تعذر على العرب فدال الإيطاليين وجهوا لوجه لكثرة عدد جيوش الأعداء، عذّلوا اتجاه العرب إلى حرب العصابات وقد أدى هذا الأسلوب إلى تحقيق انتصارات وأنزلوا بالإيطاليين خسائر فادحة في قواتهم.

على أن الإيطاليين كانوا قد عقدوا العزم على مواصلة هجومهم على للبلاد في محاولة للقضاء على المقاومة السلوسيّة، وعملوا على الوصول إلى الجبل الأخضر وتمكنوا فعلاً من احتلال العرقوب وأم شخاب وشليظمه وإزويتينية وإجدابية، وقد استردها العرب، وتمكن الإيطاليون من السيطرة على أكبر قسط من الشمال الليبي وخاصة برقة في جنوبى وادى الفارغ، ثم قلت المؤنة بين صرف المدافعين خاصة بعد انزول القحط والجفاف.

ثم قامـت الحرب العالمية الأولى وانضـمت إيطاليا إلى الحلفاء وصارـت بذلك بـريطانيا وإيطاليا جـبهـة واحدة وـفي ظـلـ تلك الـظـروف تـناـزلـ السيدـ أـحمدـ الشـرـيفـ عنـ الـقـيـادـةـ السـيـاسـيـةـ وـالـعـسـكـرـيـةـ إـلـىـ السـيـدـ مـحـمـدـ إـدـرـيسـ المـهـدىـ، وـأـبـقـىـ هوـ لـنـفـسـ الـقـيـادـةـ الدـيـلـيـةـ. وـصـارـتـ الزـعـامـةـ لـإـدـرـيسـ المـهـدىـ مـلاـئـمـاـ عـامـ ١٢٣٦هـ / ١٩١٧مـ.

وـبنـاءـ عـلـىـ هـذـاـ التـغـيـيرـ فـيـ الـقـيـادـةـ لـجـأـتـ الـدـوـلـ الـأـرـبـيـةـ إـلـىـ السـيـدـ المـهـدىـ لـتـقـارـبـ مـعـهـ فـيـ شـلـونـ الـبـلـادـ.

ويتجه من السيد أحمد الشريف الذي استقر في جنوب تولى السيد إدريس السنوسي إدارة الأجزاء الغربية من برقة (برقة البيضاء) وتكون في الجاذبية مركز القيادة بينما تولى السيد محمد الرضا أمراً الجبل الأخضر وتولى السيد محمد صفي الدين أمراً طرابلس.

على أن الإيطاليين تمكنوا هم والسنوسيين من عقد هدنة عسكرية قرب طبرق في عام ١٩١٧ـ/١٣٣٦ـ وقد تنصت الهدنة على :

١. إيقاف العمليات العسكرية بين الطرفين وإبقاء الحال على ما هو عليه.
- ٢ - تبقى المحاكم الشرعية في مباشرة عملها في البلاد.
- ٣ - تفتح المدارس العلمية والمهنية في برقة.
- ٤ - إعادة الزاوية لمباشرة عملها وتنفعى من الصنائب.
- ٥ - تقوم الحكومة الإيطالية بدفع رواتب العاملين فيها.
- ٦ - يتم التبادل التجارى بين طبرق وطى غازى ودرنة في المناطق الداخلية من البلاد.

وبعد ماقرر السيد أحمد الشريف في زعامته السنوسية إلى ابن أخيه السيد إدريس السنوسي بن السيد المهدى، قام السيد إدريس بالاتفاق مع الإيطاليين على السيادة الإيطالية على برقة الشمالية وتسليم الأنصار السلاح مع الرجوع لمشايخ الزوايا إلى زواياهم والاعتراف بالطريقة السنوسية واستقلال جنوب برقة وجنوب وأرجيله رجاله والقدرة مركز

الملوسيين إدرايا واعفاء الأسرة السنوسية من الرسوم الجمركية وكفاله للحرية الدولية .

وهكذا أصبحت السلطة الليبية مركزه في يد السنوسية ومعدنها بها دوليا، وبذل السيد إدريس السنوسى يعلم على توطيد نفوذه في برقة من مركز قيادته، على أن إيطاليا لم تبرح تحاول بسط مسلطتها على برقة كما فعلت في طرابلس. وفعلا تم لإيطاليا في عام ١٩٢٨/١٣٢٨ م وضع دستور يكتن لها السيطرة على برقة إدرايا وعسكريا، وقد تذمر الأهالي في برقة واستشعروا خطورة الموقف وعقد اتفاق الرجمة في عام ١٩٢٩/١٣٢٩ م الذي نص على اعتبار جنوب برقة إدارة سنوسية باعتبارها إدارة مستقلة يرأسها الأمير إدريس الذي يحمل لقب أمير ويصيّر وراثياً.

وفي عام ١٩٢٢ م / ١٣٢٢ نقض الإيطاليين عهودهم ووقفوا لمن يتصدى للدفاع عن البلاد بالمرصاد إلى حد الإعدام، وقد حكم السيد عمر المختار حكم عليه بالإعدام .

وهكذا ظهرت بوادر قيام نزاع مسلح جديد بين الليبيين والإيطاليين، خاصة بعد استيلاء الفاشيين على الحكم في إيطاليا، وعند ذلك قرر الأهالي في إقليم طرابلس مبادرة السيد محمد إدريس السنوسى أميراً على طرابلس ويعطوا إليه بوفد إلى إجدابية لإبلاغ الأمير السنوسى بذلك الذي قبل توحيد البلاد تحت إمامه تحت الحاج أهالى طرابلس وبرقة جميعهم .

ثم رأى الأمير إدريس ضرورة السفر إلى مصر عن طريق جنوب بعد أن فرض أخاه السيد محمد رضا وأبن عمه السيد صفي الدين لإدارة مثلون

البلاد. وبعد ذلك فوجئ الليبيين بإعلان إيطالي إلغاء جميع الاتفاقيات واعتبارها باطلة. ثم أبلغوا بذلك إلى الأمير إدريس بالقاهرة.

وهذا بدأ الليبيون الجهاد ضد المستعمر الأوروبي الفاسد وفي عام ١٣٣٢هـ / ١٩٢٣م بدأ القتال بين الفريقين في برقة واستمر إلى عام ١٣٤٢هـ / ١٩٣٢م عمد فيه الإيطاليون إلى استخدام العنف إلى أبعد للحدود ضد المدافعين وقتلوا وشردوا الأهل الكثيرين ولم يبال المدافعون بتقديم أرواحهم فداء لوطنيهم وعروبتهم واستخدموا أقصى مادتهم من طاقات مادية ومعنوية لتحقيق أهدافهم في مقاومة المعذبين وصدتهم عن البلاد.

لقد قاتل الليبيون قتالاً شديداً دل على شجاعتهم وقدائهم، وقد قسموا أنفسهم فجعلوا القادرين على حمل السلاح يقاتلون في ميدان القتال وأما الفريق الآخر، فقد حاربوا بالعمل على رفع معنويات الأهل للاستمرار في المعركة والمقاومة والاستبسال في الدفاع.

لقد شارك الشعب الليبي جميعه من النساء والشباب والشيوخ كل حسب طائفته. بل الأكثر من ذلك أن من جندهم الإيطاليون للقتال في صفوفهم كانوا كثيراً ما ينتظرون بقتال العرب لهم في الحقيقة يساعدونهم على تحقيق النصر ضد الإيطاليين، كما تعاونت القبائل مع بعضها البعض بشكل أريح الأعداء الإيطاليين في كثير من المرافق في ميادين القتال.

وفي عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م عمدت إيطاليا إلى محاولة كسر معنويات المجاهدين السادسين فاتجهت إلى راحة جغبوب لاحتلالها وقد تم لهم ذلك فعلاً، إلا أن استيلاءهم على جغبوب لم يفت في عزيمة المجاهدين، وإنما دفعهم إلى الاستمرار في المقاومة والدفاع ضد المعذبين حتى النصر.

وفي عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م تغلب الإيطاليون على العرب واستولوا على الجبل الأخضر.

وبقيت أحوال الشعب في ليبيا في ظل مقاومة الأعداء سيدة للغاية، بينما الأمير السنوسي السيد محمد إدريس في مصر التي سافر إليها منذ ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م إلى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م في جهاد ونشاط لدفع المقاومة في ليبيا للإستمرار في حربها ضد العدوان الإيطالي وهو يؤمن لها كل ماتحتاجه من مصر، ويستعد لل يوم الذي ينال له فيه القضاء على المعذبين الإيطاليين.

لقد اجتمع الليبيون في مصر حول الأمير إدريس السنوسي واتفقوا جميعهم على اختياره ليتحدث باسم جميع الليبيين ويقرر ما يراه صالحًا لبلادهم في ليبيا.

وعدد قيام الحرب عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م أعلن الأمير إدريس انتقامه إلى جانب الحلفاء وحصل منهم على وعد باستقلال ليبيا وفي عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م أعلنت إيطاليا إنضمامها إلى ألمانيا.

وعدد اجتمع الأمير إدريس برفاقه من الجالية الليبية وسموا أنفسهم باسم «الجمعية الوطنية الليبية»، وأصدروا بياناً هو :

١. التعارن مع الحلفاء للعمل على نطهير ليبيا من الإيطاليين.
٢. اعتبار الأمير محمد إدريس أميراً على ليبيا الموحدة.
٣. تشكيل مجلس شورى - برقة - دارالبلان للأمير إدريس.

- ٤ - اعلان الحرب ضد إيطاليا في صفر واحد مع البريطانيين تحت الرأية السنوسية.
- ٥ - تشكيل حكومة ليبية في المنفى (مصر).
- ٦ - طلب مساعدة مادية من بريطانيا لقيام السنوسية بالجهاد ضد الإيطاليين، وفقاً للتقاليد العربية.
- ٧ - إعطاء تفويض للأمير إدريس بعدم الانفاقات والمعاهدات الازمة، مع منع استقلال البلاد.

ثم دب الخلاف مع الأمير حول بعض النقاط التي جاءت في البداية.
وفي عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م تم التصالح بين الفريقين من أصل برقية وطرابلس وقبل الجميع قيادة البلاد تحت راية واحدة هي راية ليبيا الموحدة.

وتم طرد الإيطاليين من ليبيا، ثم قامت بريطانيا باحتلال أقليمي برقية وطرابلس . وقامت فرنسا باحتلال إقليم فزان.

ولما وجد المحتلون الجديد الأوضاع في أسوأ حال عمدوا إلى فتح أسواق جديدة لمنتجات ليبيا في مصر وتونس وبريطانيا، فتجدد النشاط التجاري.

ثم حدث فخط في عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م مما ترتتب عليه ضياع المحصول وقد نصف المواشي، وعندئذ قامت المصارف البريطانية التي أنشأتها بريطانيا بصرف القروض للمزارعين، ثم أعيدت المدارس حتى بلغت ١٧٣ مدرسة وقامت هيئة الأمم بتقديم العون المادي، وضمت إدارة

الهيئة بين موظفيها من الليبيين الذين تم تدريبيهم على الأعمال التي كلفوا بها في مراكز تدريبية حديثة.

عملت الإداره البريطانية على تشغيل الليبيين في الأعمال المختلفة في إقليم برقه، بينما استخدمت في طرابلس الإيطاليين أما الإداره الفرنسية في إقليم قزان فقد اتخذت طريقة مخالفا لما اتبعته بريطانيا، فقد جعلت العملة المتداولة الفرنك الفرنسي والفتيرة الإيطالية. وجعلت ميزانية الإقليم ضمن ميزانية الجزائر التي تقع تحت سلطتها حينذاك. وعملت على نطريق المدنية التي سيطرت عليها في ليبيا ومنعها من الاتصال بمصر وجعلتها فاصلة على الدول التي تتكلم الفرنسية.. ومنعت في نفس الوقت قيام مؤسسات علمية أو اجتماعية ومنعت إنشاء ورش للإصلاح.

وقد اختلف الوضع في الجانب البريطاني حيث كان التعاون قائما بين الأنجلو والليبيين في مختلف نواحي النشاط.

وفي عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٢م بدأ الليبيون يهتمون بالتوابع الرياضية والثقافية والاجتماعية وعملوا على المندادة بوحدة البلاد الليبية.

وفي عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م أعلن انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م أعلن الليبيون مناهضتهم للاستعمار الإيطالي فبدأوا يعملون على إلغاء القرائن الإيطالية لتحق محلها القرائن الوطنية وتولي أبناء البلاد حكم أنفسهم ، وعملوا على رفع مستوى الشعب في مختلف التراحم.

وتععدد الأحزاب السياسية كان منها حزب الأحرار الذي طالب بوحدة ليبيا تحت إمرة السيد محمد السنوسى ثم ظهر ممثلون لإقليم برقه

روظابوا هيئة الأمم بالآتى:

١ - استقلال البلاد تحت إدارة محمد إدريس.

٢ - تكرين حكومة دستورية وطنية.

٣ - قبول هيئة وطنية لتمثيل البلاد في هيئة الأمم المتحدة.

ثم أعلنت هيئة تحرير ليبيا في القاهرة تطالب جامعة الدول العربية باعتبار ليبيا موحدة تحدها مصر شرقاً وتونس غرباً مع الاستقلال التام والانضمام إلى الجامعة العربية.

كما ظهرت تيارات أخرى تطالب بالانضمام إلى مصر وتكون دولة موحدة من مصر ولبيبا.

على أن تعدد المطالب العزيزية في ليبيا أورشك أن يؤدي إلى تقسيم ليبيا وضياع استقلالها، وعندئذ أحس الليبيون بالخطر المحدق بلبيبا فأجمع زعماء طرابلس على إعلان وحدة ليبيا مستقلة وتشمل برقة وطرابلس وفزان.

لقد اختلف الوضع بعد أن تعددت الآراء حول وضع الدولة الليبية الجديدة بين آراء الدول الأوروبية لإعادتها إلى إيطاليا أو تقسيمها بين الدول الأوروبية. وهنا انحدرت آراء جامعة الدول العربية وآراء الكتلة الأفريقية الآسيوية على أن تصبح برقة وطرابلس وفزان دولة واحدة متحدة باسم ليبيا، وأن تكون مستقلة ذات سيادة، على أن يتحقق هذا الاستقلال سريعاً بحيث لا يتجاوز على ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

وقد انتهى الأمر في هيئة الأمم المتحدة إلى إصدار قرار في نوفمبر ١٩٤٩م يقضي بأن تصبح ليبيا المكونة من برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة.

كما قررت:

منح ليبيا الاستقلال في موعد لا يتجاوز بذير ١٩٥٢م (جمادى الأولى ١٣٧٢هـ).

وهكذا تحقق الأمل الذي طالما كان يسع الليبيون في سبيل الوصول إليه منذ العدوان الإيطالي ضد الشعب الليبي في عام ١٩١١هـ / ١٩١١م.

وفي عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م تمت وحدة ليبيا تحت حكم الملك محمد إدريس السنوسى. وانضمت ليبيا إلى الجامعة العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة.

لكن حكم الملك محمد إدريس السنوسى لم يسيطر على الأمور الداخلية بقدرة ماهى مهد للنجاح ثورة عسكرية بقيادة العقيد معمر القذافى فى أول سبتمبر ١٩٦٩م (رجب ١٣٨٩هـ) الذى استطاع أن يخلص بلاده من القواعد الأجنبية في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

الفصل الثالث

الدور الحضاري الليبي

- * حياة الليبيين الاجتماعية واحتلالهم بالزراعة والرعى وتربية الخيول والتجارة .
- * النشاط الثقافي
- * النشاط الصورفي
- * المساجد والزوايا

شعب ليبيا من سلالات عرقية من البربر الذين استوطنوا الشمال الأفريقي من مصر إلى المحيط الأطلسي، كما استوطنها الأفارقة بقایا شعوب قرمادة وأجناس الشعوب المستعمرات الآتى من الرومان والبيزنطيين واليونانيين.

أمام البربر فينقسمون إلى بتر يسكنون في السهول والهضاب الممتدة من طرابلس إلى فازة ويتشارون في إقليم الدخيل ويتمد من غدامس إلى قوسين الأقصى، وفي إفريقيا وفي إقليم الثل من طرابلس وعلى سفح جبال أوراس ويشغلون بالرعي.

أما البرانس فهم سكان المدن ويسكنون السهول الخصبة والمدن ويشغلون بالزراعة والصناعة وهم أكثر تأثرا بالحضارة البيزنطية. وقد قاومت البرانس العرب لتأثيرهم بالحضارة البيزنطية.

أما البُّنْتُر فقد تعاونوا مع عرب الفتح الإسلامي منذ اللحظة الأولى، بينما انضم البرانس إلى الحركات المعارضة الإسلامية.

فيعد نزول العرب المسلمين في بلاد المغرب واختلاطهم بالبربر، قام التعرب الثقافي إلى جانب التعرب السلاوي في بلاد المغرب بصورة تلقت للنظر ومثلت قبائل المغرب دورا هاما في تاريخ العربية في مصر وشمال إفريقيا وببلاد السودان من السنغال في أقصى الغرب إلى الصومال في أقصى الشرق.

وكان للفاطميين أثر لا ينكر في هجرة جموع كبيرة من قبائل البربر المتعربة إلى مصر. فمن المعروف أن الفاطميين قد اعتمدوا في تأسيس

دولتهم بال المغرب على هذه القبائل، وكان في جيشهم فرق منهم، وكان من الطبيعي أن تتنقل جميع منهم إلى مصر بانتقال الفاطميين إليها، ولابدًا بعد العصر الفاطمي مرحلة هامة في تاريخ الهجرة المغربية إلى مصر وبالعكس. فجميع العرب الذين يعيشون على الساحل غرب إسكندرية انحدروا من قبيلة سليم وهي القبيلة التي أرسلها اليازوري مع بنى هلال ليقهروا الإقليمين الثلاثين تونس وطرابلس، وقد محنى بدو هلال إلى الغرب واستقر بدو سليم في الجبل الأخضر ببرقة وفزان ووдан، واختلط نسلهم بدم البربر، وأخذوا يتتنقلون بين مصر ولibia. ومن هؤلاء قبائل الهنادي والبراقيث، ومنهم بنى عزاز عريف بن عمرو وبدو ذكوان وبدو عوف وبتو الحارث وبدو عصبة.

على أن قبائل البربر التي حملت أنساباً عربية تنقسم إلى شعوبين قبائل لوانه تنسب إلى الفيسية وقبائل هوارة تنسب إلى السبطية.

على أن مؤرخي العرب يترددون في نسب لوانه وهوارة، وكذلك يختلف المؤرخون في نسب هوارة فيهم من حمير أو البربر، ومع أن هذه القبائل ترجع أصلًا إلى البربر إلا أنها اختلطت بالعرب الساكنيين معهم في بلادهم، من طريق الحلف أو الولادة أو المصادفة وظهر ذلك في التعرب الثقافي وفي تعلق قدر من العروبة السلالية في أصولهم البربرية.

على أن التعرب الثقافي وهذه كاف للحكم بعروبة هذه الجماعات.

اهتم العرب في ليبيا بتربية الأنعام، فهي لأنستطيع الاستفادة منها في كل الأحوال، وقد برعوا في العناية بالحيوان، وبلغوا الغاية في تربية الخيول فهي سلاحهم يدافعون به عن ممتلكاتهم وأنفسهم.

وقد أفادت عرب الفتح البلاد المغربية في الاهتمام بالأنواع الأصلية منها. فقد تناخر الزعماء المغاربة بالخيول العربية وقالوا بأن أفننت الخيول هي الخيل العربي العناق الأحاساب المدرية عند الأعراب.

وكثيراً ما قدم العرب الخيول إلى الجيوش العربية الموجهة إلى الأعداء وخاصة في البلاد الأيبانية للدفاع عن عرب الأندلس. وقد ازدهرت تربية الخيول في المنطقة الممتدة من برقة وحتى المغرب الأوسط ثم امتدت حتى المغرب الأقصى بانتقال بطون عربية من بني هلال وسليم إليها.

على أن أكثر المهتمين بتجارة الخيول ونقلها من بلاد المغرب ابتدأه من برقة إلى قابس هم عرب ذباب. كما اهتم العرب بتربية ورعاية الأغنام وكانت الكثير من المدن المغربية وضواحيها ومرايعها أوطاناً استقر بها العرب وجعلوها مجالاً لنشاطهم وسيطرتهم، وتعتبر الأغنام هامة جداً لل الاقتصاد وذلك لوفرة لحومها وأليانها وأصواتها، وتستخدم أصواتها في صناعة السجاجيد والخياط.

أما الماعز فتُعطى كميات كبيرة من اللبن إذا توفر لها الغذاء وهي ترعى النباتات والأعشاب، وتستخدم أصوات الماعز في صناعة النباتات والأعشاب. وتستخدم أصوات الماعز في صناعة الأحبال والمنسوجات، كما توجد في ليبيا الماشية كالذى يوجد في شمال أفريقيا ويمتاز بقدرته على مواجهة التقلبات المناخية.

أما الإبل فهي من ذوات السنام الواحد وهو متعدد الأنواع وجميعها يتغذى بالنباتات الشوكية، ونباتات المستقيمات المالحة، وتعطى كميات من اللبن يومياً.

كما تردد معاصر لاستخراج الزيوت في طرابلس وناجوراء، كما تتم عمليات التعقيم والتجفيف ثم التغليف والتسيير، كما يتم دبغ الجلد لوفرة الجلد الخام.

كما يستخرج الملح من الملاحم بكميات كبيرة من الملاحم المنتشرة على طول الساحل في بني غازى وكركروزة وطرابلس ومصراته، ويتم تسويقه وتصديره، ويستخدم الملح في الطعام ودباغة الجلد وصناعة الن้ำ وصلح الأسماك.

ويوجد الأسفنج قريباً من الساحل الليبي ويعالج بعدة عمليات صناعية لتنظيمه وتغيير لونه وتلعمه. وكما اشتغل العرب بتربية الحيوان، اشتغلوا بالزراعة والفالحة وخاصة القبائل التي اضطررت للاستقرار بسبب أو لأن آخر على امتداد بلاد المغرب من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وخاصة المدققة من برقة إلى طرابلس التي استقر بها عرب هبيب من بني سليم كما استقر عرب بدر ذياب في طرابلس وناجوراء وهزاعة وزنزروا وغيرها، كما استقروا بفزان وودان.

ويعتبر الشعير أهم المحاصيل الزراعية والغذاء الأساسي للسكان، وهو يفرق القمح. على أن الشعير أكثر ملائمة للمناخ وهو سريع النضج ويزرع الشعير في فزان على مياه العيون والأبار ويزرع القمح في السهل الساحلي بالرى والأمطار. كما يزرع في المرتفعات في إقليمي برقة وطرابلس على مياه الأمطار. وينتشر الانتاج الزراعي وفقاً لحركة الأمطار.

أما في فزان فتتم الزراعة بالرى من عيون المياه، وأما سهل جفارة في طرابلس وسهل المرج في برقة فهما أشهر مناطق زراعة الجذوب في ليبيا.

ويناسب المناخ الليبي زراعة الزيتون ولذلك كثُرت زراعته، وهو على الشعير في الأهمية للسكان، ونكثر زراعته قرب الساحل وفي الجبل.

ويعد التمر غذاء أساسياً للسكان خاصة في الواحات ولذلك تكثر زراعته في الداخل في قيعان الأودية الجافة ويكثر التخilver في فزان بصفة خاصة وهو على الزيتون في الأهمية.

ونذكر زراعة الكروم في طرابلس وبرقة والبيضا ويوجد اللوز في برقة وطرابلس.

أما الجهات الساحلية فتختص بزراعة الحمضيات وهي أنواع يقبل عليها الأهالي لجودتها ويزرع التبغ في طرابلس وفي غريان والعزيزية ويستخدم في صناعة السجائر في ليبيا.

ويزرع الفول المبوداني في فصل الشتاء وفي السهول الشمالية والأراضي الرملية، وتستخدم مياه الري لزراعته.

ويneath عشب الحالاً ثقائياً في أطراف جبل طرابلس وفي المناطق شبه الصحراوية في نزهونة، ومنه يصنع الورق وخاصة أوراق النقد ويصدر لأوروبا.

أما عن التجارة، فقد بسط الليبيون سلطانهم على طرق التجارة بين أفريقيا والمغرب وشمال السودان عن طريقين:

ال الأول من بلاد أفريقيا في الشمال متوجهًا صوب الجنوب عبر الواحات

إلى المدن الكبرى في السودان، عبر حوض السنغال.

كما أن مدن زالة وزويلة ومقبج وودان وصرت وزويلة ابن خطاب كانت تقدر مراكز تجارية مع السودان وكان الملح أهم السلع التجارية مع السودان وكل الشمال الأفريقي.

وكان عرب ذباب من سليم الذين استقروا في إقليم طرابلس يعيشون من تجارة الملح. على أن العرب اهتموا بتجارة الملح مع السودان وأيضاً مع الدول الأوروبية بعد طحنه ثم تصديره.

كانت قوافل التجار تتعامل مع السودانيين بالملح والنحاس والتودع في مقابل الصمغ والصدف والخرز والتبر. على أن المنطقة المعتمدة من برقة إلى طرابلس وجد بها معدن الكبريت، وقام الليبيون بتصديره، كما وجد ببلاد فزان معدن الحديد ومعدن الفضة في جبل جرجس.

وهذا شجع الليبيين من عرب ذباب وناصرة على الاستقرار فيها. كما بسط الليبيون سلطائهم على طريق التجارة الممتد من الإسكندرية إلى طرابلس. كذلك فإن برقة كانت المحطة الأولى بين مصر والمغرب.

كما قام الليبيون بتصدير الأغنام لمصر وكذلك عسل النحل وشمعه.



أما عن أحوال المغرب الديني والمذهبية فإن الفتح العربي لبلاد المغرب كان منذ البدء هدفه الأساسي هو نشر الإسلام والعمل على بسط تعاليم الدين الإسلامي لشعوب تلك البلاد، حتى يتعلموا مبادئ الإسلام ويفيض عليهم بأنواره فيسعدون في حياتهم وبعد مماتهم، وهذا فضلاً عن

الأسباب الأخرى منها تأمين العرب لفترحاتهم في مصر.

دخل العرب بلاد المغرب، وبها عدد من المعتقدات الدينية، فعندهم
الجوس وهم منتشرون في أنحاء مختلفة من البلاد مثل وليلي عند زرهون
وبلاد المصameraة وبلاد السوس. كما اعتنق المجوسية قبائل بدوي يازغة وليلي
برغش وزنانه الحبابية ومغراوة وبدوي بفرن الزناتي.

كذلك عرفت تلك البلاد الديانة اليهودية مثل قبيلة جراوة، قبيلة
الكاهنة في جبال أوراس وقبائل نفروسة، في أفريقيا.

كما عرف أهل السهل الساحلي الأفريقي المسيحي،أخذ البرير يدخلون
في الإسلام وتعلقا بمذهب الإمام مالك، وكان لهم حصناً لجأ إليه كثير من
سكان المغرب بعيداً عن التيارات المذهبية لجماعات الخوارج، وصار
للمذهب المالكي وضعه المميز في المجتمع وجعلوا منه قدوة ومثلاً أعلى
لهم في حياتهم.

لقد أخذ الإمام مالك باسلوب مميز هو التعميك بالكتاب والسنة، وهو
يسير على طريقة تعدد المناهج وسعة مدى التفكير الذي يفتحه لأنفسهم
القائمون على المذهب من تلامذة الإمام، وتعدد الأجنحة الفكرية التي
يجتهدون فيها، وكثرت الأقطار التي أخذ فيها بالمذهب المالكي. فظهر في
بلاد الشام ثم امتد إلى بلاد المغرب حتى الأندلس.

وكان فقهاء هذا المذهب من جمع بين الفقه العميق والفلسفة فهذا ابن
رشد الفقيه الذي تلقى عنه الأوربيون فلسفة أرسطو والذي نازل الغزالى في
هجومه على الفلسفه، وكان فقيها ممتازاً في الفقه المالكي ولهم الكتاب القيم

في النقه المقارن المسمى (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) .

وهكذا كان انتشار مذهب مالك في غرب البلاد الإسلامية، حتى يمكن القول أن المذاهب المالكية لعبت دوراً كبيراً في حياة السكان سواء في المجال السياسي أو في المجال الحضاري.

وصار مذهب الإمام مالك هو المدخل لكل من يرغب في الاندماج في المجتمع المغربي.

لقد حمل تلامذة الإمام مالك الموطأ الذي كتبه الإمام مالك، وهو يعد أول كتاب جمعت فيه روايات من السنة، وكانوا قبله يعتمدون على الذاكرة ولم يكن عزف التدوين، فضلاً عن قلة من يعرفون الكتابة.

كذلك وجدت أقوى اتفاقيات اعتقدت مذاهب أخرى كانت تمثل تجمعات بشرية لا تتميز بصفة قبيلية وإنما بصفة طائفية، ومن هؤلاء الشيعة .

الشيعة بمعنى الذين شاعروا على بن أبي طالب أمير المؤمنين، وقالوا بإمامته وخلافته وأن الإمامة لانخرج عنه وعن بيته إلا بظلم وأن على وذريته أحق الناس بالخلافة، ويجمعهم الفرق بوجوب التعميم للإمام بالتصدر عليه من قبله، وبليورت العصمة للأئمة عن الكبائر والصغراء، ويجمع الشيعة حب على ، ويختلفون فيما سواه .

ومن الشيعة من يرى أن الإمام في الكمالات وهي الصفات الروحانية دون النبي وفرق البشر ويعتبرون الإمامة ركن من أركان الإيمان .

ومن الملاحظ أن الباطلية، التي هي أساس الدعوة لطائف الشيعة، قد لزمهم هذا اللقب «الباطلية»، لقولهم بأن لكل ظاهر باطلنا ولكل تنزيل تأولاً والمقصود بكل هذا هو القرآن الكريم والحديث فهو أشبه بالتفسير عند السنة وبالفقه.

وقد دعوا الناس إلى إمام في كل زمان يعرف موازنات العلوم الدينية والمذهبية الشيعية يهتدى إلى مدارجها وهم فرق متعددة. منها فرقة أولاد الحسن لأنها أكبر أولاد على وفرقة سلسلتها في أولاد الحسين لأن الحسن قد سلم الخلافة تماuriة فأضاع حق أولاده. وفرقة جعلتها في محمد بن علي من غير فاطمة (محمد بن الحنفية) الابن الثالث لأن الحق آلى إليه بعد وفاة أبيه وأخويه. ففي مقدمتهم في الشام الشيعة الاسماعيلية وهم الذين اعتبروا الإمامة منتهية عند اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م وأن الإمامة انتقلت إليه بعد أبيه وهو التسلسل الذي نشأ منه الخلفاء القاطميين في المغرب ومصر، إلى الخليفة المستنصر القاطماني.

أما حزب الخوارج، الحزب المعارض الثاني فهو حزب لا يؤمن بالوراثة كأساس لظام الحكم بل يرى أن يكون الاختيار هو الأساس، وأن يسير الخليفة على سياسة دينية ترتضيها الرعية، فإن حاد وجب عليه أن يعتزل الحكم ومن هؤلاء الأباء.

وقد خرج هؤلاء الخوارج على على لأنهم اتهموه أنه لم يتتوخ الحق وقبل التحكيم، وظروا خارجين على بني أمية معارضين لهم طيلة مدة حكمهم، لأنهم جعلوا الخلافة ملكاً وراثياً. وقد كثرت ثوراتهم راشد خطراها وخاصة في أيام الفتنة الكبرى، كفتنة ابن الزبير.

لقد وجد دعاء المذاهب الخارجية في المغرب مجالاً واسعاً لنقل أفكارهم ونشرها في تلك الأحياء حيث لا رقابة من الدولة. وعمدوا في سبيل نشر دعوئهم إلى الكافة إلى استخدام السلاح حتى تحقق لهم مآربهم. لقد وجدت الدعوة الأباصرية سبب إلى عبد الله بن أبياض - والصغيرة - نسبة إلى زياد بن الأصغر. في أرض المغرب ما يرغبون فيه غير مقيدين مطلقاً السراح في نشر دعوئهم ضد الدولة ، خاصة وأنهم قد لقوا جواً مذاسباً واستجابة لمعرفة الأحكام الشرعية للدين الإسلامي.

وقد كانت الاستجابة لتلك الدعوات إيجابية بسبب مالاقاه سكان تلك المناطق من ظلم الولاية خاصة من يزيد بن أبي مسلم وعبد الله بن الحجاج .

لقد بحث الأهالي عن المعاواة الكلية بين الناس، كما لمسوها في أول عهدهم بالفتح العربي بعد ماجاء من الولاية من أنلقهم صنوف الاضطهاد فأتقروا بأنفسهم في أحضان المذاهب التي روج لها الخارج بين هؤلاء المظلومين دون ذنب افترفوه .

لقد نجحت تلك الدورات الخارجية في تأسيس دولتين ، دولة سلجماسة في جنوب المغرب الأقصى عام ١٤٠ھـ / ٢٥٧ م والدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط وامتدت حتى طرابلس وقرنان في الأرض الليبية بعد مبايعة عبد الرحمن بن رسم إمام الأباصرية. وظلت الدولة الإسلامية في صراع مع هؤلاء الخارج حتى فضلت على نفوذهم السياسي ، معبقاء بعض معنفي تلك المذاهب

ـ الله ـ ... وتسريحاً ، فإن النصوص بعد حركة روحية سياسية ،

عرفها العالم الإسلامي من قديم وأدت دورا خطيرا الشأن، حتى لقد قامت في بعض الأوقات بكل حركة المقاومة للنفارة الأوروبية على العالم الإسلامي، فالجماعات الصوفية هي التي دأبت على نشر الدين الإسلامي في القارة الأفريقية، وروادها - وعلى الأخص الفرق السلوسية - نشرت الزوايا والمساجد امتدادا من برقة في الشمال ثم جنوبا إلى جنوب الكفرة وحتى جنوب خط الاستواء بمسافة كبيرة.

وهذه الجماعات هي التي أمدت حركة المقاومة في شمال أفريقيا، ضد الغزوات الأوروبية بكل عناصر الثبات والبطولة، والتي لم تفقد الأمل في النصر مهما اشتد الخطر وتفاقم الخطاب.

والحركات الصوفية هي التي تأخذ هذا المظهر العملي في حفظ كيان العالم الإسلامي خلال قرون الركود التي عاشها المسلمون تحت ظل الخلافة العثمانية تأخذ مظهرا آخر علميا وروحيا يتجلى لافي الكتب وحدها، ولكن في هذا النظام الدقيق المحكم في تسخير الأفراد إلى أي مكان في العالم الإسلامي حيث يجد الراحل كل أسباب الراحة والأخوة والاطمئنان والذي ييسر له أداء واجبه، ولا غرابة في أن عظمة المسلمين فيما تجلى في الترابط والاندماج.

والتصوف لا يخالف شرعة الإسلام، ولا ينافض ماتم عليه إجماع الأمة من أصول وهو لا يبتدع في الإسلام مبادئ ليست فيه.

لقد ازدهر الدين الإسلامي في جميع أنحاء ليبيا منذ عهد الإسلام في

زمن الفتح، فقد بدأ عمرو بن العاص ببناء أول مسجد جامع في طرابلس ثم تبعه المسلمون في بناء المساجد في عهد الأغالبة، ثم الشيعة القاطميين في طرابلس وأجدابية.

كما سارع الليبيون أيضاً في بناء المساجد في أنحاء البلاد، وعمل فيها الفقهاء والعلماء والزهاد أمثال عبد الله الشعاب في عهد الأغالبة. وعبد الله ابن اسماعيل البرقى توفى عام ٩٢٩/٥٣١٧ م.

وعرف المسلمون المسجد، فكان للعبادة والتعليم والتوجيه، ومكان تشارر المسلمين وتناصدهم فيما بينهم من الأمور العامة للمسلمين ومكان التقاضي ومقر القيادة العسكرية وعقد الؤبة الجيش المجاهد في سبيل نصر المسلمين، ومكان استقبال الرفود القادمة من مختلف الأنحاء.

أما إمام المسجد، فله سكته بجوار المسجد ويقوم بتعليم المسلمين شئون دينهم في غير أوقات الصلاة وقد قام المعلم بالمسجد يعلم الفقه وتفسير القرآن ورواية الحديث.

كما أقيمت بعض العلوم والمعارف بالمسجد باعتبار أن ماقتها مصلحة المسلمين مطلوب تدارسه حتى يساير المجتمع الإسلامي تطور الحياة ورقيتها.

كما أنشئت الكتائيب في مختلف أنحاء ليبيا لتعليم حفظ القرآن ومعرفة مبادئ الشريعة الإسلامية، وكانت تخلق بالمساجد أحياها ثم انتشرت الكتائيب في المدن والواحات.

وكذلك انتشرت في ليبيا الزوايا التي من أشهرها زاوية عبد السلام

الأسم بعديه، ربيط وقد يليه عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م وروت بمكتبه
لشركت على مئات من الكتب الفنية

بل أن حركة الجهاد التي قاده الرعيم الكبير عمر المختار ضد الاستعمار الإيطالي بدأت من إحدى أزروايا التابعة لحركة السنوسية مما يدل على عظم الدور الذي لعبته الرواية في حركة الجهاد الإسلامي.

sharif mahmoud

الباب الثاني

أفريقيا (تونس)

الفصل الأول

أفريقيا من الفتح العربي حتى قيام دولة الأغالبة

- الرصف الجغرافي
- الفتح العربي في أفريقيا (تونس)
- بناء مدينة القبروان في تونس
- استشهاد عقبة بن نافع في حروبه في بلاد المغرب الأقصى واستيلاء كسيله على القبروان وتوقف الفتح
- استعادة العرب للقبروان وعودة الفتح في بلاد المغرب الأقصى

تقع تونس في المنطقة الوسطى من الشمال الأفريقي بين البحر المتوسط في الشمال والشرق.

وليبيا في الجنوب الشرقي والصحراء في الجنوب الأفريقي والجزائر في الجنوب والغرب. وتمتد إليه جبال أطلس من الجزائر عند مدينة تبسة في الجنوب الغربي.

بينما تمتد بعض تلال متوجهة إلى بنزرت. ويوجد في تونس نهر مجردة متوجهًا من المغرب في انحدار إلى الشمال الشرقي. ويكون سهول خصبة تنمو بها أنواعاً مختلفة من النباتات غزيرة الإنتاج لخصوصية الأرض، وهي عاملة بالسكان على طول الساحل المتوسط.

ومن السهل الساحلي من شرق قابس بطول العاجل إلى شط الجريد تمتد الأراضي ذات الخصوصية العالية. وفي الغرب منها مناطق من الطana مع وجود بعض السبخات. وبشط الجريد غابة من الدخيل ترويها مياه تبيع من الرمل وتعد توزر بشط الجريد وتذكر بها البستانين متعددة الفواكه وتذكر أنواع البليح في مدينة توزر مع الورقة العالية منه.

أما في مدينة قفصة وتقع في الشمال الشرقي من توزر فتشتهر بزراعة الفستق.

وأما مدن الكاف تبرسق وسليان وباجه وتقع جنوب غرب تونس فتشتهر بانتاج الحبوب لاسيما القمح.

أما بنزرت فهي اللقرن التونسي التي يقع في الغرب الشمالي وتشتهر بانتاج البقول والزيتون وشرقاً ببحيرة بنزرت وتذكر بها أنواع الأسماك

ويجاورها أماكن للعبادة والدفاع عن المدينة فهي الرياطات الإسلامية التي لقامتها المجاهدون في سبيل نصرة الدين الإسلامي.

أمـ. تـى مدـيـلـة تـونـس فـهـى المـدـيـلـة الـتـى بـنـاـمـا وـالـى أـفـرـيقـيا حـسـانـ بنـ الدـعـمـاءـ بـى العـهـدـ الـأـمـوـىـ، حـيـثـ صـارـتـ عـاصـمـةـ فـى عـهـدـهـ كـمـا جـعـلـ مـدـهـاـ رـأـفـقـ بـهـ دـارـاـ لـصـنـاعـةـ السـفـنـ الـحـرـبـيـةـ.

أـمـا مدـيـلـة سـوـسـةـ وـتـقـعـ فـى الشـرـقـ مـنـ خـلـيـجـ الـحـمـامـاتـ فـقـدـ كـانـتـ دـارـاـ لـصـنـاعـةـ السـفـنـ الـحـرـبـيـةـ فـى عـهـدـ الـأـغـالـيـةـ وـالـأـغـالـيـةـ هـمـ الـذـيـنـ فـتـحـواـ جـزـيـرـةـ صـقـلـيـةـ عـامـ ٢١٢ـ هـ ٨٢٧ـ مـ ثـمـ أـسـتـولـواـ عـلـىـ مـالـطـةـ عـامـ ٢٥٥ـ هـ ٨٦٨ـ مـ .

وـمـدـيـلـة سـوـسـةـ بـهـاـ أـنـوـاعـ مـخـتـلـفـةـ مـنـ الـأـسـعـاكـ كـمـا يـصـادـ بـهـاـ الـحـيـنـانـ. وـتـقـعـ مـدـيـلـةـ الـمـهـدـيـةـ فـى الشـرـقـ مـنـ سـوـسـةـ وـهـىـ الـتـىـ بـنـاـمـاـ الـفـاطـمـيـوـنـ فـىـ أـوـلـ عـهـدـهـمـ وـجـعـلـهـاـ الـخـلـيـفـةـ الـمـهـدـيـ مـعـاصـمـةـ لـلـدـلـوـلـةـ وـدـارـاـ لـصـنـاعـةـ وـمـدـيـلـةـ صـفـاقـسـ فـىـ جـنـوبـ الـمـهـدـيـةـ عـلـىـ السـاحـلـ وـهـىـ مـدـيـلـةـ تـجـارـيـةـ تـرـخـرـ بـهـاـ حـدـائقـ الـفـواـكـهـ وـأـشـجـارـ الـزـيـتونـ. وـتـوـاجـهـ مـدـيـلـةـ صـفـاقـسـ جـزـرـ قـرـقـنـهـ الـتـىـ اـشـهـرـتـ بـصـيدـ الـأـسـفـنـ.

أـمـا مدـيـلـةـ قـاـبـسـ فـتـقـعـ عـلـىـ مـدـيـلـةـ قـاـبـسـ وـيـكـثـرـ بـهـاـ صـيدـ الـأـسـفـنـ وـشـرقـهـاـ فـتـقـعـ جـزـيـرـةـ جـرـبةـ.

وـيـعـدـ حـوـضـ نـهـرـ مـجـرـدـةـ غـرـبـاـ وـشـطـ الـجـرـيـدـ فـىـ الـجـدـرـبـ الـشـرـقـيـ وـفـىـ وـاحـاتـ نـفـراـوـةـ وـالـمـنـطـقـةـ الـوـسـطـيـ مـلـطـقـةـ مـرـاعـيـ لـلـقـبـائـلـ الـرـحلـ.

وـمـنـاخـ تـونـسـ مـنـاخـ بـحـرـ مـتوـسـطـيـ دـافـئـ مـعـنـدـلـ تـكـثـرـ الـأـمـطـارـ فـيـ شـمـالـاـ وـتـنـقـلـ كـلـمـاـ توـغـلـاـ جـنـوـبـاـ.

تولى عثمان بن عفان الخلافة عام ٢٤ هـ/٦٤٤ م بعد مقتل عمر، فعزل عمرو بن العاص، وتولى عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر وأفريقيا.

وتقى عبد الله بن أبي سرح إلى الخليفة عثمان يستأذن في فتح أفريقيا لضمان أمن مصر من الخطر البيزنطي المحتل على مصر.

قام والي مصر عبد الله بن أبي سرح من مصر على رأس جيش بلغ تعداده عشرون ألف مقاتل. وانطلق إلى أفريقيا عام ٦٤٧ هـ/١٣٥٣ م وكان يحكمها القائد البيزنطي جريجوريوس، الذي لم يكن على وفاق مع الامبراطور البيزنطي، مما جعله يستقل بشئون أفريقيا وقد مد نفوذه من أقليم طرابلس إلى طنجة.

التقى المسلمين بجريجوريوس حيث عسكروا في بلدة قمرنيه وتبعد عدة أميال من سبيطله التي تحصن بها القائد البيزنطي.

بدأ القتال بين الفريقين دون يجرز المسلمين نصراً. ثم قدمت فرقة من الجند المسلمين يقودهم عبد الله بن الزبير الذي سرعان ما اعرض خطبة حربية تقضي باستمرار القتال مع الأعداء دون توقف بحيث يتبادل الجنود القتال بالتبادل بحيث يقاتل فريق ويستريح فريق، فلا تكون للعدو فرصة للاستراحة من القتال حتى يمل ثم يفاجأ من المسلمين بالانتصارات عليه بينما جنوده مرهقين من الاستمرار في القتال.

وقد نجح المسلمون واستولوا على سبيطله بعد مقتل جريجوريوس في المعركة.

ثم أقبل المسلمون يفتحون المعائق والمحصون واستولوا على مغامن كثيرة.

أدرك البيزنطيون ماحل بأفريقيا فأسرعوا بارسال الإمدادات عن طريق البحر لاستعادة سبيطته إلا أن المفارضات الذى ثبتت بينهم وبين المسلمين انتهت إلى عودة عبد الله إلى مصر بعد توليه نافع بن عبد القيس الفهري عليها. وذلك نتيجة لحدوث ثورة على الخليفة عثمان، انتهت بتولية معاوية بن أبي سفيان الحكم (٦٤١-٦٦١/٩٦٠-٩٨٠م).

قام معاوية بن أبي سفيان بتعيين معاوية بن خديج على أفريقيا لمنابعة الجهاد، فخرج معاوية بن خديج على رأس حملة في آم ٤٥/٩٦٥م متوجهًا إلى أفريقيا في نفس الاتجاه الذي سار فيه من سبتوه من القادة المسلمين.

والتحق معاوية بن خديج بالأعداء عند قمرنيه وهزمهم ثم اتجه إلى جلواء، وبما شر قتال الأعداء وداوم على قتالهم حتى اكتشف لأحد الجنود جزء من سر المدينة قد انقض فاسرع الجندي إلى قائده يخبره بما رأى فاتجه المسلمون مسرعين إلى الجزء المتهدّم من السرر وهاجروا منها المدينة واقتحموا جلواء واستولوا على غذائم كثيرة.

ثم سرع معاوية بن خديج في إقامة المبانى في نهاية القرن فكانت بداية لبناء مدينة القبروان فيما بعد. ثم اتجه المسلمون بعد ذلك لفتح موسعة ثم من بعدها بنزرت.

وفي عام ٥٥٠هـ / ١٦٧٠م، تولى عقبة بن نافع ولاية أفريقيا. وعقبة هو الذي أنشأ مدينة القيروان على بعد أميال من الساحل على طريق المواصلات وبنى بها الجامع ودار الإمارة ثم أحاطها بسور وفتحت بعد ذلك حتى صارت مركزاً للقيادة الإسلامية.

قاد عقبة جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل وبعث بالطلائع لمساعدة الجيش في فتاله مع العدو وتمكن من فتح كثير من الحصون والقلاع العربية مثل ودان وجرمي وقصر وغدام وقفصه.

وفي عام ٥٥٥هـ / ١٦٤٦م تولى أفريقيا أبو المهاجر دينار، وذلك بالإضافة إلى ولايته لمصر، وبعد أن وصل أبو المهاجر إلى القيروان رأى أن يقيم بمعسكر قريباً منها حيث بدأ منه نشاطه العسكري.

قام أبو المهاجر من معسكر بالقرب من القيروان على رأس جيش متوجه إلى تلمسان وفي طريقه إليها فتح مدينة شريك وأدخل جميع بلاد الجريد في الإسلام وكذا جميع بلاد الجزائر، وفي تلمسان تقابل أبو المهاجر مع كسيله زعيم قبيلة أوريه من البرانس وتمكن من أسره وتمكن من جذبه إلى الإسلام فأسلم هو وقبيلته.

وبعد وفاة الخليفة معاوية تولى بعده ابنه يزيد فأعاد عقبة بن نافع إلى ولاية أفريقيا في عام ٦٢هـ / ١٦٨١م . وفي ولاية عقبة بن نافع وهي ولايته الثانية على أفريقيا اتجه بجيشه إلى شواطئ المحيط الأطلسي على رأس جيش تعداده خمسة آلاف مقاتل، وهو يعلن على الملأ من جلوده أنه يجاهد في سبيل الله ورفع راية التوحيد.

وأصل عقبة فترحاته ففتح لميس وبغابة وأدنه والروم نفر أمامه خوفاً
وهلما حتى بلغ طنجه مقابله حاكمها يليان مرحباً وأعلن طاعة المسلمين.

ثم انطلق عقبة إلى ولبني ثم إلى درعة والسوس فتقابل مع جيوش
البربر وهزمهم. ثم واصل سيره حتى بلغ المحيط.

ثم أقام مسجداً في أرض السوس ليرشدهم عن طريق الدعاء من
المسلمين إلى تعاليم الدين. على أن كسيله لسبب في نفسه خرج عن طاعة
المسلمين والتلقى مع جماعة من الروم واتفقوا على مواجهة المسلمين
 واستعادة أرضهم منهم.

وفي أثناء عودة عقبة إلى قاعدته في القبironan قطع كسيله عليه
الطريق في عام ٦٤هـ / ١٨٣م بأن دبر له كميناً هو وجماعة من الروم.
وكان عقبة في قلة من أنصاره. وبلغ خبر ذلك لكسيله، وانقض على
جماعة المسلمين فحاربوه ولكنه قُتل عليهم واستشهد عقبة ومن معه في
مكان يسمى تهوده وأقام المسلمون مسجداً على قبر عقبة، ما يزال مزاراً
مشهوداً يؤمه المسلمون.

وأصل كسيله ثورته ضد المسلمين حتى دخل القبironan التي انسحب
منها زهير بن قين متوجهًا إلى برقة في انتظار مدد يأتيه من مصر.

وظل الحال على ذلك حتى تولى الخلافة عبد الملك بن مروان
(٦٨٦-٦٩٥هـ / ١٠٥-١٠٥م) فبعث إلى زهير في عام ٦٩٥هـ / ١٨٩م جيشاً فاده
زهير لمحاجمة كسيله وتقابله زهير وكسيله فانهزم كسيله وقتل واستعاد زهير
القبironan. ثم واصل هجومه إلى الجزائر واستعاد سلطان المسلمين فيها بعد

أن فرت الروم والبربر مهزومة، ثم عاد ثانية إلى القبور.

ثم رأى زهير أن يعود لمصر فاتجه إلى برقة وفي برقه كان الجيش الإسلامي قد اتجه إلى القبور ولم يبق في برقه إلا قلة من الجنود. فانهزم البيزنطيون الفرصة وهاجموا برقة بأسلوبيهم واستولوا على كثير من السيايا والغنائم.

وصل الخبر إلى زهير الذي أسرع للجدة المسلمين فنکاثر البيزنطيون على المسلمين وفيهم زهير الذي استشهد في تلك الموقعة.

وفي عام ٥٧١/٦٩٠ م تولى حسان بن النعمان ولاية أفريقيا.

خرج حسان بن النعمان من مصر متوجهًا إلى أفريقيا يقود جيشاً بلغ تعداده أربعون ألف مقاتل عام ٥٧٤/٦٩٣ م اتجه حسان إلى القبور ويعثر بطلاًّ له يستكشف أماكن تواجد البيزنطيين لما عرفه عنهم من مكرهم وخداعهم فرارًا أن يتعقبهم ويقتلهم ولخلاص من شرهم، وأدرك أن مقرهم في قرطاجة، فأعاد جنده وانطلق إلى مقر عاصمتهم قرطاجة ولما كانت المدينة محصنة وقوتها الدفاعية عالية، لم يتمكن المسلمين من فتحها، إلا أن قوة عزيمتهم وتصميمهم على فتحها مهما بلغ بهم الأمر، مكلهم من التغلب على المدافعين عليها ففر من بها من البيزنطيين إلى البحر فانهارت القوة الدفاعية في قرطاجة وتمكن المسلمين من فتحها، وعندئذ أقبل من بالمدينة إلى المسلمين مذعدين.

بعد ذلك اتجه المسلمون إلى يندرت ففتحوها ولما تم لحسان القضاء على المقاومة البيزنطية عاد إلى العاصمة القبور، لتدبير أموره من

جديد. اتجه حسان بعد ذلك لمواجهة البربر وبدأ يستطيع أحوالهم وأماكن تجمعاتهم حتى عرف أن امرأة اسمها داهية وتعرف بانكاهنة تبسط على جموع البربر بتدبير من أمرائها في السحر والكهانة وتقيم فري جبل أوراس وتحصل منه ملذاً وحصناً لها.

لجتماع بجلوده وواجه البربر تقددهم الكاهنة وفي وادي مسكناته اشتباك المسلمين مع البربر في قتال المسلمين يتوعدهم حسان والبربر تقددهم الكاهنة وتفتيت الكاهنة في تلك المعركة على المسلمين وقتلتهم منهم الكثير. وأرغم حسان على الانسحاب من أرض المعركة وظل في تراجعه حتى بلغ برقه ، وأرادت الكاهنة صرف المسلمين عن بلادها فعمدت إلى حركة تذريث وإفساد في البلاد فكان ذلك وبالاً على شعبها الذي اضطر إلى اللجوء إلى حسان يستغيثون من هول مأواعهم بهم من أضرار مادية لا يستطيعون مقاومتها، فقد أمرت الكاهنة بقلع الزروع والأشجار والثمار حتى صارت الأرض جدياء فجاع الناس.

وعندئذ انطلق حسان بجيشه وقد انقلب السكان من البربر على الكاهنة وانضموا إلى المسلمين فتمكن المسلمون من دخول قابس ثم فقصة ثم قسطيله ونفزاوه . لقد وجد حسان التأييد والمأذرة من جموع البربر. وتقابل المسلمين مع الكاهنة عند بدر عرف ببدر الكاهنة واشتباك حسان مع الكاهنة في معركة عليبة قتلت فيها عام ١٥٨٠هـ .

ثم نُفِّخَ حسان بعد ذلك من إقامة مدينة تونس وكانت تبعد قليلاً من قرطاجة التي خربها المسلمون من قبل وبني بها داراً لصناعة السفن لمقاومة الأسطول البيزنطي وصد غاراتهم البحرية .

قام حسان بعد ذلك بإجراء إصلاحات ادارية فنظم العلاقة بين العرب والبرير وسرى في المعاملة بينهم جميعاً فأدى ذلك إلى ازدياد البرير قريباً من المسلمين، وأفبلوا على الاسلام الذي جعلهم في مرتبة واحدة مع المسلمين وملتهم الأرضي في المناطق التي لم تقاوم المسلمين.

كذلك أنسح لمن أبدى تعاوناً مع المسلمين أفسح لهم مجالاً طيباً في المجتمع الاسلامي، فأدخلهم في خدمة العسكرية الإسلامية.

كما أسد بعض الأعمال في القيادة المدنية إلى القبائل حسب توزيعها في البلاد فرحبوا وصاروا أكثر قرباً وارتباطاً بالعرب. كما قام العرب بالعمل على نشر الدين الاسلامي عن طريق بناء المساجد والكتابات مما جعل الأهالي يتقبلون على تعلم الدين الاسلامي بهمة وحماس بالغ.

وفي عام ٧٨٦هـ / ١٣٠٥م تولى موسى بن نصیر ولاية أفريقيا، وبعد أن دخل القیروان أعلن خطته المقبلة في صراعه ضد الأعداء وأوضاع فيها عزمه وتصعيده على تثبيت أركان الدولة الاسلامية. في كل أرض المغرب. ثم أسرع موسى متوجهًا بج LODوده يقودهم إلى القلاع والمحصون التي تلى القیروان العاصمة الاسلامية فهاجم قلعة زغوان وفتحها، ثم تابع هذه الخطوة بخطوات تليها فأتم فتح جميع القلاع والمحصون التي يخشى على القیروان منها.

ثم اتجه مسرعاً إلى المغرب الأوسط (الجزائر) يواصل خططه في الفتح بحيث يقاتل في أكثر من اتجاه في وقت واحد، الأمر الذي يساعد على إرباك العدو فتضعنف مقاومته أمام الزحف الاسلامي الصاعد.

ثم اتجه بعد ذلك إلى زرب الأقصى، وهو يواصل هجومه متسبباً في أكثر من اتجاه ونجح بن نصیر في خططه هذه أعظم نجاح فقد أحدث في صغرف المدافعين حالة من الانزعاج الشديد والرهبة من إمامه وأبن نصیر يسرع في خطأه متقدماً فرائمه وكله عزم وإصرار حتى وصل إلى مديلة طنجه وأقليم السوس في أقصى الجنوب ثم أسد ولاية طنجه إلى طارق بن زياد، متخذًا في ذلك نفس الخطة التي سار عليها من سبئه في الاستعانة بأهل البلاد الأصليين من البربر بإعطائهم الفرصة في تولي مناصب قيادية، الأمر الذي أدى إلى تلامم العرب والبربر في العمل على استقرار الأمان في البلاد.

و عمل ابن نصیر على إيف جماعات من العرب والبربر للقيام بتعليم أهل البلاد من البربر مبادئ الدين الإسلامي والقرآن والسنّة، وأنشأ في سبيل تحقيق هدفه ذلك المساجد والكتابات.

ثم شرع في عمل التنظيمات الإدارية وقسم البلاد إلى ولايات بحيث جعل من طنجه عاصمة للمغرب الأقصى، ومن تلمسان عاصمة للمغرب الأوسط، وجعل للمغرب الأدنى عاصمته القبrian ويُشَعَّل طرابلس شرقاً وجعل من برقة ولاية منفردة وعاصمتها المرج. كما جعل من سجلاسة عاصمة لولاية السوؤن الصحراوية. ولما أراد فتح أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) بعث بطريق، أحد رجاله للاستطلاع، فعاد إليه طريق مشجعاً على الفتح فكلف موسى بن نصیر طارق بن زياد وذلك في عام 591/709 م وتمكن طارق من فتح أيبيريا التي أطلق عليها العرب اسم بلاد الأندلس وذلك بفضل جهود طارق وبفضل الإمدادات التي أمنه بها موسى بن نصیر بعد ماتوسع طارق في الفتح.

لقد ساعد مبدأ المسارلة بين المسلمين جميعاً من عرب وبربر دون تفرقة بين جنس وجنس على الاستعانة بمن دخل في الإسلام من البربر فأضاف مبدأ المساواة الإسلامي قوة البربر إلى قوة العرب فكان الفتح الذي كان من قادته طارق بن زياد وطريف بن مالك وهما من البربر، أدركوا عظمة الإسلام وملأ قلوبهم فصاروا من أخلاص جند الإسلام ولم يشارك البربر في حمل السلاح لنصر الإسلام فحسب بل شاركوا في تعلم مبادئ الإسلام بين البربر في المساجد والكتاتيب التي أقامها موسى بن نصیر في أنحاء البلاد المغربية.

لقد طالت مدة الفتح للبلاد المغربية حتى بلغت ما يقرب من ثمانين عاماً بينما لم يحدث ذلك للنورحات الإسلامية في أي من بقاع الأرض، ويرجع ذلك إلى أسباب منها طبيعة الأرض المغربية ووعورتها فمن سهول ساحلية ضيقة إلى جبال غالية في الارتفاع مما يتعذر معه التغلب في تلك الأراضي في نفس الوقت الذي يسهل فيه لأهلها الدفاع عنها.

كما أن الأمبراطورية البيزنطية لم تكن لنفترط في مملكتها التي استمرتها مئات السنين في سهولة ويسر ولكنها أرغمت على الانسحاب منها أمام جحافل المسلمين.

كما أن عدالة الإسلام في جعل المسارلة بين البشر مبدأ قائماً وهدفاً، جعل الشعوب المغربية تندفع إلى الدخول فيه والتمسك بأهدافه في العدل والمساواة.

فلما تخلى بعض قادة العرب والمسلمين عن بعض تلك المبادئ صعمت قبائل البربر على التمسك بمبدأ المساواة كما جاء به الدين وثاروا

على حكامهم العرب، مما أدى إلى ارتباك في الجبهة المغربية وقامت اللورات ضد الحكام الجدد.

وهكذا بدأت صفرف المعارضة تظهر في بلاد المغرب، وفي عام ٩٩٩هـ / ٧١٥-٧١٧هـ تم عزل موسى بن نصیر من قيادة المغرب، فعاد موسى إلى دمشق العاصمة بعد أن جعل ابنه عبد الله يخلفه في حكم بلاد المغرب.

لقد أغضب موسى سليمان بن عبد الملك حين رفض التباطؤ في الوصول إلى العاصمة دمشق حتى تصير الأموال والغنائم والسبايا إلى سليمان حيث كان الذليفة التوليد في النزاع الأخير فراغ سليمان وقد أرشك على تولي عرش الخلافة أن يستأثر هرباً.

غاضب سليمان من موسى بن نصیر وتوعده ثم فاضاه على أموال قبضها سليمان بن عبد الملك وخلى سبيله، ثم رضى عنه وندم على يمين كان قد أقسم بها أن لا يرليه شيئاً وكان يقول أن مثل موسى بن نصیر لا يستغلني عليه.

ثم أسد سليمان بن عبد الملك ولاية المغرب إلى محمد بن يزيد، حكم أفريقيا والمغرب وعمل بخطبة سليمان حين كلفه بولايتها أن يسير بين الناس بالحق والعدل.

وقد التزم محمد بن يزيد بالسير في حكمه بالعدل بين الناس ولكنه استثنى عائلة ابن نصیر من هذه الخطة إذ أصدر أوامره بحبس عبد الله ابن موسى بن نصیر وصادر أموال عائلته المقيدة في القبروان.

وفي عام ٢١٧٩هـ / ٢١٧٩م تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٦١٠هـ / ٧٢٤م - ٦١١هـ / ٧٢٥م) فأدخل اصلاحات كثيرة فأصدر أوامره بالمساواة بين العرب والشعوب المفترحة في الخراج وجباية الأموال.

لقد عمل عمر بن عبد العزيز بنظرية عالمية الإسلام فحارب العصبية ورفض العنصرية والجنسية ونادى بالعدل والمساواة دون تفرقة، وعاش العرب والبرير في جو مشبع بالمحبة والولام وتمنع الجميع بالعدالة والرفاهية وبالرخاء.

بعث عمر بن عبد العزيز بعشرة من الفقهاء يتذمرون اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر الذي أسد إليه ولاية أفريقيا عام ٦١٠هـ / ٢١٩م ليعملوا على نشر الإسلام.

سلم كثير من البرير بأعداد كبيرة للغاية وأقبل الشباب على التفقه في الدين مما ساعد على سرعة انتشار الدراسات الدينية في أفريقيا والمغرب.

وفي عام ٦١٠١هـ / ٢٢٠م تولى الخليفة يزيد بن عبد الملك (٦١٠٥هـ / ٢٢٤م - ٦١٠٥هـ / ٢٢٥م) بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فتم في عهد يزيد عزل اسماعيل بن عبد الله وعين لولايته أفريقيا يزيد بن أبي مسلم.

تولى يزيد بن أبي مسلم ولاية أفريقيا في ٦١٠١هـ / ٢٢٠م وسار على سياسة مغايرة لسياسة سلفه تماماً، حيث عامل الأهالي بالشدة على عكس ما كان عليه الحال من قبل، فأسخطت السياسة الجديدة شعب البرير وبدأت فكرة التخلص من الوالي الجديد بقتله، وتم لهم ذلك ثم بعثوا إلى الخليفة يعلمهون بما وقع من أحداث ويلمسون لأنفسهم العذر في مقتل واليهم يزيد بن

أبو مسلم لأنه خرج عن دعوة الحق وأساء السيرة في الناس وأعلموا في نفس الوقت ظاعتهم لل الخليفة.

و قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك بالأمر الواقع واستجاب لأهل البلاد، وعيّن بشر بن صفوان لولاية أفريقيا. وتوجه بشر بن صفوان في عام ١٤٠٢هـ/٧٢١م من مصر وكان ولها عليها فكـلـفـ أخـاهـ حـلـظـةـ بـخـلـافـتـهـ فـيـ ولاـيـةـ مـصـرـ وـوـاصـلـ هـوـ مـسـيرـهـ إـلـىـ القـيـروـانـ فـيـ نـفـسـ الـعـامـ وـعـنـدـمـاـ اـسـقـامـتـ الـأـمـرـ لـبـشـرـ بـنـ صـفـوانـ فـكـرـ فـيـ العـرـدـةـ إـلـىـ مـصـرـ لـمـقـابـلـةـ الـخـلـيـفـةـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ فـوـجـدـ مـكـانـهـ فـيـ عـرـشـ الـخـلـافـةـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ (١٤٣٧هـ/٧٢٤م) الـذـيـ أـبـقـىـ عـلـيـ فـيـ مـنـصـبـهـ وـلـيـاـ عـلـيـ أـفـرـيـقيـاـ،ـ وـعـادـ بـشـرـ إـلـىـ مـنـصـبـهـ وـلـأـخـذـ فـيـ مـارـسـهـ عـلـمـهـ،ـ وـبـعـدـ فـيـامـ بـغـزـوـةـ بـحـرـيـةـ فـيـ جـزـيـرـةـ صـقـلـيـةـ،ـ وـتـرـيـبـ شـتـونـ إـدـارـتـهـ فـيـ الـبـلـادـ مـرـضـ وـأـحـسـ بـدـنـوـ أـجـلـهـ فـكـلـفـ أـحـدـ رـجـالـ الـمـخـلـصـينـ لـيـقـومـ بـإـدـارـةـ الـبـلـادـ بـدـلاـ مـلـهـ.ـ وـفـيـ عـامـ ١٤١٩هـ/٧٢٧م تـوـفـيـ بـشـرـ بـنـ صـفـوانـ.

وـفـيـ عـامـ ١٤١٠هـ/٧٢٨م اـسـلـدـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ وـلـاـيـةـ أـفـرـيـقيـاـ إـلـىـ عـبـيـدةـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ السـلـمـيـ الـذـيـ وـصـلـ إـلـىـ القـيـروـانـ فـيـ عـامـ ١٤١٠هـ/٧٢٨م وـفـيـ خـلـالـ مـدـةـ حـكـمـهـ سـارـ عـبـيـدةـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ عـلـىـ سـيـاسـةـ التـعـصـبـ الـبـعـيـضـةـ فـانـحـازـ إـلـىـ الـقـيـسـيـةـ لـأـنـ قـيـسـيـ وـاضـطـهـدـ الـيـمنـيـةـ،ـ وـبـذـلـكـ ظـهـرـتـ النـزـعـةـ الـعـصـبـيـةـ الـأـمـرـيـةـ الـذـيـ أـرـجـدـ عـاـصـفـةـ مـنـ الـخـلـافـاتـ،ـ وـالـانـقـسـامـاتـ بـيـنـ الـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ وـالـأـنـدـلـسـ.

وـفـيـ عـامـ ١٤١٤هـ/٧٣٢م كـلـفـ عـبـدـ الرـحـمـنـ عـقـبـةـ بـنـ قـدـامـةـ بـإـدـارـةـ شـتـونـ الـبـلـادـ وـاتـجـهـ هـرـ إـلـىـ الـمـشـرقـ قـاصـداـ دـعـشـقـ لـمـقـابـلـةـ الـخـلـيـفـةـ خـشـامـ.ـ وـبـعـدـ

أن قدم الهدايا والتحف بأنواعها ومن الذهب والفضة ومن غيرها. طلب من الخليفة إعفاءه من منصبه. فاستجاب له الخليفة وأعفاه من منصبه بسبب ما وصلته من شكاوى ضد عبد الرحمن وتولى عبد الله بن الحبّاب ولاية أفريقيا في عام ١١١هـ / ٧٣٤م.

قام عبد الله بالعمل على استقرار الأحوال في بلاد المغرب الأقصى في السوس فبعث بالحملة العسكرية التي فادها حبيب بن أبي عبيده وتمكنّت الحملة من العمل على استقرار الأحوال في تلك الجهات.

على أن عبد الله بن الحبّاب لم ينجز خطة سياسية رشيدة في تعامله مع الأهالي واستخدم أساليب تخالف العرف الإسلامي في العدل والمساواه بين جميع البشر، فأثار سياساته تلك حركة عصيان بين البرير وبدأ الصراع المسلح في البلاد.

لقد أخطأ عبد الله بن الحبّاب ولم يتعظ بما حدث لأسلافه من الولاة السابقين وما راتكبوه من أخطاء حين تخطوا مبادئ الإسلام في اتباع المساواه ونشر العدل بين الناس جميعا دون تفرقة بينهم بأية حال وعملوا في نفس الوقت على إرضاء الخلفاء فأكلوا أموال الناس بالباطل ليدنوا بها إلى الحكام حتى ولو كان ذلك ضد مبادئ الدين الإسلامي. فبعذروا بما استولوا عليه من الأموال في أشكالها المختلفة. مما أرغر صدور الذين أقبلوا على الإسلام عن طوعية واختيار لما نمسوه من عدالة ومساواة، فلما انقلب الحال بتغيير خطط الولاة في السير في الطريق غير القويم، وذلك مثل محاولة معاملة الذين دخلوا في الإسلام بنفس معاملة من بقى على دينه فثار البرير وأعلنوا العصيان وانضمموا إلى الخارج الذين طالبوا بعبداً

المساواة بين جميع البشر وفقاً لتعاليم الإسلام ، ولقي المذهب الأهازي
والمذهب الصفرى المعاذرة الناتمة من جموع البرير الساخطة على خطط
الإدارة الفاسدة والمنافية لتعاليم الإسلام .

علم عبد الله بن الحبحاب ، بما حل بالبلاد من فلائق وثورات ظهرت
في بلاد المغرب الأقصى يقودها ميسرة المدغري البترى الذى انضم إلى
الصفرى وتبعته قبيلاته حيث أخذ بدعوتهم . ثم تقدم الثوار في المغرب
الأقصى واستولوا على طلجه ثم واصلوا سيرهم إلى السوسين واستولوا عليه
ثم أعلن ميسرة نفسه خليفة وتابعه شعبه من البرير . بعد ذلك تقدم ميسرة
شرقاً متوجهًا إلى القفروان للاستيلاء عليها ولكنه هزم في إحدى معاركه
وتولى مكانه خالد بن حميد الزناتي في عام ١٢٣ھ / ٧٤١م .

أرسل عبد الله بن الحبحاب بجيوشه يقودها خالد بن حبيب لمواجهة
البرير وهم يقودهم خالد بن حميد الزناتي الذي تولى قيادة البرير بعد مقتل
ميسرة والتقوى العرب والبرير ، فانهزم خالد بن حبيب حيث تكاثر عليه
البرير وسقط قتيلاً في المعركة ، وواصل عبد الله بن الحبحاب قتاله للبرير
بأن بعث جيش حبيب بن أبي عبد الله العوردة من غزوة بصفلية والإنصمام
إلى جيش خالد بن حبيب في الجزائر عند نهر شلف والتقوى جيش عبد الله
بن حبيب والبرير فانهزم العرب .

وصلت أذىاء الهزائم الخليفة هشام بن عبد الملك فعزل عبد الله من
ولاية أفريقيا وولاه كلاروم بن عياض القشيري في عام ١٢٤ھ / ٧٤١م
يعاونه ابن أخيه بلج بن بشر .

تقابل جيش كلاروم القشيري مع جيش البرير فانهزم كلاروم وسقط قتيلاً

في المعركة فكلف هشام حنظلة بن صفران الكلبى بولاية أفريقيا ويقدم حنظلة إلى القبروان.

وهذا يلـجـأ البرير إلى التنسيق لـمـواجهـةـ الـرـالـىـ للـجـدـيدـ عـسـكـرـيـاـ فـاجـتـمـعـ فيـ الجـزاـئـرـ بـالـزـاـبـ زـعـيمـانـ صـفـريـانـ هـمـاـ عـكـاشـةـ بـنـ مـحـصـنـ وـهـوـ عـرـبـيـ وـعـبـدـ الـواـحـدـ بـنـ يـزـيدـ الـهـوـارـيـ مـنـ الـبـرـيرـ،ـ وأـبـلـغـ طـلـائـعـ حـنـظـلـةـ الـتـىـ بـعـثـ بـهـاـ لـالـاسـطـلـاعـ وـالـتـحرـىـ بـتـحـرـكـاتـ وـخـطـطـ الصـفـرـيـةـ،ـ فـأـسـرـعـ حـنـظـلـةـ بـلـقاءـ عـكـاشـةـ وـتـغـلـبـ عـلـيـهـ وـهـزـمـهـ ثـمـ تـقـدـمـ عـبـدـ الـواـحـدـ مـتـجـهـاـ بـجـيـشـهـ إـلـىـ الـقـبـرـوـانـ.

اجتمع مع حنظلة أهالي القبروان من الرجال والنساء والفقهاء، فاشتعلت، القرب حماسا في صرف جيش حنظلة فتغلب على عبد الواحد الهراري وهزمه.

وفي عام ٥١٢٦هـ / ٧٤٣م قتل الخليفة الوليد بن يزيد فأعلن عبد الرحمن بن حبيب حفيـدـ عـقبـةـ بـنـ نـافـعـ نـفـسـهـ وـالـيـاـ عـلـىـ أـفـرـيـقـيـاـ فـيـ ٥١٢٧هـ / ٧٤٤مـ،ـ وـلـكـنـ حـنـظـلـةـ رـأـىـ أـنـ يـتـرـيـثـ فـيـ الـأـمـرـ تـجـنـبـاـ لـسـفـكـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ،ـ وـعـزـمـ عـلـىـ العـودـةـ إـلـىـ مـقـرـ الـخـلـافـةـ الـأـمـوـيـةـ فـيـ دـمـشـقـ فـوـصـلـهـاـ فـيـ عـامـ ٥١٢٩هـ / ٧٤٦مـ فـيـ الرـفـتـ الـذـىـ كـانـ مـرـوـانـ بـنـ مـحـمـدـ قـدـ تـولـىـ عـرـشـ الـخـلـافـةـ (١٣٢.١٢٧هـ / ٧٥٠.٧٤٤مـ)ـ فـأـقـرـرـ الـخـلـافـةـ وـلـاـيـةـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ بـنـ حـبـيبـ عـلـىـ أـفـرـيـقـيـاـ درـمـاـ لـلـانـقـسـامـاتـ وـالـفـرـاعـاتـ.

وفي عام ٥١٣٠هـ / ٧٤٧م قامت بطرابلس ثورة يقودها عبد الله بن مسعود التجيبي الأباشي فبعث إليه عبد الرحمن بأخيه الياس فقضى على الأباشية الثائرين، فلجمأت الأباشية إلى الحارث بن تليد وجعلته إماما للأباشية، فعين تليد عبد الجبار بن قيس المرادي وزيرا له، ثم تقابل

الأباصرية مع عبد الرحمن فانهزم الأباصريون عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م.

وفي عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م قاتلت الدولة العباسية بعد انهيار الدولة الأموية التي انتهت باستشهاد مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية.

تولى أبو العباس عبد الله (السفاح) وأول خلفاء الدولة العباسية (١٣٦-١٣١ هـ / ٧٥٤-٧٥٠ م) فأقر عبد الرحمن بن حبيب في ولايته على القبور وأنفريقيا حيث أعلن مبايعته للعباسيين وهو الذي هاجم الصفرية في نلمسان وهزمهم في عام ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م وفي عام ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م تولى أبو جعفر المنصور الخلافة (١٥٨-١٥٤ هـ / ٧٧٥-٧٥٤ م) فأقر أبو جعفر المنصور ولاده عبد الرحمن على أفريقيا.

وفي عام ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م قتل عبد الرحمن بن حبيب بتدبير من أخيه الياس وعبد الوارث ثم تمكّن حبيب من عمه الياس وقتلها، وتولى هو مكان عمه وفي عام ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م هاجمت قبيلة ورجمومنة القبور وأنسباحتها.

وفي عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م حارب حبيب الصغرى وقتل حبيب في المعركة. وظلت القبور مستباحة من قبل ورجمومنة، فلماً أبو الخطاب عبد الأعلى بن أسماعيل الأباصرى إلى محاربة ورجمومنة وهزمها وحمى القبور من شرهم في عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م وتولى عبد الرحمن بن رستم ولائتها. وعندئذ بعث أبو جعفر المنصور بوالي مصر محمد بن الأشعث بجيش كبير إلى أفريقيا وتمكن من هزيمة الأباصرية بقيادة أبي الخطاب الذي هزم في المعركة. فانسحب عبد الرحمن بن رستم إلى أقليم الزاب في الجزائر وهناك أقام دولة أباصرية المذهب في تاهرت، عاشت حتى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م.

وفي عام ١٤٨هـ / ٧٦٥م اعترى الأغلب بن سالم التميمم ولاية أفريقيا، ولما قُتل في عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م خلفه عمر بن حفص المهلي وأقام مدينة طببه في الزاب فهاجمته الأياضية بزعامة أبي حاتم وحاصرت القيروان فقتل في المعركة في عام ١٥٤هـ / ٧٧٠م.

ثم تولى يزيد بن حاتم قيادة أفريقيا وتمكن في فترة حكمه من التغلب على الصغرية في إقليم الزاب والأياضية في طرابلس، وفي جبل نفوسه، وبذلك سيطر أهل السنة على كل بلاد المغرب.

اهتم يزيد بن حاتم بالتعمير والتجديد في القيروان فأصلح في جامعها، وأعاد ترتيب أسراها فجعل لكل حرفة مكاناً خاصاً بها.

رأى مرة في تجراه في المدينة عندما كثيراً ولما علم أنها ملك لأبيه أمر بذبحها وتوزيعها على الأهالي ومنع ابنه من الاشتغال بالتجارة، ومات في ١٧٠هـ / ٧٨٦م وفي عام ١٧١هـ / ٧٨٧م تولى بعد أخيه روح بن حاتم الذي في عهده ظهرت دولة الأدارسة بالقرب (١٧٢هـ / ٧٨٨م - ١٧٥هـ / ٧٩٥م)

قامت دولة الأدارسة في بلاد المغرب على يد الإمام أدريس بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب الذي فر من العباسيين عام ١٦٩هـ / ٧٩٠م في عهد الخليفة العباسى الهاشمى. وأقام دولة الأدارسة بالغرب الأقصى، دولة علوية عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م وأسسوا مدينة فاس وجعلوها عاصمة لهم.

وفى عام ١٧٤هـ / ٧٩٠م توفي روح بن حاتم وتولى بعده ناصر بن

حبيب المهملي وعرف بحسن سيرته . ثم عزله الخليفة هارون الرشيد وولي عليها الفضل بن روح ثم عزل وعين مكانه هرثمة بن أعين عام ٧٩٥هـ / ١٧٩ م الذي سار على خطأ حمله في مدة حكمه وهو الذي بنى رباط المنصيري لحماية الساحل من غارات قراصنة البحر المتوسط ، بناء بين سوسة والمهديّة ، ثم اتجه عائداً إلى المشرق عام ٧٩٧هـ / ١٨١ م فولى الرشيد على أفريقيا محمد بن مقاتل أنسكي . ثم عزله وفي عام ١٨٤هـ / ٨٠٠ م قامت دولة الأغالبة في أفريقيا بدرجه من الخليفة العباسى هارون الرشيد .

الفصل الثاني

أفريقيا (تونس) منذ عهد الأغالبة إلى الاستقلال

- * قيام دولة الأغالبة في أفريقيا (تونس)
- * انتهاء دولة الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية الشيعية في أفريقيا (تونس)
- * بناء المهدية العاصمة الجديدة في تونس للدولة الفاطمية الشيعية
- * انتقال الدولة الفاطمية الشيعية إلى مصر. وتولية زيري الصنهاجي حكم أفريقيا والمغرب.
- * خروج الدولة الصنهاجية في عهد المعز بن ياديس عن طاعة الفاطميين ودخوله في طاعة الدولة العباسية
- * الهجرة الهلالية من مصر إلى البلاد المغاربية ونتائجها في أفريقيا
- * ظهور الدول والإمارات في أفريقيا
- * صنف القراء الدقاعية للبلاد وظهور الأطماع الاستعمارية الفرنسية في تونس
- * حركات التحرير التونسي واستقلال البلاد

دولة الأغالبة (١٨٤-١٩٢ هـ / ١٨٠٠-١٩٠٩ م) قامت دولة الأغالبة في أفريقيا (تونس) بتوجيه من الخليفة العباسى هارون الرشيد للعمل على إخماد ثورات البربر والوة وف فى وجه الأدارسة إذ حاولوا الإغارة على أراضى الدولة العباسية.

أسس دولة الأغالبة ابراهيم بن الأغلب التميمي ١٨٤هـ / ٨٠٠ م واتخذ القيروان عاصمة لدولته وعمل على تكثين قوة بحرية ضخمة وبنى مدينة العباسية على بعد قليل من القيروان وجعل بها معسكرات الجند وخزانات السلاح، وجعها دار إمارة لدولته ثم خلف بعد وفاته ابنه أبى العباس عبد الله عام ١٩٦هـ / ٨١٦ م وفي عام ٨٢١هـ / ١٩٦ م توفي، أبو العباس وخانه في الحكم أخوه زيادة الله (٢٠١-٢٢٣هـ / ٨٣٧-٨١٦ م) وفي عهده صار الأسطول الأغالبى أقوى أساطيل البحر المتوسط كما اهتم بالتعمير فأقام المساجد والقناطر والأربطة والخزانات بالقيروان والعباسية وتونس وسوسة وشفف بالفنون والأداب.

كما جادل في سبيل نشر راية الإسلام. ففي عام ٨٢١هـ / ١٩٦ م قام بغزو سردينيا وعاد منها بغنائم كثيرة وكانت غزوته لذلك الجزء لدرء خطر الغارت البيزنطية على السواحل الأفريقية.

وظل الأسطول الأغالبى يسيطر على جنوب أوروبا في صقلية وأيطاليا. وفي عام ٨٢٧هـ / ١٩٢ م أخضع الأغالبة لسلطانهم جزيرة صقلية حين أرسلوا أسطولهم وأنزلوا جيشا يقوده أسد بن الفرات ففتح صقلية بعد ماحارب الصليبيين وهزمهم في موقعة بمدينة مازر. ثم واصل الاستيلاء على القلاع والحسون حتى خضعت له الجزيرة.

وفي عام ٢٢٣هـ / ٨٣٧م توفي زيادة الله فخلفه أخوه الأغلب، وفي عهده وأصل الأغالبة فتح ما يقى من صقلية.

وفي عام ٢٢٦هـ / ٨٤٠م تولى الحكم أبو العباس محمد (٢٤٢ـ ٢٦٥هـ / ٨٥٦ـ ٨٤٠م) وفي عهده في عام ٢٣٠هـ / ٨٤٤م هاجمت بعض سفن الأسطول الإيطالي سواحل أفريقيا وغنمته وأسرت عدداً من سكان الساحل التونسي، فأصدر الأمير محمد أوامره بعزو إيطاليا وقام الأسطول الأغالبي بالهجوم على ضواحي روما وفتحمرا واستولوا على غذائم كثيرة، ثم تكررت غزوائهم لردع المعتدين وإرهابهم.

وفي عام ٢٤٢هـ / ٨٥٦م توفي الأمير محمد وتولى الإمارة ابن أخيه أحمد الذي استولى الأغالبة في عهده على قصريانه آخر معقل في صقلية في عام ٢٤٤هـ / ٨٥٨م كما قام بترميم وتربيط الجامع الكبير بالقيروان وبني الصهاريج بالقيروان وما جل وسوسة. وتوفي في عام ٢٤٩هـ / ٨٦٢م وخلفه زيادة الله الثاني ثم أعقبه في الحكم ابن أخيه أبو الغرانيق ٢٥١هـ / ٨٦٥م وفي عهده فتح الأغالبة جزيرة مالطة في عام ٢٥٥هـ / ٨٦٨م وبقيت تحت حكم القبروان ما يقرب من مائتين وخمسين عاماً وتوفي عام ٢٦١هـ / ٨٧٤م أبو الغرانيق وتولى الحكم بعده آخره إبراهيم (٢٨٩ـ ٢٦١هـ / ١٠١٨٧٤ـ ٩٠م) الذي تم في عهده فتح سرقسطة في عام ٢٦٤هـ / ٨٧٧م آخر معاقل البيزنطية في صقلية، وهو الذي بني مدينة رقاده على بعد أميال من القبروان وجعلها دار إمارته.

وفي عهد الأمير إبراهيم أنشئت بيت الحكمة أنشأها الأمير إبراهيم ودعى إليها العلماء من أطباء وفلكيين وفاذين، كما أسس مكتبة ملائماً

بنفائس الكتب، وجعلها مقصد للطلاب من كل مكان، وهكذا تحولت تونس إلى منارة لعلوم والفنون والأداب.

كما اهتم إبراهيم بالرباطات وخصصها بنظام للحراسة بأسلوب متطور بحيث يعکن عن طريق الإشارات الصوتية تأخذ الرباطات حذراًها في الوقت المناسب وتكون جاهزة للدفاع ضد الأعداء المترقبين.

ثم فاجأت إبراهيم حالة مرمنية اضطربت الخليفة العباسى أن يبعث إليه ليعرف نفسه من الحكم ويقتاصل عنه لابنه عبد الله الذى لم يلبث أن توفى عام ٩٢٩هـ/١٥٢٩م مخلفاً إبهى أميراً مصطفى زيادة الله وفي عهده انتهت دولة الأغالبة. أتى نهرمت بأثريقيا وكانت أسطولاً في البحر المتوسط ففتحت به صنبلة ومالطة فذعرت كلّاهما ودخلت في الإسلام.

لقد كان سقوط الأغالبة على يد الفاطميين الذين فحروا على دولة الأباشية ودولة الأغالبة ويسطروا سلطانهم على تلك البلاد.

انضممت كثامة المغربية إلى الدعوة الشيعية الفاطمية بعد مقابلة قمت مع بعض من كتابة المغربية (الجزائر) وهم في موسم الحج بمكة مع الداعية أبو عبد الله الصنعاني الذي سافر معهم إلى المغرب وأعلن لهم دولة آل البيت الذين هم أحق بالخلافة من غيرهم.

واستجابوا له وبدأ يرتب التنظيمات العسكرية ثم اتجه بها إلى أفريقيا (تونس) وتنقلب على الأغالبة وعلى قواتهم في الأريض ثم تدخل القيروان فاستولى عليها. ودبر الأمور لدعوة عبد الله المهدى للحضور من مقر الدعوة في أرض الشام، وللتغطية وخوفاً من الرقابة العباسية جعل خط

سيره إلى سجل ماسه في المغرب الأقصى فاعتقل هناك ثم نُمكِن من الهروب واتجه إلى القبروان في عام ١٩٠٩هـ/١٩٩٧م وتسلم القيادة من أبي عبد الله المعناني وتلقب بأمير المؤمنين ثم بدأ في بسط نفوذه على بلاد المغرب الأقصى واستعلن في تحقيق هدفه بقبيلة صهajaة بالجزائر وزعيمها مطالبته، والذي قاد جيشاً رجح به إلى بلاد المغرب الأقصى وفتح مدينة فاس بعدما تقلب على الأدوار بها، ثم بدأ الشيعة الفاطميين يعملون على جذب علماء السنة إلى صفوفهم فتجاذل الفريقان في القبروان^(١).

وأدرك عبد الله أن القبروان لن تعطيه الأمان فعمل في بناء مدينة له يقيم فيها هو وأسرته.

ويبدأ العمل فيها عام ١٩٠٣هـ/١٩١٥م وتقع بين سوسة وصفاقس حتى تم له بناؤها في عام ١٩٠٨هـ/١٩٢٠م وهي مدينة المهديّة وجعلها مقر حكمته.

ويبدأ الجهاد ضد الأعداء فصارع إلى صقلية بجذوده ليعيد طاعة أهلها إليه، وعين عاملًا له عليها.

ولما ثارت الأباشيّة في طرابلس، كلف ابنه القائم بردعهم وتغلب القائم على الثوار وفرض عليهم غرامة يدفعونها ثم خرج القائم إلى المغرب الأوسط وبنى مدينة المحمدية (المسيلة) وفي عام ١٩٢٢هـ/١٩٣٣م توفي

(١) قالت الشيعة بأن الإمام هي أم المطالب في أحكام الدين والتي يحصل بسببيها إدراكه نيل درجة الكراهة وهي أحدى أركان الإيمان للستحق بسببيه للنفرة في الجنة فقد قال رسول الله من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة لتجاهله. فمارئتهم جماعة السنة وقلالو بأن اللهم فخر الإيمان وشعبه ولم يذكر الإمامة في أركانه ولا جاء ذلك في القرآن.

عبد الله المهدي وقام بالإمامية بعده ابنه القائم، وفي عهده تم غزو جنوة وكرميكا وسردايه، واستولى قائد البحريه يعقوب بن أسحق على القائم الكثيرة منها.

وفي عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦ م قامت ثورة أبي يزيد مخاذ بن كيداد الزناتي الصغرى وهاجم أفريقيا (تونس) ودخل تبسة والأربس وباجه وتونس ورقاده والتبروان ثم حاصر المهدية وفاجأ القائم الموت، فتللى ابنه المنصور قيادة البلاد، وذلك في عام ٩٤٩هـ/١٥٤٥ م ثم بعث يطلب المساعدة من صدّهاجة ومرعان ما قبلت صدّهاجة وبفضلها تم انسحاب المحاصرين للمهدية.

وبعث المنصور بأسطول إلى سردايه وكانت المعركة أذ استولت عليها وتمكن من التغلب على أبي يزيد زعيم الصغرى فانسحب أبو يزيد يربى للقيروان فقصده أهلها عنها. ثم تغلب المنصور على أبي يزيد في عام ٩٤٧هـ/١٥٣٦ م، واحتفل المنصور بهذا الفوز الذي ناله على عدوه فأنشأ مدينة المنصورية في عام ٩٤٨هـ/١٥٣٧ م مجاورة للقيروان. وفي عام ٩٥٢هـ/١٥٤١ م توفي المنصور وتولى مكانه ابنه المعز وفي عهده تم إخضاع المغرب من أدناه إلى أقصاه بفضل جيروه القائد جوهر الصقلي في عام ٩٥٨هـ/١٥٤٧ م.

وفي عام ٩٥٨هـ/١٥١٨ م بعث المعز الفاطمي بجوهر الصقلي إلى مصر على رأس جيش كبير استطاع به دخول مصر، وفي مدينة الفسطاط خطب جوهر في جامع عمرو بن العاص باسم الخليفة المعز الفاطمي.

وبعث جوهر بدعوه للحضور لمصر، فقام المعز بتدبیر شتون المغرب ثم بدأ رحلته إلى مصر في عام ٩٦١هـ/١٧٧١ م وأمتد سلطان المعز الخليفة

الفاطمي من الشام إلى مصر حتى بلاد المغرب الأقصى.

أسد الخليفة المعز الفاطمي حكم المغرب إلى زيري زعيم صهajaة وكافة مساعدته في تحقيق نصر على مخلاف بن كيداد الزعيم الصغرى. وقام زيري الصهاجي بعمل اصلاحات وأقام المدن في المغرب الأوسط (الجزائر) حين كلف ابنه بلکين ببناء مدن الجزائر وملیانه والمدية.

عمل بلکين على تأسيس دولة قوية فقام على رأس جيش في عام ٩٧٨هـ/١٥٦٨ م لاخماد الثورات التي قامت ضد الفاطميين وتمكن من التغلب على الظاهررين ودخل مدينة فاس وأصيلا على المحيط الأطلسي.

وفي عام ٩٨٤هـ/١٥٧٤ م توفي زيري وخلفه في حكم البلاد ابنه المنصور ورأى المنصور بن بلکين أن يدخل عن بلاد المغرب الأقصى بسبب المشاكل والحروب التي سببها له مع قبيلة زنانه ومع أعمامه، واكتفى بإمارة إفريقيا تونس والجزائر الشرقي من الجزائر حتى الزاب.

وفي عام ٩٩٦هـ/١٥٨٦ م ترقى المنصور وخلفه ابنه باديس وفي عام ٩٩٨هـ/١٥٨٨ م كلف عمه حماد بقيادة جيش للقتناه على ثورة قامت بها زنانه في المغرب الأوسط (الجزائر) وتمكن حماد من تحقيق انتصار على زنانه وعاد وبنى قلعة حماد في قسطنطينة لكنه مقرا لقيادته. ثم حارب عمه باديس وتوفي عام ٤٠٦هـ/١٠١٥ م.

وتولى الحكم بعده ابنه المعز وكان طفلا فتولى أممامه قيادة الدولة.

أما حماد فقد استقل بما استولى عليه من أرض زنانه في إقليم الزاب لوعد أعطاه إياه المنصور بامتلاك ما يفتحه من أرض زنانه.

وفي عام ١٠٤٠هـ / ١٧٥٤م بعث المعز بجيش لمحاربة عمه حماد، وهزم حماد في المعركة ولكنه طلب الصلح مقابل استمرار في حكم البلاد التي استولى عليها من زناه وإعلان تبعيته للمعز.

وهكذا قامت إمارة بني حماد الصنهاجية وعاصمتها قلعة بني حماد في غرب الجزائر بجوار دولة صنهاجة التي عاصمتها القبروان.

وفي عام ١٠٤٣هـ / ١٧٣٨م حول المعز بن ياديس تبعيته للخلافة الفاطمية في القاهرة إلى الخلافة العباسية في بغداد وكان ذلك تمشياً مع رغبة الجماهير الرافضة للمذهب الشيعي الفاطمي ومن هنا كانت الخطوة التي ذهبها الفاطميون ضد الدولة الصنهاجية المغربية (تونس). انتقاماً من أميرها المعز بن ياديس الذي خرج عن تبعيته لهم في العقيدة والإدارة.

انتقل المعز بن ياديس إلى المهدية وتوفي عام ١٠٦٢هـ / ١٤٥٤م بعد أن ترك لفريقيا (تونس) وقد دخلتها المدنية والحضرية والعلوم وازدهرت للزراعة والصناعة، وتولى الحكم تيم بن المعز بعد وفاة أبيه، وفي عهده قاومت البلاد غارات الأعداء على سواحلها لم تتمكن أحد من الأعداء الطامعين إلا أن صقلية خرجت عن سلطان تيم بن ياديس وتبعتها جزيرة مالطا، وتوفي تيم في عام ١١٠١هـ / ١٥٠٥م وتولى الحكم بعده ابنه يحيى.

وفي عهده استعادت الدولة قوتها البحرية وقامت بغزوات بحرية إلى جنوب وسردانية وعادت محملة بالغنائم.

وفي عام ١١١٥هـ / ١٥٠٩م توفي يحيى وتولى بعده ابنه على، وفي عهده صار الورمان يشكلون خطراً كبيراً على المهدية فاستدرج على بن

تميم بالمرابطين الذين تمكنا من حماية المهدية من الخطر النورماندي وقاموا بغزو صقلية.

وفي عام ١١٢١هـ / ١٦٥١م توفي على وخلف ابنه الحسن بن على ابن تميم. وعاد روجر الهجوم على المهدية ولم يتمكن الحسن بن على بن تميم من الدفاع عنها فسقطت المهدية في عام ١١٤٨هـ / ١٦٣٢م.

وسقطت مدن الساحل الأفريقي وطرابلس في يد النورمان إلا أن الدولة المرحدية هاجمت النورمان ورددتهم عن البلاد واستعادت البلاد من النورمان عام ١١٦٠هـ / ١٦٥٥م وتولى الحسن بن على الصنهاجي الحكم وشاركه عاماً عليه الموحدون، وكان هذا آخر عهد دولة ابن باديس بأفريقيا (تونس).

لما بعث الفاطميين في عام ٤٤٩هـ / ١٠٥١م بقبائل بني هلال وسلم إلى بلاد المغرب نكبة في المعز بن باديس أمير أفريقيا (تونس) وحاربوا المعز فغاربهم وهزم في المعركة وسقطت القิروان في أيدي العرب. كانت نتيجة ذلك أن تفتت أفريقيا وتحولت إلى إمارات صغيرة فكانت لأسرة جامع من بطون رياح إمارة في قابس وقضى عليها الموحدون. كما تمكّن بدو الورد اللخميون من إقامة إمارة عربية في بنزرت، وأقام بدو هلال من عرب قيس البلدين إمارة عربية في وادي مجرده شمال تونس واستقروا بطبرقة وكانت مرسى لأهل الأندلس.

وعلى الرغم من أن الهجرات الهمالية التي اتخذت مظهر الفتح

وتأسیس الإمارات العربية عملت على تعریب القبائل البربرية بالمنطقة، لأن التدربات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الدين الإسلامي ولغة العربية بالمنطقة فأنت الهجرات الهمالية لتضييف إلى ذلك الدم العربي وتعدل التكرين الجنسي والعنصرى لسكان المغرب حتى صار البربرى القديم لا يلتئم إلا في معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة ولا يميز إلا ببعض الظواهر اللغوية.

وأضافت هذه للقبائل العربية إلى حصانة شمال أفريقيا سمات جديدة وتنتج عن اندماج العرب والبربر أجبياً أقوى شकيمة وأشد مراساً من لجدلهم.

على الرغم من كل ما تقدم من إيجابيات للهجرة الهمالية، إلا أن للهجرة الهمالية مسلبياتها فقد مكنت التورمان من غزو المهدية وأكثر من مرة واستولوا على ساحل أفريقيا ومدن قابس وصفاقس والمنستير وسوسة وصالة وجال روجر في البلاد حتى تمكن من التغلب عليه الموحدون. وكل ذلك سببه هجرة العرب إلى أفريقيا التي تسببت في تقدیث قراها بعد مانعولت إلى إمارات صغيرة فأنى إليها من يغزوها فلا يوجد أحداً يدافع عنها.

بعد أن تغلب الموحدون على التورمان وحرروا المهدية وسائر الساحل الأفريقي، وعاد الأمير الحسن بن على الصنهاجي للحكم وأشرك معه أحد العمال الموحدين ونقلت عاصمة الدولة إلى تونس. وظلت الدولة الموحدية تبسط سلطانها في أفريقيا وتقاوم التورات وتقضي عليها حتى كان عهد السلطان الداشر بن يعقوب الموحدى، الذي تمكن من التغلب على بقايا

الدولة المرابطية واسترجع المهدية من ابن غانية المرابطي وعاد إلى عاصمة دولته مراكش عام ١٢٠٦هـ/١٣٠٣م.

واستخلف على أفريقينا أبي محمد عبد الواحد بن يحيى بن أبي حفص، وكان ذلك الدرر الذي أسد لشيخ أبي محمد عبد الواحد بداية قيام الدولة الحفصية.

فإن دولة الحفصية مُعيبة من دولة المرحدين وذلك لأن الذريفة المرحدى محمد الناصر فرض أمر أفريقينا إلى وزيره وصهره الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهمذاني ومنحه جميع السلطات التي تخول له حكمها مسندلاً بهذه الولاية، ثم حدث الانفصال انزعجى التهانى على يد أبي زكريا عبد الواحد الحفصى عام ١٢٢٦هـ/١٣٢٩م.

بدأت هذه الولاية كإماراة مستقلة في عهد أبي زكريا يحيى ثم تحولت إلى خلافة في عهد ولده أبي عبد الله محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين واستمرت هذه الدولة مدة طويلة إلى أن سقطت في أيدي العثمانيين نهاية عام ١٥٨٤هـ/١٩٨١م.

وكان حدود الدولة الحفصية تشمل الأراضي التي تقابلها اليوم طرابلس والجمهورية التونسية وجزء كبير من الجمهورية الجزائرية الذي يشمل ولايات عدن وقسطنطينة ووجاية وتلمس (دلس حالياً) وجزء من الصحراء الجزائرية جدوياً.

وقد لعبت القبائل العربية بأفريقينا دوراً واضحاً في صد غزوات مسيحي أوروبا لتونس وأولى هذه الحملات المسيحية التي تصدت لها القبائل بالمقاومة حملة لويس التاسع التي كانت خارجة للانتقام لهزيمة الفرنسيين

بالمتصورة عام ١٢٤٨هـ / ١٩٣٠م وكلها تحولت إلى تونس بتأثير وتوجيهه شارل دي انجر ملك جزيرة صقلية وأخر لويس الذي طمع في استغلالها لحسابه الخاص وتدعيم ملكه ومد نفوذه إلى تونس مستغلًا شارة الصليب.

ورغم أن المصادر الأوربية والمعاصرة للحملة تعزو قيامها لأسباب متعددة ومتفرعة منها إيواء المستنصر الحفصى لبعض العصاة من جزيرة صقلية مما أسماء إلى شارل مليكها وتطلع شارل إلى إضافة إقليم ذى موقع استراتيجي هام على الساحل الأفريقي لخدمة الحركة الصليبية، وأخيراً ميل المستنصر الحفصى الشديد للمسيحيين ومعاملته الحسنة لهم. والزعم باستعداده للنصر والتوجه من الإسلام باظهار قدر قليل من القوة كفيل يجعله يعلن اعتنافه للمسيحية.

والمصادر التونسية تعزو قيام هذه الحملة إلى تناول المستنصر بالله للحفصى لسيرة الملك لويس الناشع باستهزاء، مما أثار الملك لويس وأغضبه فعول طريقها عن مصر إلى تونس للانتقام لكرامته.

ولم تك الحملة تصل إلى الشواطئ التونسية في عام ١٢٦٨هـ / ١٩٥٠م وعلى رأسها لويس وأبناؤه الثلاثة وخلفائه من ملوك أوربا وأمرائهم في أشد أوقات صيف أفريقيا حرارة حتى نفши المرض في المعسكر الفرنسي فوق الأبراء والفرسان والعساكر فريسة المرض وأصيب لويس الناشع بحمى شديدة مات على أثرها وتولى أخيه قيادة الحملة المكونة من ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجال واستولى على تونس في عام ١٢٧٠هـ / ١٩٥٨م فقام العرب بالاشتراك مع غيرهم من المسلمين بمقاومتهم مقاومة بأسلحة مرسلين رجالهم كفدايين عن طريق البحيرة التي نظر

على المدينة لمناوشتهم خاطفين فرسانهم لولا ملزلين الرعب في صغرفهم حتى تمكن السلطان المستنصر بالله من حشد قرابة التي بلغت أربعين ألفا من الرماة فقط لاشك أن أغليهم من القبائل العربية بأفريقيا لشهرتهم في استخدامه.

ورغم استمرار الاحتلال الفرنسي لتونس مدة ثلاثة شهور ونصف وتفكير المستنصر بالله في الانتقال إلى قسطنطينة إلا أنه يبدوا أن دور العرب في مقاومة جعل جوانب في يذكر وبذور شارل دي انجوف المحافظة على القراء الفرنسية الباقية حتى الخريف، وإنقاذ الحملة من كارثة محققة. وفي نفس الوقت رفع من الروح المعنوية لأهل تونس حتى أن أحد أدباء تونس شبه نهاية هذه الحملة ب نهايتها في مصر من حيث الهزيمة والفشل فقال:

يا فرنسيين هذه أخت مصر فتأهبا لما إليه تشير

لنك فيها دار ابن نعمان قبر وطراشيك ملكر ونكير

عادت الحملة الفرنسية مهزومة، بعد أن قدم المستنصر لها أموالا كثيرة.

وقد جدد المستنصر للحاليا التي كانت من أيام الرومان كان يجري عليها الماء إلى مدينة قرطاجة من زغوان ومدها في تونس إلى السقايات المتعددة مثل جامع الزيرونة، وفي عهده انتعشت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وترقى المستنصر في عام ١٢٧٥/٩٦٧ م وتولى الحكم ابنه يحيى الواثق إلا أن عمه أبو سحق إبراهيم خرج عليه واغتصب منه الحكم

عام ١٢٨٦هـ / ١٢٨٨م ثم ثار أحمد بن مرزوق العسيلي في عام ١٢٨٤هـ / ١٢٨٢م وتمكن من الاستيلاء على تونس وساعدته أعراب قايس من بني هلال ثم خرج عليه ثائر آخر هو الأمير عمر أبو الوانق. وفي عام ١٢٨٣هـ / ١٢٨٤م تمكن من قتل أحمد بن مرزوق العسيلي وتولى هو شتون الحكم، وسرعان ما خرج عليه بالجزائر ابن عمه يحيى بن إبراهيم واستقل ب يجعلة وفلسطين.

وفي عام ١٢٩٤هـ / ١٢٠٤م توفي عمر وخلفه أبو عصيده محمد بن الرايق وحاول استعادة القسم الشرقي من الجزائر ولم يقدر. وتوفي عام ١٣٠٩هـ / ١٢٧٠م.

وبعد مرحلة من الصراع تمكن أبو يحيى زكريا بن اللحيانى من للسيطرة على الموقف في عام ١٣١١هـ / ١٢٩١م ثم تخلى عن الحكم لولده أبي شريف فعارضه أمير فلسطين الحفصي أبو بكر عام ١٣١٨هـ / ١٢٧٨م واستولى على تونس.

وظل بالحكم حتى عام ١٣٩٤هـ / ١٢٩٧م ثم تولى الحكم بعده ابنه أبي حفص الثاني فثار عليه آخره أبو العباس فتدخل أبو الحسن سلطان بني مررين وهاجم تونس في عام ١٣٦٥هـ / ١٢٩٨م ووسط سلطان بن مررين على المغاربة الأدنى والأوسط.

ثم دب الخلاف بين أبي الحسن المرريني وقبائل العرب وأضطرته الظروف إلى الانسحاب من تونس التي حكمها الفضل بن أبي بكر الحفصي، ودبر له ابن تافراجين مؤامرة لقتله فرلى الحكم بعده آخره أبو الحسن إبراهيم عام ١٣٥٠هـ / ١٢٥١م وجعل ابن تافراجين من خاصته،

وتوفى أبو سحق في عام ١٣٦٨ـ / ١٧٧٠ مـ . وتولى السلطان أبو العباس أحمد الحفصي حكم البلاد في عام ١٣٧٠ـ / ١٧٧٣ فقام بحركة أرفق الفوضى وقضى على الفساد الذي أشاعه الأعراب في البلاد واستطاع أن يعيد الأمان ، ويسطر سلطانه على المهدية وسوسة وفاس وشط للجريد وجزيرة جربة ، وانتشر الأمن في ربوع البلاد ، وقضى على الأسطول الجنوبي الذي هاجم المهدية فانسحبوا مهزمين بعدما قضى على أسباب ضعف تونس واسترد لها مكانتها ، مما أدى إلى نجاح الحفصي في السيطرة على القبائل العربية بأفريقيا وإلزامهم بالزكاة والعشر .

ومن بداية القرن التاسع الهجري حتى سقوط الدولة في أواخر القرن العاشر اشتد الصراع بين أمراء البيت الحفصي وكثُر تدخل العرب وثوراتهم بقيادة أولاد أبي الليل بينما ناصر أولاد مهلهل في الغالب الدولة . وعلى سبيل المثال فبعد نجاح الأمير أبو عمرو عثمان (١٤٨٨ـ / ١٤٣٥ـ / ١٤٩٢ـ) في الاستيلاء على الحكم في تونس قام أولاد أبي الليل بحماية مناقبه على العرش الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد وأنزلوه بمخيماتهم ولكن وعد ووعيد أبو عمرو عثمان أرهب أولاد أبي الليل فأسلموه لاجلهم وأنصاره قتلتهم في نفس العام .

ويبدو أنه لم يف بوعده لهم (ذ هاجم أولاد أبي الليل مدن أفريقيا سالبين مراعيها قاطعين الطريق على أهلها وحاصروا مدينة تونس فأطلق أولاد مهلهل مناقبهم عليهم واشتباكوا معاً بالقرب من تونس وقدل فيها الكلير وانسحب أولاد أبي الليل مهزمين ليعودوا مرة أخرى لحصار تونس بمساعدة أبي الحسن والي بجاية وباتقى الفريقان في عام ١٤٣٦ـ / ١٤٤٠ـ مـ ويتتصدر أبو عمرو عثمان وخلفه من أولاد مهلهل ويقبض على زعماء

أولاد أبي الليل.

وهكذا فإن الصراع بين الأمراء الحفصيين على الحكم قد انعكس على قبائل عرب سليم وصراحتها من أجل السيطرة على جميع عرب أفريقيا والاستحواذ على رضاء الدولة وهباتها. وليس معنى هذا أن أولاد مهلهل كانوا أنصاراً وخلفاء للدولة بصفة مستمرة فقليلًا ما ثاروا على الدولة لسببٍ آخر ففى عام ١٤٦٧هـ / ١٨٦٧ م عندما خفض أبو عمرو عثمان مرتباتهم ثار أولاد مهلهل وفر زعماؤهم إلى الصحراء فاستبدلهم أبو عثمان وعين بدلاً من الشيوخ الثانرين عليه رجالاً منهم إما أخاً للشيخ أو عما أو ابن عم ولذلك أولادهم رهنا لديه لضممان طاعتهم وأرسلهم للعاصمة حيث نزلوا يقتصر خاص لتنفيذهم وتربيتهم على الولاء للدولة والإخلاص لها.

وفي خلال فترة حكم أبي عبد الله محمد الخامس وابنه الحسن من عام ١٤٩٤هـ / ١٨٩٩ م إلى عام ١٥٣٦هـ / ١٩٤٢ م ثارت جميع قبائل أفريقيا بقيادة عرب الشابيين وتمكناً من الاستيلاء على القيروان متزلاً هزيمة ساحقة بقوت الدولة التي تحلى عنها أنصارها من العرب.

وتمكن الشيخ عرفه من زعماء الشابيين من الاستقلال بحكم القيروان ولد آخره محمد بن أبي الطيب ثم الشيخ عبد الصمد بن محمد بن أبي الطيب ثم ابنه علي ويعرف بأبي زغالية ثم ابنه أبو زيان.

وأستمر الصراع بين عرب الشابيين بالقيروان وما حولها والدولة الناظمية بتونس إلى أن قضى العلمانيون على استقلال الجميع.



ظهرت الدولة العثمانية في شمال أفريقيا كقوة ضاربة، وعظام شأنها حيث صار لها أسطول ضخم يغلب أقوى الأساطيل الأوروبية خاصة بعد انتصام خير الدين بربروسه وعروج وهو من أمراء البحر الذين ساهموا أعظم مساهمة في رفع شأن القوة البحرية العثمانية.

استغاث الشعوب الأفريقية بالعثمانيين لنجاتهم من العدوان الأوروبي المستمر على سواحلها.

لقد بعث الأمير أحمد الحفصى يستجد بالعثمانيين في عام ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م ثم عاد واستجد بالأسبان حين أحسن بالخروف من تبعيته للعثمانيين، فعاد الأسبان إلى تونس وأعلموا حمايتهم عليها، ولما أدرك الأمير أحمد خطأ ما قدّم عليه، انسحب من البلاد وسلم الحكم أخيه محمد عام ٩٨٠هـ / ١٥٧٣م وفي عهده اشتد غضب الأسبان وتعسفهم وظلمهم للأهانى وعادت تونس تطلب العون من العثمانيين، فقدمت إلى تونس قرة عثمانية في عام ٩٨١هـ / ١٥٧٤م يقودها سنان باشا الذي قام بإبعاد الأسبان من البلاد وبعث بالأمير الحفصى إلى الأستانة وانتهت بذلك الدولة الحفصية التي حكمت البلاد على مدى ثلاثة قرون ونصف.

عمل سنان باشا على جعل تونس تابعة للسلطان العثماني مباشرة، ونظم شؤونها الإدارية وصارت تونس ولاية تابعة للدولة العثمانية التي أمنت سلطانها من مصر إلى الجزائر.

ونظم سنان باشا الديوان لإدارة شؤون البلاد وخصص الرواتب، ونظم الجباية وجعل عليها مشرفي (البای) فكان البایشا (الرايس) يقرم بحكم البلاد ومعه قرة من الأترالك العثمانيين يقودهم الأغا.

ويجانب هؤلاء رؤساء القرميان وبعض زعماء قبائل المخزن ويقومون بجباية المصاريف وقسم الجيش إلى أربعين فرقة كل فرقة مائة محارب يرأسهم الناي، وهؤلاء هم رجال الديوان الذين يعاونون البasha.

وفي عام ١٥٩٩هـ/١٩٩١م اجتمع الديابات وانتخبوا واحداً منهم جعلوه رئيساً للجند الأغا ثم أصبح هذا الأغا هو صاحب التفود الحقيقي في البلاد.

ثم تولى الأمر عثمان داي شتون البلاد في عام ١٥٩٧هـ/١٩٩٣م واستبد بالأمر، حتى جعل الديوان مجرد أداة لتسجيل أوامرها التي يصدرها ليفرقها حتى صار البasha مملاً للسلطان وليس له سلطة حقيقية.

ومن عثمان داي القرانيين التي ساعدت على نشر الأمن والنظام في البلاد، كما اعتمد عثمان داي على قبطان البحرية وعلى رئيس الفرقa الوطنية التي كلفها بجمع المصاريف ومراقبة أحوال القبائل، فازدهرت الحياة في تونس وفي عهد عثمان داي استقبلت البلاد التونسية آلاف الأندلسين الذي فضلوا مغادرة بلادهم الأندلسية وهجرتها إلى بلاد الإسلام، على يقائهم تحت ذل الأسنان الذين ارغموا من بقى منهم إلى الدخول في دين النصارى فهراً واستبداً.

وقد رحب عثمان داي بهؤلاء المهاجرين الأندلسين وأقطع القادمين منهم الأراضي وقدم لفراقاتهم الأول لمساعدة قامنلأت البلاد التونسية بهم في كل أنحاتها فعمرت البلاد وانشر العمارة ظهرت المدن والقرى التي أقامها المهاجرون القادمون. كما أقاموا المزارع والمصانع حتى صارت نهضة عممت جميع الأرجاء.

وتوفي عثمان داي عام ١٦١٩هـ / ١٧٠٤م وتولى بعده يوسف داي الذى اتجه إلى قسوة الحدود مع الجزائر، واهتم بالتعمير، فأنشأ جامعاً ومدرسة، ونظم الأسواق للتجارة، وتوفي يوسف داي فى عام ١٦٣١هـ / ١٧١٠م وتولى بعده مراد بك الذى حصل على حق توليه ابنه حموده من بعده، ونعمت تونس في عهد مراد بك وابنه حموده من بعده بالرخاء والرفاهية، فقد وضع حداً لسلطة القبائل العربية، وقضى على العصابة الخارجيين على القانون تماماً. فانتشر الأمن في البلاد، وبنى جامع وصومعة أصنافها إلى جامع الزيدونة وفي عام ١٦٦٦هـ / ١٧٥١م توفي حموده بن مراد بك وخلفه ابنه مراد الذى نتمكن من سحق ثورة قامت بها الجند غير النظامية في طرابلس وشرع في بناء منشآت ، وتوفي مراد بك بين حمود في عام ١٦٧٦هـ / ١٧٦٠م ثم قامت الصراعات بين ولديه وأخيه على السلطة الأمر الذى أدى إلى التدخل من جانب القوات الجزائرية وانتهى الأمر بخروج السلطة من جانب اسرة مراد بك وذلك حين قام الأغا إبراهيم قائد الفرسان بالخلاص من نسل عائلة حموده والاستيلاء على الحكم في عام ١٦١٤هـ / ١٧٠٢م .

وفي عام ١٦١٦هـ / ١٧٠٤م حصل على لقب باشا من السلطة العثمانية فصار هو المسيطر على البلاد . ثم أضطررت الأحوال في البلاد وخرجت السيطرة من يد الأغا إبراهيم فأجتمع الأهالى ونادوا بالأغا حسين بن على زعيم الفرسان بايا، فقام ببساط نزوله على البلاد في عام ١٦١٧هـ / ١٧٠٥م وعمل حسين بن على على بذل جهوده في إقامة حكومة وراثية قوية في عام ١٦٢٢هـ / ١٧١٠م .

ولما استقرت الأحوال في البلاد مدخله الدولة العثمانية ولاية تونس

وخطتها وراثية في أسرته (١١١٧هـ / ١٧٤١ م - ١١٥٣هـ / ١٧٩٥ م) وهكذا شهدت
البلاد فترة انتقال عميقه فقد استقرت العائلات العربية والبربرية الكبيرة في
البلاد، وحافظت الدولة على استقلالها من التدخل الأجنبي.

لقد عرف الحسين بن علي بالنشاط والذكاء الحاد وعرفت البلاد في
عهده الاستقرار والتقدم الحضاري. وفي عهده انتجت تونس كميات كبيرة
من القمح والجلود والشمع والاسفنج والبلح ونشط التصدير في عهده لذلك
المنتجات.

كما أنشأ المدارس في العاصمة، وفي القيروان وسوسة وصفاقس
ونقطه.

ثم دب النزاع بين البای حسين وولديه محمد وعلى من ناحية ابن
أخيه علي بن محمد من ناحية أخرى، وذلك أن البای حسين نقض عهده
الذى قطعه على نفسه لابن أخيه على بجعله ولیا للعهد وكان ذلك قبل أن
يرزق بولديه محمد وعلى ثم غير رأيه بعد مأنجوب ولديه محمد وعلى
وخلع ابن أخيه من ولاية العهد، واكتفى بأن حصل له على لقب باشا من
الباب العالي.

وهكذا قام النزاع بين علي وعمه البای حسين وعادت الاضطرابات
الداخلية إلى البلاد من جديد.

فلجأا على إلى الحاكم العثماني في الجزائر الذي أمدء بجيشه لمحاربة
عمه حسين باى تونس وفي عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٥ م تمكّن على من هزيمة
عمه ودخول تونس وتولى حكم البلاد (١١٩٦.١١٤٧هـ / ١٧٥٦.١٧٣٥ م)

مع تعيينه لوالى للجزائر العثمانى.

وفي عام ١١٥٣هـ / ١٧٤١م تقابل جيش البائى حسين مع جيش على فى جنوبى القيروان وهزم البائى حسين الذى قتل فى المعركة، وصار على واليا على تونس ثم قام بإنشاء المدارس فى أنحاء البلاد.

وفي عام ١١٩٦هـ / ١٧٥٦م فوجئ البائى على بابلي عمه حسين بالهجوم عليه بجيش كبير وافتراها فهزمه على وسقط قتيلا فى المعركة.

واستولى محمد بن حسين البائى على عرش تونس ثم كلف أخيه على بنتبیر شلون الدولة ومات عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٩م ويقى على فى الحكم ١١٩٦-١١٧٢هـ / ١٧٨٢-١٧٥٩م وأبدى نشاطا فى الاهتمام بالتجارة والزراعة والصناعة وأنشأ محكمة شرعية فى تونس والمدرسة الجديدة وأنشأ تكية للفقراء من الرجال والنساء تقدم الطعام للمعوزين، وكان يجالس العلمى ويقدم لهم الطعام بنفسه.

وفي عام ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م ترقى على بن حسين البائى وخلفه حموده ابنه فى حكم البلاد (١٢١٥-١١٩٦هـ / ١٨١٤-١٧٨٢م) وفي عام ١٢٠٩هـ / ١٢٠٤م أعلن حموده بن على الحرب على البندقية، واستعد لقتالها لذنب بحار جدوية فى الإضرار ببعض تجار من تونس، فتراجعت البندقية وقدمت التعريض المناسب للتجار التونسيين ترضية لهاى تونس، كما استغاث حاكم طرابلس على القرمانلى من اعتداء على برغل على سلطاته، فانتصر لعلى القرمانلى وأعاده إلى ولايته فى طرابلس، كما قاوم الاعتداء الذى قام به الوالى العثمانى بالجزائر على تونس

وهزمه، وصارت تونس في وضع دولي ممتاز في عهد حموده بن على ياي تونس.

لقد أدخل التجنيد في الجيش وأشرك التونسيين فيه وشاركوا في الحكم مع للعلمانيين وجعل من نفسه نموذجاً للرولاندية التونسية بأن جعل هدفه الاعتماد على المليجات التونسية في كل شئ من ملبس وماكل ويعلن ذلك على الملأ.

وخلفه محمود بك بن محمد ١٢٤٠ـ/١٩٩٦ـ (١٨٢٤ـ/١٨١٤ـ) الذي أرغمه الدول الأوروبية على الغاء تجارة الرقيق رغم الامتنار الاقتصادية التي ترتب على هذا الاجراء ولكنه قاوم الضغط الأوروبي.

وفي عهد خلفه حسين بك (١٢٤٠ـ/١٢٥١ـ ١٨٣٥ـ) بدأ التناقض بين بريطانيا وفرنسا للحصول على لمتيازات في تونس، وتمكنوا تباعاً من الحصول على حق صيد المرجان في ساحل طبرقة وفي كل سواحل تونس.

وفي الحرب العثمانية ضد اليونان، وقفت تونس بجانب العثمانيين فيعطف الامسطول التونسي في موقعة نافارين البحرية ولكنه لم يقف مع الجزائر في حربها ضد الفرنسيين، مما سيكون له أوضح العواقب بالنسبة لكل من تونس والجزائر، إذ أن الجزائر لم تستطع المقاومة ضد فرنسا حين قام الأمير عبد القادر الجزائري بعد صراع عنيف ضد الفرنسيين بتسليم نفسه في عام ١٢٦٤ـ/١٨٤٧ـ مقابل السماح له بالسفر إلى الإسكندرية وبعدها خضعت الجزائر للحكم الفرنسي.

ولم يكفى حسين بك باى تونس بموقف الحياد بل إنه من خوفه من قوة فرنسا سارع بؤيد فرنسا ضد الجزائر^(١) وأبدى استعداده لتعويين جنود الحملة بالمواد الغذائية الازمة له، وأرسل مبعوثه للقنصل الفرنسي بذلك وهذا انتهز القنصل الفرنسي الفرصة وعرض معاونة فرنسا لمباي تونس حسين بك في حكم البلاد، وقبل المباي العرض الفرنسي.

ثم تطورت الأمور بعد ذلك فقد أخذت فرنسا تعلم على إعلان الحماية الفرنسية على تونس في عهد المباي محمد وطلبت منه إثبات إخلاصه لفرنسا بتوقيع معااهدة تضمن استقلال تونس وتضمن ملامته الشخصية، أو أن تغزو فرنسا بنفسها للدفاع عن مصالحها بالقوة.

وفي عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م بعثت فرنسا بحملة فرنسية إلى تونس وبدأت لاستعدادات على الحدود التونسية الجزائرية بحجة منع المباي من إتخاذ سياسة عدائية صريحة ضد فرنسا ثم عملت أجهزة الاعلام الفرنسية على تهيئة الجروف فرنسا لقبول وضع الحماية الفرنسية على تونس.

ثم بدأت التقارير الفرنسية الكاذبة عن إدعاء اعتداءات رجال القبائل التونسية، وانتهى الأمر بدخول القوات الفرنسية إلى تونس وأرغم المباي على توقيع معااهدة الحماية الفرنسية على تونس في عام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م.

بدأت في تونس حركة المقاومة ضد الحكم الفرنسي فقاوم الفرنسيون الحركة بالاعتقالات والنفي خارج البلاد، فنفوا الشيخ محمد السلوسي،

(١) حدث مثل هذا موقف المختار المنفي يوم حصار العثمانيين للقسطنطينية، يقصد الاستيلاء عليها فيبلغ الخوف بالامبراطور البيزنطي قسطنطين أنه كان يقدم الطعام للعمال العثمانيين الذين يذبحون العصرين والقلاع شهيداً للحج القسطنطينية ثم ندم الامبراطور بعد ذلك.

واعتقدوا السيد حسونة ابن مصطفى في قابس وغيرهم من الزعماء
والأنصار قام غيرهم لمواصلة المقاومة ضد الفرنسيين.

واصل الفرنسيون الذي والاعتنال للوطنيين التونسيين لقد سارعت فرنسا لاحتلال تونس خوفاً من اتساع الذى أطلقه السلطان عبد الحميد الثاني «يامسلمي العالم انحدرا»^(١) حيث بلغت قمية الشعور بالرابطة الإسلامية مداها. وظهر الاحسان بالخطر الذى يهدى الشعوب الإسلامية أمام عزل الاستعمار الغربى المتربص بها فيدعوها إلى التجمع حول تركيا، بوصفها أقوى الشعوب الإسلامية وأندرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك.

ثارت تلك الحركات المؤيدة لفكرة الجامعة الإسلامية مخاوف الدول الأوربية وخاصة إنجلترا وفرنسا خوفاً على مصالح تحت أيديهم من ممتلكات وثروات في العالم الإسلامي، فعمدت الدولتان إلى مقاومة الجامعة الإسلامية بكل الوسائل الممكنة وعمدت إلى محاولة تقطيع أوصال الدولة العثمانية والانقسام من هيبتها أمام الشعوب الإسلامية، وكان الاحتلال فرنسا لتونس وتوسيعهم في قلب القارة الإفريقية وتهديدهم لمراکش وأحتلال الانجليز لمصر، وتوطيد دعائم نفوذهم على أبواب الجزيرة للعربية وفي الهند والقضاء على الحركة المهدية في السودان. وهكذا امتد الاستعمار الأوروبي ليشمل العالم الأفريقي والآسيوي ولكن إلى حين.

وفي عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م اجتمع بعض الملقبين التونسيين ليعملوا

(١) دكتور محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ، ط لسكندرية ١٩٦٩ ص ١٤٩ .

على ربط تونس بحركة الجامعة الإسلامية. وفي عام ١٩٤٣هـ/١٣٦٢م تألف، حزب تونس الفتاة برئاسة على باشين جمعة ونادي بنكورة وحدة البلاد الإسلامية والاعتزاز بالخلافة العلمانية لزعامة العالم الإسلامي فقامت السلطات الفرنسية بحركة الاعتقالات والتفى من جديد.

ثم قام بعض أعضاء حزب تونس الفتاة في عام ١٩٤٣هـ/١٣٦٢م وأعللوا أن نظام الحماية قد أثبت فساده وصند السيادة التونسية، وطالبوا بالاستقلال الشامل والانضمام إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

وفي عام ١٩٤٣هـ/١٣٦٢م أُعلن باي تونس تأييده للزعيم التونسيين، فقامت فرنسيما بقطع البالى محمد المنصف ونفيه عام ١٩٤٣هـ/١٣٦٢م ثُم عادت السلطات الفرنسية إلى استخدام العنف والقتل والتشريد ضد الوطليين التونسيين فرأى التونسيون إلى اللجوء إلى الشرق وجعلوا هدفهم الجامعة العربية، فانسحب الزعيم الحبيب بورقيبة سراً من تونس بعد مخالفته. فيما الزعيم صالح بن يوسف الذي عمل على عقد مؤتمر في عام ١٩٤٣هـ/١٣٦٢م يجمع ممثلي الحزب ونقابات العمال ورجال جامعة الزيتونة واتحاد الموظفين والتجار وجمعية الفلاحين وجمعية الأطباء والصيادلة والمحامين والمعلمين وقرروا الاتفاق على ميثاق وطني يعطى بطلان الحماية الفرنسية ويطالب بالاستقلال الشامل والانضمام لجامعة الدول العربية.

وفي القاهرة اجتمع الحبيب بورقيبة بالوطليين التونسيين الذي حضروا من كل ناحية، وأنشأوا مكتب للدعاية القضائية التونسية وشرح قضيتها للرأي العام.

وتبهت الجامعة العربية لقضية تونس وضمنتها إلى قضية العرب الكبرى، وعرض الموضع على هيئة الأمم المتحدة ثم التقت وفود تونس ومراكش والجزائر وتوحدت أهدافهم جميعاً ضد الاستعمار وعملوا على المطالبة بتوحيد الصنف العربي جميعه. ثم أفرجت فرنسا عن البطل عبد الكريم الخطابي فلماً إلى مصر فاشتعل الموقف لصالح الوطنية العربية.

وفي عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م سمحت فرنسا بعودة الزعيم بورقيبة إلى تونس وعندت معه اتفاقاً اعترفت فيه باستقلال تونس وحكوماتها الوطنية معبقاء السياسة الخارجية والدفاع في يد فرنسا وأحتفاظ فرنسا بميناء بنزرت قاعدة بحرية لها.

وفي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م أعلنت الجمهورية وسمح للبَّاِي بالحياة في تونس كفرد عادي ونصب الحبيب بورقيبة نفسه رئيساً للجمهورية.

ثم دب النزاع بين فرنسا وتونس وانتهى الموقف باتفاق ينهي الاحتلال الفرنسي لميناء بنزرت وغادرتها القوات الفرنسية فعلاً، ثم واصل التونسيون بزعامة الحبيب بورقيبة العمل على إلغاء الاتفاقيات التي تمنح الفرنسيين امتيازات لهم في تونس.

وفي عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م حصلت تونس على سيادتها في التصرف في سياستها الخارجية والدفاع وصارت الجمهورية التونسية دولة مستقلة ذات سيادة.

sharif mahmoud

الباب الثالث

المغرب الأوسط (الجزائر)

الفصل الأول

الجزائر منذ الفتح العربي حتى دولة بنى عبد الواد

- * الوصف الجغرافي
- * الفتح العربي وعهد الولاية
- * الأباصirيون
- * بنو يفرن في نلمسان
- * الدولة الأغالبية
- * الدولة الفاطمية
- * الدولة الزيرية (صنهاجة)
- * بنو حماد
- * الدولة الموحدية والحقصيون وبنو عبد الواد

المغرب الأوسط هو المنطقة الواقعة بين المغرب الأدنى (تونس) شرقاً وال المغرب الأقصى (مراكش) غرباً وتحدها شمالي البحر المتوسط وجنوبياً الصحراء.

طلت تلك المنطقة تعرف ببلاد المغرب الأوسط قديماً منذ الفتح العربي حتى العهد العثماني حيث صارت تعرف باسم الجزائر.

فقد جاء العثمانيون في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ونزلوا في مدينة الجزائر وهي بلدة ذات روعة وجمال وموقع استراتيجي ممتاز وهذه المدينة أسسها بكلين بن زيرى الصنهاجى ثم امتد سلطان العثمانيين على سائر بلاد المغرب الأوسط وأخذت مدينة الجزائر تنسع وتتضخم وتقام فيها المباني الفخمة والقصور والمؤسسات وصارت عاصمة للبلاد ثم أطلق اسم الجزائر على سائر بلاد المغرب الأوسط، وصارت تعرف باسم الجزائر منذ ذلك الحين وتشتمل الجزائر على ثلاثة أقاليم:

* **التل**: وهو سهل ثريّة غنية بالحدائق والأشجار العالية في عنابة ومتيبة ووهران.

* **النجد**: وهي مناطق ملائمة تمتد فيها المراعي الجبلية زراعة الحبوب، وتنتلى في الربيع بأنواع من النباتات والزهور ذات الألوان الزاهية.

* **الصحراء**: وهي أرض فاحلة جرداء من تنفس الحرارة وبها ثروات معدنية هائلة من الرصاص والحديد والفوسفات والمنجنيز. أما الساحل الجزائري فأغلبه صخرى ويبلغ طوله فيما بين تونس والمغرب نحو

١٢٠٠ كم شبه مستقيم قليل الخلجان أو الجزر، وقد شيدت عليه من الغرب إلى الشرق ورائج دران سعيكة وسدود.

* أهم المدن: عذابة، سكيكدة، بجاية، الجزائر، وهران، جيجل، شرشال، تلمسان.

* الثروة الطبيعية: وتعد الجزائر من أولى الدول الزراعية في التواحي الاقتصادية حيث يزرع بها الكروم والتين والخertil والزيتون والبرتقال والبقول وأنواع من الفاكهة التي لاحصر لها.

ويعد نبات الحلفا من أهم صادراتها حيث تصدر منه مليوني فنطار، كما يوجد أشجار الصنوبر والبلوط الأخضر والزان والصفصاف، أما الفلين فتنتج منه الجزائر من غاباتها ما يعادل ربع إنتاج العالم.

* الثروة الحيوانية: تكثر المراعي في الجبال والسهول ويوجد الأغنام والماعز والبقر والإبل وتصدر الجزائر كميات هائلة من الغنم.

الفتح العربي: تولى أبو المهاجر ديار حكم أفريقيا في عام ٦٥٥هـ/٦٧٥م فأقبل على القبور ولهذا على بعد أميال من القبور انقام أبو المهاجر مسكنراً، ثم قام على رأس جيش اتجه به إلى تلمسان دار زناتة وعاصمة ملكهم بعد ما فتح مالقيه من مواقع وحصون في المغرب الأوسط فكان أبو المهاجر أول من وطئت قدماه أرض المغرب الأوسط (الجزائر)، وكان أبو المهاجر سياسياً حادقاً بلي خطة في التورى العسكري

في بلاد المغرب الأوسط وربطها بالنشاط الديني واستعمال سياسة الذين مع الأهالي وإيضاح مبادئ الإسلام والعدل والمساواة بين جميع البشر فترك سياسة العنف مع البرير وعمل على استعمالهم حتى تحقق مسعاه واستعمال بعض زعمائهم.

وفي عام ٦٦١هـ تولى عقبة بن نافع مكان أبي المهاجر خرج عقبة ومعه من المسلمين مغراوة ويندو عبد الواحد الزناتيون وحاصر عقبة مدينة باغاشية وفتحها وعلم منها الكثير وخاصة من الخيول حيث كانت باغاشية وجبل أوراس موطن زنانة التي كان إهتمامها كبيرا بتربيه الخيول، حتى أن تلمسان كانت سوقا لبيع الخيول.

ثم رحل عقبة إلى تاهرت، وحارب من بها من الروم الذين استعانا بقبائل البرير المحبيطين بالمدينة إلا أن عقبة تمكن من التغلب عليهم وهزمهم.

ثم واصل عقبة سيره حتى وصل إلى ساحل المتوسط ثم رجع عائدا إلى أفريقيا، وعند طنجة وجبل أوراس أمر أصحابه فاقترقوا عنه إلى مضاربهم، فقد كانوا من زنانة المغرب الأوسط. ثم واصل عقبة سيره إلى تهود، فقتله كسيله في قلة من رجاله فانتهز الفرصة وهاجم عقبة وتمكن منه وسقط عقبة شهيدا.

واسرع كسيله بمراصلة الهجوم على المسلمين عبر المغرب الأوسط متوجهها إلى القิروان وظل معيلا بها خمس سنين.

ثم ظهر زهير بن قيس الذي حارب كسيله وتتمكن من قتله وانسحب

عائداً إلى طرابلس. وهذا ظهرت الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة الزنانية من جبل أوراس وحاربت المسلمين واستردت معظم أفريقيا.

وفي عهد الخليفة عبد العالك بن مروان ٥٨٦ـ٦٥هـ/٧٠٥ـ٧٠م عين حسان بن النعمان والياً على أفريقيا في عام ٦٧١هـ/١٩٠م وعلمته الكاهنة باستعداد المسلمين لمحاجمتها وعمدت إلى حشد القبائل من جراوة وبدو يقز ويندر ما ثروا ويندر يطربى من زناه وصارت من جبال أوراس إلى باغاية مدخل الجبل لتمنع المسلمين من الدخول إلى الجبل والاحتماء فيه ولما وصلت طلائع حسان إليه تبلغه بخطبة الكاهنة غير خططه واتجه إلى وادى مسكيانه، فأسرعت الكاهنة للقاء حسان وقادت معركة على نهر نيني فانهزم حسان في المعركة واستمرت قبيلة جراوة في حربها ضد المسلمين.

ولما وردت الإمدادات إلى حسان عاد لمحاجمة الكاهنة وتمكن من هزيمتها ثم قتلت علد بدر الكاهنة وهكذا استطاع حسان بن النعمان فتح شمال أفريقيا بعد ما فقضى على قبيلة جراوة الزنانية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر).

وتحولت بعد موت الكاهنة جميع قبائل جراوة ومغاربة الزنانية إلى الإسلام كما أسلم بذو عبد الواد الزنانية من قبل.

كان حسان سياسياً قديراً نظم البلاد دون الدراوين وملك قلوب البربر فأقبلوا على الإسلام وصاروا جند الله وحسن اسلامهم.

وفي عام ٦٨٦هـ/٧٠٥م تولى موسى بن نصیر ولاية أفريقيا وفي عهد موسى بن نصیر استقرت أحوال البربر واطمأنوا إلى قيادته فقد بعث فيهم

من يعلمهم القرآن ويعرفهم بالدين.

ثم عزل موسى في عام ٧١٥هـ / ١٩٩٦م وتولى مكانه محمد بن يزيد، ثم خلفه اسماعيل بن عبيدة الله بذابي المهاجر عام ٧١٩هـ / ١٠١٠م فكان حسن السيرة أسلم على يديه الكفرون.

وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ١٠١ هـ ٧٢٤-٧٢٠ م عزل
عمال عمر بن عبد العزيز وترى على أفريقيا يزيد بن أبي مسلم كاتب
الحجاج الذي بدأ في ظلم البرير وأسرف في ذلك فثاروا عليه وقتلوه، وفي
عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٠٥ هـ ٧٤٣-٧٤٤ م ولی عبيد الله
بن الحباب على أفريقيا ١١٦ هـ ٧٣٤ م الذي عين ابيه اسماعيل على
إقليم السوس الأقصى وما راءه وعين عمر بن عبد الله المرادي على طنجة
والمغرب الأقصى فبلغوا في الاصابة إلى البرير حتى أن من دخل الإسلام
من البرير ورفعت عنه ضريبة الأرض اعادوها عليه طمعا في تحصيل
الأموال، ولم تكن هذه سياسة من ساروا قبلهم، فاشتعل الموقف وثار البرير
على حكامهم من المسلمين وخلع المغاربة الأوسط والأقصى الطاعة عن
الخلافة الأموية، خاصة وأن الخلفاء أنفسهم لم يكونوا يعيدين بما يفعل
ولاتهم بشعر بـ أفريقيا والمغرب من سوء المعاملة مالم يقربه الدين.
فانتهزت جماعات للخوارج الظروف ورأوا أنها موئية لهم، واشتعلت الفتنة
بين البرير، خاصة من زفاته التي أخذت غالبيتها بمذهب الخوارج من
الصفوية والأياصية.

وأجتمع هؤلاء المعارضون بذو دمر وبذو واسين وبعضاً من بطون مغاربة حتى صارت غالبية زنانة من مذهب الصفرية والأيامنية للخارج لأن

مبادرتهم تفرّع من التسرية بين العرب والموالي المسلمين في كل الأحوال حتى في الخلافة فلا فرق بين عربي وغير عربي فالخلافة حق لجميع المسلمين.

عزل هشام بن عبد الملك ابن الحبحاب وولي كلاروم بن عياض القشيري مكانه ويترافق كلاروم ويولى هشام حلظة بن صفوان مكانه في عام ١٢٤هـ/٧٤١م.

وفي عام ١٢٧هـ/٧٤٤م ثار عبد الرحمن بن حبيب ورائي حلحظة تطلب مواجهة مع عبد الرحمن وفي عام ١٢٩هـ/٧٤٦م وافق مروان بن محمد على ولاية عبد الرحمن تجئنا للقتن ولخبرته بأفريقيا فجده هر عقبة بن نافع.

وفي عام ١٣٢هـ/٧٤٩م تحولت الخلافة إلى العباسيين فأفروا عبد الرحمن بن حبيب على ولائه.

وفي عام ١٣٧هـ/٧٥٤م قتل عبد الرحمن بن حبيب وولي محمد بن الأشعث حكم أفريقيا، فخرج محمد بن الأشعث بنفسه إلى أفريقيا في عام ١٤٣هـ/٧٥٩م وبلغ أبي الخطاب مسيرة بن الأشعث إلى أفريقيا فجمع لمحابيه واستعد للقائه، فخافه ابن الأشعث لكثرة جموعه ولم يكدر يتقدّم صوب أفريقيا حتى علم بخروج زفاته عن طاعة أبي الخطاب فسار ابن الأشعث لحرره وهزمه وقطله في عام ١٤٤هـ/٧٦٠م ، وقد ندمت زفاته على تخليها عن أبي الخطاب، فخرج أبو هريرة الزفاني بقود سنة عشر ألفاً من زفاته وقاتل ابن الأشعث وابن الأشعث يفرد جيشاً من خمسين ألف مقاتل وانتصر على زفاته.

بلغ عبد الرحمن بن رستم هزيمة ابن الخطاب ومقتله في طرابلس فانسحب مسرعاً إلى حيث أقام مدينة تاهرت بالغرب الأوسطغربي الجزائر واستطاع ابن رستم أن يجمع أبااصية المغرب الأرسط وطوائف البربر حوله وبني مدينة تاهرت في عام ١٤٤ / ٧٦٠ وجعلها عاصمة للدولة الرسمية .

كانت أرض تاهرت غابة ملأها الأشجار تملأها الروحش ولكنها كانت أرضاً صالحة للزراعة لما فيها من العيون الطبيعية واستمرار جريان مياه نهر ميلة في الناحية القبلية ونهر يجري من عيون تائش .

ثم شرع الأبااصيون في بناء المسجد الجامع بالمدينة والحقوا به مصلى للجنازات كما شرعوا في تحصين المدينة فأقاموا حولها الأسوار وجعلوا لها أبواباً حتى صارت في مأمن من الأعداء .

الدولة الرسمية الأباافية (٩٠٩-٢٩٦-٧٧٦)

استقر رأى الأبااصية، بعد مأزورتهم عبد الرحمن بن رستم في حصار عمر بن حفص بطليبة بالزاب عام ١٥١ / ٧١٨ وكانت هزيمتهم في تهودة في نفس العام مبرراً في قيامهم بتأسيس الدولة الأباافية بالغرب ونصبوا عبد الرحمن بن رستم إماماً للأبااصية بعدما أعطوه عهد الله وميثاقه بالطاعة الحق ويا لهم بالمثل، وأظهروا الإمام علانية على الملأ .

ووصلت أخبار ابن رستم إلى ابن الأشعث وإلى أثريقيا وأنه بالغرب قعده إلى حرية وحاول حصاره ولكن بعد فرات الأولى فقد تمكن ابن رستم من تحصين نفسه بحيث يتعذر وصول ابن الأشعث إليه بسهولة فارتدى عائداً

دون النيل من ابن رستم.

لقد نجح ابن رستم في خطته بحيث أُعلن عن قيام دولته بعدما حصن نفسه من احتفالات المراجحة العسكرية مع العجميين وعده إلى موادعتهم، وتتمكن بعد ذلك من بسط سلطانه على البربر حتى تتمكن الإسلام من قربتهم وأذعنوا لسلطان الدولةأخذ ابن رستم في إرساء نظم الحكم والإدارة.

لقد جعل ابن رستم الحكم ديمقراطياً بحيث تتم الإمامة بشورة ستة من وجوه القوم ورؤساء القبائل على هدى نظام الشورى في عهد الخلفاء الراشدين وشرط المبايعة العامة بعد ذلك، ويحصل الإمام للشراة وهم العلماء الأباصريون حقهم في الاستئناره برأيهم في الأمور الهامة للدولة مثل تعيين القضاة وجعل الشرطة قسمين قسم مسؤول عن الأمن والنظام والقسم الآخر يشرف على الأسواق ولهم حق التحكيم في المنازعات في السوق وتقسم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المكروه.

وهكذا غلب الطابع الديني المذهبى وساعد ذلك على استقرار الأحوال في البلاد.

وفي عام ١٧١هـ/٧٨٧م توفي عبد الرحمن بن رستم وتولى مكانه ابنه عبد الوهاب بن رستم وعلى الرغم من أن اختيار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم تم من بين سبعة رشحوا للإمامية فقد ظهرت المعارضة ضد هذا الاختيار ولكن فشلت المعارضة واستقر الرأى على عبد الوهاب بن رستم إماماً، ونجح عن المعارضة قيام طائفة النكارة التي أنكرت إمامية عبد الوهاب الوراثية.

وفي عام ١٢١١هـ/١٨٦٥م ترقى عبد الوهاب وخلفه ابنه الإمام أفلح حتى عام ١٢٤٠هـ/١٨٥٤م وهو الذي حارب النكارة وهزمها وشلت أتباعها. وفي عهده تطورت الدولة ونمّت ثمّ تتابع الأئمة الأبااضيين في الحكم فولى الحكم أبو بكر بن أفلح ثم أبو اليقظان محمد ثم أبو حاتم يوسف بن محمد حتى كان عهد الإمام اليقظان بن أبي اليقظان وفي عهده انتهت الدولة الرستمية وذلك بعد ظهور الدعوة الفاطمية، في قبيلة كنامة التي ساندت الشيعة الفاطمية في القضاء على الدولة الرستمية في عام ١٢٩٦هـ/١٩٠٩م.

ومن مآثر الدولة الرستمية لزدهار التجارة مع الجドب في أفريقيا المدارية مع غانا وسجلماسة والمغرب الأقصى وفي مناطق كردفان ووارياي كما قامت الدولة الرستمية بمحفر الآبار وبحراسة القواقل وإقامة الفنادق والمحطات، وجمعت مكاسب عظيمة فانتشر العمآن وأزدهرت البلاد.

كما أقامت الزوايا والمساجد لنشر الإسلام، ولما انتهت الدولة الرستمية في تاهرت انسحب الأبااضيون من المغرب الأرسط (الجزائر) إلى الجدوب في أرض ميزاب والواحات في يسكرة وغرداية وورجلان.

وظلت تلمسان في أيدي بنى يفرن وأقاموا بها إمارة لهم ثم نافستهم مغارة السنية الزنانية عليها عام ١٧٠هـ/١٧٦٨م. ثم زحفت الأدارسة عليها عام ١٧٥هـ/١٧٩١م وأقام بني يفرن مدينة أفكان عام ١٤٩هـ/١٣٢٨م وتنقّع بين تلمسان وتاهرت وصارت عاصمة لبني يفرن. كما كانت تاهرت مركزاً لجمع بطون بني يفرن وكانت بمثelon قرة سياسية فيها لدرجة أنهم فرضوا رأيهم في اختيار الأئمة الأبااضية فقد كان لهم دور كبير في مساندة الدولة الرستمية.

وقد كان لبني يفرن دور في مساعدة الصفرية الخوارج وبایعوا أبو قرة البغري الذي قاوم الولاة العباسيين لم يبن منهم غرضا ثم اختفى أبو قرة بعد ذلك وظلت السيادة على المغرب الأوسط لبني يفرن إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب عام ٩٦١هـ/٩٠٩م.

دولة الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ/٩٠٩-١٠٠م

حظيت الجزائر بدولة الأغالبة المستقلة في شرقها (تونسيا) حيث كانت تبعيتها للقبروان وكان يعتقد غربي الإقليم التونسي إلى بجاية على البحر المتوسط ومنها إلى الصحراء جنوبا شمال قسنطينة وإقليم الزاب وعاصمة طبنة، ولقي هذا القسم في عصر الأغالبة اهتمامهم وأزدهرت فيه الحياة الاقتصادية والحضارية والعلمية.

كان قيام دولة الأغالبة في أفريقيا (تونس) نتيجة لسياسة التي اتبعتها الخليفة العباسى الرشيد فى بلاد المغرب للقضاء على ثورة البربر وقهر الأدارسة فى فاس بالمغرب الأقصى.

وفي عام ٩٠٩م عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد بولاية أفريقيا إلى ابراهيم بن الأغلب ١٨٤-٢٩٦هـ/٩٠٩-١٠٠م وجعلها له ولأبنائه من بعده.

اتخذ ابراهيم بن الأغلب القبروان عاصمة لدولته التونسية الجزائرية ونشأ قوة بحرية هائلة تحكمت هذه الدولة في عهود قالية بفضل هذا الأسطول الكبير من غزو جزيرة صقلية وغزو مالطا وسواحل إيطاليا.

وكان الأغالبة يحسنون إدارة الحكم فأعطوا اهتمامهم لشرقى الجزائر

في ملائكة فاز دهرت الحياة وتطورت الحضارة الإسلامية فأسعدوا الناس بحسن تدبير الأمور في السياسة وشأن الحكم في أفريقيا والمغرب الأوسط شرقى الجزائر.

الفاطميين (٢٩٧-٥٥٦ هـ ١٠٩١-١١٧١ م)

قامت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بفضل دعوة الاسماعيلية الذين كانوا يدعون إلى أن تكون الخلافة في سلالة على بن أبي طالب عن طريق ابنه الحسين ويلديه الاسماعيلية إلى اسماعيل بن جعفر الصادق حفيد الحسين. عندما أقام أبو عبد الله الشيعي بالتمهيد للدعوة الشيعية في المغرب العربي لاقى نجاحاً كبيراً فبعث إلى عبيد الله حميد اسماعيل بن جعفر الصادق يدعوه ليذرلي الحكم فيها وتمكن عبيد الله من الخروج من مصر إقامته في بلاد سلمية في شمال الشام فاصداً بلاد المغرب ماراً بمصر. وعلى الرغم من محاولات العباسيين لمنعه من استكمال رحلته فإنه تجح في الإفلات من قبضتهم وحضر إلى بلاد المغرب حيث وجد الداعية أبو عبد الله الشيعي قد مهد له الأمور لتولي الخلافة.

وقد ظهرت الأحداث بالفاطميين في المغرب إلى أن تمكنوا من دخول القيروان ورقاده واسقاط الدولة الأغالبة في عام ٢٩٦ هـ ٩٠٨ م والأباشيية بناهيرت والأدارسة في تلمسان أبناء سليمان بن عبد الله،

وبذلك صارت الجزائر من شرقها ووسطها وغرتها تحت سلطان الشيعة الفاطمية.

انخذ عبيد الله المهدى رقاده حاضرة لدولته عام ٣٠٩ هـ ٢٩٧ م وأمر

يذكر اسمه في الخطبة على المنابر وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، وهكذا قامت للخلافة الفاطمية بالمغرب.

ثم بعث الخليفة بعمانه من كنامة إلى الولايات في كل الأنحاء لإظهار طاعتهم للإمام، وأمر الخليفة الفاطمي بتوحيد بلاد المغرب تحت سلطانه، وخضعت له بلاد المغرب الأوسط، والأقصى وخضعت له زنانه وذلك بعد استعانته بصنهاجة وزعيمها زيري الصنهاجي.

لقد عمل القائم بأمر الله على استعماله زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة بعد ظهور قبيلة صنهاجة كقوة لها وزنا تحت زعامة زيري بن مناد، وبدأت تغير على مصارب زنانه بالمغرب الأوسط، وقامت الحروب بين القبيلتين ، بحكم العداء القبلي بين البدار وهم أهل البدلة وعلى رأسهم قبيلة زنانه، والبرانس وهم أهل الزراعة والاستقرار ومنهم قبيلة صنهاجة.

وفي عام ٩٣٦-٩٣٤ عمّلت صنهاجة على بناء مدينة أشير في جبال تدرى شمال شرق تاهرت لكون حاجزا أمام هجمات زنانه بالمغرب الأوسط على أراضي الفاطميين ثم تحولت مدينة أشير إلى قاعدة هجوم الفاطميين على مصارب زنانه بالمغرب الأوسط، كما صارت مصارب زنانه بالمغرب الأوسط محاطة بأنصار الفاطميين من كل جانب خاصة بعد ما أخضع الفاطميون وهران وتاهرت وتلمسان وفاس، وأقاموا المسيلة في وسط مصارب زنانه بالزار، وجمعوها مراكز معادية للفاطمية منذ قيام دولتهم وهذا توقف الزنانيون عن مدارئهم للفاطميين بالمغرب الأوسط (البزاد).

الصنهاجين،

تعاونت كلا من كنادمة الجزائرية التي لها شرق للجزائر وصنهاجة التي لها غرب الجزائر، تعاونت جميعها في تلمسان والأباضية في تاهرت والأغالبة في شرقى الجزائر وصنهاجة ساعدت الفاطميين في التغلب على ثورة أبي يزيد مخلد الصفرى. وقد ولى الخليفة الفاطمى الملصور زيرى بن مناد الصنهاجى المنطقة الغربية فى للجزائر.

ثم تولى المعز الفاطمى الخلافة فى عام ٩٤١/٥٤٢ م أبقاء فى مكانه. وزيرى هو الذى بنى أشیر فى شماں شرق تاهرت فى عام ٩٣٤/٥٢٤ م وجعلها عاصمة لدولته.

كما أسس ابنه بلکين مدينة الجزائر على البحر المتوسط ومدينة مليانه جلوب شرشال على نهر شلف من الناحية الشرقية.

وزيرى بن مناد هو الذى ساعد جوهر الصقلى عام ٩٤٧/٥٣٨ م فى بسط سلطان الفاطميين على بلاد المغرب الأقصى.

وفي عام ٩٦٠ هـ/١٧٠ م دب خلاف بين جعفر بن على بن حمدون الزناتى والى الزاب للفاطميين مع الفاطميين فانسحب من المسيلة العاصمه، وانضم إلى زنانه لمناهضة الفاطميين بسبب اعتزام تولية المعز لزيرى الصنهاجى على كل أفريقيا وهو الذى توجد بيته وبين جعفر الزناتى بغض وعداؤه وتناقل جعفر وزيرى فى أرض صنهاجة وقتل وزيرى فى المعركة، فأصر عليه بلکين على قتال زنانة بزعامة جعفر وهزمهم. وهذا أعلن المعز تولية بلکين بن وزيرى على أفريقيا التونسية والمغرب

الأوسط والأقصى في عام ٩٦١/٥٣٦١ م.

وفي عام ٩٧٥/٥٣٦٥ م ترقى الخليفة المعز وتولى العزيز بن المعز للخلافة وضم ولاية إقليم طرابلس إلى بلكين بن زيري الصنهاجي، وفي عام ٩٧٩/٥٣٦٨ م تمكن بلكين من القبض على ثورات في تاهرت وباغاية وتلمسان وسجلماسة وفاس، ثم توفي عام ٩٨٣/٥٣٧٣ م وخلفه ابنه المنصور في عام ٩٨٤/٥٣٧٤ .

ثم وقع خلاف بين زيري بن عطية الزناتي وبين المنصور بن بلكين بن زيري أدى إلى وقوع معارك بينهما هزمت فيها زناته إلا أن المنصور رأى أن يوقف تلك الحروب مع زناته مما أزعج الخليفة العزيز الفاطمي في القاهرة لخوفه مما يتربّط على ذلك من احتصار سلطان الفاطميين ووقوع للغرب الأقصى في أيدي الخليفة الأموي في الغرب الأندلسي فأوزع إلى كثامة للرقوف في صف الفاطميين ضد المنصور بن بلكين، إلا أن المنصور تمكن من التغلب عليهم وهزمهم .

ثم عمد المنصور إلى استعماله زناته إلى صدّه.

وفي عام ٩٨٩/٥٣٧٩ م انضم إلى بلكين سعيد بن خزرون زعيم زناته وولاه طلجة في إقليم الزاب ثم تولى قلولاً مكان أبيه سعيد بن خزرون، وفي عام ٩٩٦/٥٣٨٦ م ترقى المنصور بعد أن استتببت الأمور وهدلت في الجزائر وخلفه ابنه باديس وهو في الثالثة عشر من عمره، فقام بأعماله في إدارة شؤون الدولة في أفريقيا والجزائر.

وفي عام ٩٩٨/٥٣٨٩ م هاجم زيري بن عطية تاهرت ويسرع حماد

وباديس لانفاذ تاهرت ويتغلب زيرى عليهم . وفى عام ١٠٠١/٥٣٩٢ م
هاجمت زنانه مدينة أشير فهزما حماد عم باديس بن ملصوص.

بتوجه:

بعد أن تمكن حماد بن بلکين من هزيمة الزناتية عام ١٠٠١/٥٣٩٢ م
عمد إلى الاستقلال بأشير الذى تولى حكمها منذ عام ١٠٩٧/٥٣٨٧ م في
عهد باديس ، وهكذا بدأ في بناء قلعة يجعلها عاصمة لدولته ، وفي عام
١٠٠٧/٣٩٨ م بنى قلعة حماد على الحدود الشمالية لسهول الحضنة وتبعد
قليلاً عن المسيلة ثم أقام فيها العياني من فنادق ومساجد .

وفي عام ١٠١٤هـ/١٤٠٥ م أعلن استقلاله عن باديس ابن أخيه ودعا
للعباسيين أهل السنة . فسار إليه باديس ولكنه توافق في مسكنه عام
١٤٠٦هـ/١٠١٥ م فخلفه ابنه المعز فعاد حماد إلى الدورة ، ودخل المسيلة
وأشير وغاية فسار إليه المعز وهزمه عام ١٠١٧/٥٤٠٨ م فدار إلى القلعة ثم
طلب الصلح وهذا قام المعز بإعادة تنظيم الدولة ، وولى عمه حماد على
أشير والمسيلة ملنه والقلعة وتأهرت وببلاد الزياب وبذلك صارت دولة
صهajaة دولتين ابن بلکين في القبروان ، ودولة بلو حماد بن بلکين
في القلعة بالجزائر .

وفي عام ١٤٣٨هـ/١٠٤٦ م خرج المعز بن باديس عن طاعة الفاطميين
وقطع خطبتهم وأعلن لخطبة للعباسيين وعاد إلى المذهب المالكي الذي
يعيل إليه غالبية أهل المغرب .

وثار الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بمصر وأصدر قراراً بهجرة عرب

بني هلال وسليم من مصر عام ١٠٥٧هـ/٤٤٩م ولم يستطع المعز بن ياديس مقاومتهم فانسحب إلى المهدية رمانت في عام ١٠٦٢هـ/٤٥٤م وخلفه ابنه تميم.

كذلك لم تتمكن زنانة تلمسان من مقاومة العرب الهمالية فانهزمت أمامهم. أما القلعة فقد تحالف حاكمها بلکین بن محمد بن حماد مع الهمالية وزحفوا جميعهم إلى المغرب الأقصى.

ودخل معهم بلکین إلى فاس، وعند عودة بلکين من فاس إلى القلعة فاجأه ابن عمه الناصر بن علام وقطله ثاراً لمقتل أخيه بيد بلکين في عام ١٠٦٢هـ/٤٥٤م وحكم الناصر بن علام القلعة مدة سبعة وعشرين عاماً. امتد خلالها حكمه من المغرب الأقصى إلى الفيروان، بعد تجوه ابن ياديس وإبله تميم للمهدية.

ثم قام النزاع بين الناصر وتميم، ثم عاد بينهما الرفاق ثانية وفي عام ١٠٦٨هـ/٤٦١م بنى الناصر بجاية وشيد فيها المساجد والقصور وجعلها عاصمة لدولته.

ثم تمكن عرب بني هلال من القضاء على ملك بني زيري بأفريقيا وهددوا الدولة الحمدانية وكان قد وليهما يحيى الحمادي في عام ١١٢٤هـ/٥١٨م ثم تطلعوا إلى المغرب الأوسط ولكن قيام دولة المرابطين وحاميتها القرية المستقرة بتلمسان جنوب المغرب الأوسط أجل مصير تلك البلاد.. ولكن إلى حين.. من هجمات القبائل الهمالية.

دولة الموحدين

بعد أن تم لعبد المؤمن المرحدي ١١٦٣-١١٣٠ هـ / ٥٥٨-٥٢٤ م القضاء على دولة المرايطن سعى لضم بلاد المغرب إلى دولته خصوصا وأن الظروف السياسية للسائدة فيها كانت تشجعه على ذلك، فقد أدى الصراع الناشئ بين القبائل العربية التي هاجرت إلى أفريقيا والدولة الزيرية بشقيها في القิروان والقلعة إلى انحلال الدولة واسرافها على الإنفاق حتى غدت السلطة الزيرية بأفريقيا اسمية. فتمكن البرمانديون من الاستيلاء على بعض ثغور أفريقيا مثل صفاقس وسوسة وغيرها ثم المهديّة.

وفي عام ١١٤٦ هـ / ١٩٣١ م تحركت جيوش الموحدين بقيادة عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط فرقد عليه عربها من الأثيوج وجشم مبايعين فقد لأخليل بن كسان من عرب الأثيوج ولعباس بن مشيفر على جسم ثم استولى على بجاية وطرقت جيوش الموحدين أبواب أفريقيا بعلف.

خشى عرب أفريقيا على استقلالهم الذاتي فتحالفوا مع صنهاجة أفريقيا حبرائهم واستغلوا الخلاف الذي وقع بين قائد الموحدين بصلاح بن المعز وعبد الله وأنودين صهر عبد المؤمن وانسحب بصلاح وتركه عبد الله في قلة من الجندي فهاجموه وقتلوه وحاصروا مدينة القิروان وقام موسى بن يحيى الرياحي المرداسي بمعاهدة مدينة باجة والاستيلاء عليها.

بلغ ذلك عبد المؤمن فغضب غصباً شديداً ووجه للعرب كافة الموحدين بقيادة عبد الله بن عبد المؤمن حتى لم يبق معه إلا الخاصة والسوقه. وبلغ جيش الموحدين أكثر من ثلاثة ألف فارس، اجتمعت القبائل العربية بأفريقيا من الأثيوج وزغبة ورياح وبدرقة بقيادة ملكهم يحيى بن عبد

العزيز بظاهر باحة وتناسوا مأبدهم من ثارات، وتحالوا لمحاربة عبد المؤمن وأخزاجه من أفريقيا وجعلوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وارتخلوا إليه ليكون لقاوم أشجع وثباتهم في الميدان أصدق.

والنقى الموحدون والعرب بناحية سطيف عام ١١٥٢/٥٤٧ وتمكن الموحدون من هزيمتهم بعد فتال استمر اربعة أيام ولوا بعدها منهزمين تاركين خلفهم أموالهم وأولادهم ونساءهم تتبعهم القرارات الموحدية. مص Higgins بالأسلام والغنائم طالبين ثارهم لهزيمتهم السابقة يوماً وليلة حتى حصن تبصه بجبيل أوراس. فقسم عبد المؤمن جميع أموالهم على عسكره واحتفل بالنساء والأولاد وعين لهم من يحميهم ويقوم بحرانجهم ثم أعادهم إلى قبانهم ومدحهم الأموال الكثيرة فمالت قلوبهم إلى عبد المؤمن وبذلك صمن ولاءهم.

الدولة الحفصية

ضمت حدود الدولة الحفصية الأراضي التي تشملها اليوم طرابلس الغرب وتونس وجزء كبير من الجزائر الذي يضم عنابة وقسنطينة وجيجلة وتدلس غرباً إلى مابعد ورفلة في الصحراء الجزائرية جنوباً.

استقل أبو زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص واستقام له حكم البلاد، حيث بعمل على نشر العدل والأمن فيها حتى وفاته عام ١٢٤٩/٥٦٤م وخلفه ابنه محمد الذي تلقب بالمستنصر بالله وبأمير المؤمنين وسار في حكم الجزائر شرقها وغربيها على نهج أبيه فعم الأمن والاستقرار أنحاء البلاد، وترقى عام ١٢٧٥/٥٧٥م دبت الخلافات بين أفراد الأسرة الحفصية فضلت الدولة الحفصية وتفردت عليها الدولة

المرينية، ونافستها في حكم الجزائر وتقلص نفوذ الحفصيين.

وفي عام ١٣٤٢هـ / ١٢٠٣ م قام الخليفة الحفص بمحاولة استمالة الدولة المرينية إلا أن الدولة الحفصية بقيت على حالها منضعف مما دفع السلطان أبو الحسن المريني عام ١٣٤٨هـ / ١٢٤٧ م إلى بسط سلطانه على تلمسان والجزائر وتظل العلاقة بين الدولة المرينية والدولة الحفصية بين وجزر حتى جاء عهد السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تمكن من استعادة قوّة الدولة الحفصية في عام ١٤٢٣هـ / ١٨٢٧ م.

وفي عام ١٤٣٨هـ / ١٩٣٤ م تولى عمرو بن عثمان حكم البلاد الذي امتد إلى ما يزيد من نصف قرن عمّ البلاد خلالها الاستقرار. ثم امتد سلطان الحفص إلى تلمسان في أقصى غرب الجزائر حتى وفاته في عام ١٤٨٧هـ / ١٩٣٥ م ثم تدهورت الأحوال في الدولة الحفصية بعد ذلك.

بنو عبد الواد

يتبعون بنو عبد الواد إلى قبائل زناتة التي كانت ترتاد جبال وصحراء المغرب الأوسط، ولما فتح الموحدين هذه البلاد، كان بنو عبد الواد عنهم على ذلك فنالوا ثقة الموحدين وحصلوا منهم على إقطاعات وفيرّة بأحواز تلمسان واستقروا فيها، وأمتدت حدود دولتهم من البحر المتوسط شمالاً إلى صحراء الجزائر جنوباً وغرباً من جبال سعيد ووادي مينا شرقاً إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غرباً ومن بطون عبد الواد وشعيبيها. بنو يانكين وبنوا أولوا ريلو ورجطف وبنوا نصوحة وبنوا تومرت وبنوا القاسم.

وقد تولى الحكم في عهد الموحدين من بنى عبد الواد الزناتيين في

عام ١٢٢٧هـ / ١٢٢٩م جابر بن يوسف على تلمسان ولم يثبت أن توقي وفى عام ١٢٣٦هـ / ١٢٣٩م تولى الحكم يغمراسن الذى أعلن نفسه أميراً للMuslimين واستقل بالحكم فى البلاد ثم عاد وأعلن الولاية للحفصيين بعد مأحسن منهم الخطر.

وفى عام ١٤٤٦هـ / ١٤٤٨م حاريه السعيد المرحدى فانتصر عليه يغمراسن ثم شرع فى تثبيت ملكه وتوفى عام ١٢٨٢هـ / ١٢٨١م.

ثم دخلت دولة بلى عبد الواد فى صراع مع الحفصيين وبلى مرين حتى جاء عهد موسى الثانى الذى لجأ إلى سلطان تونس يطلب العون لتحرير تلمسان من المرنيين الذين استولوا عليها عام ١٣٥٢هـ / ١٣٥٢م.

وفي عام ١٣٥٨هـ / ١٣٥٨م خرج موسى الثانى على رأس جيش من تونس والجزائر إلى تلمسان التى تمكن من فتحها وطرد بلى مرين منها. وحكم موسى الثانى أحد أحفاد يغمراسن أول من أعلن استقلال دولة بلى عبد الواد عن دولة المرحدين.

الفصل الثاني

الجزائر من العهد العثماني حتى الاستقلال

* العهد العثماني

* الاستعمار الفرنسي للجزائر

* الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي

* استقلال الجزائر

حكم موسى الثاني ١٢٨٩-١٢٥٢هـ/ ٧٩١-٧٥٣م البلاد ويعتبر عصره من أزهى عصور الدولة حيث نعمت تلمسان في عهده بالرخاء والازدهار.

حالف بنو عبد الواد القبائل العربية بال المغرب الأوسط خصوصاً عرب زغبة وذوى عبيد الله من عرب المعقّل المجاورين لبلى عامر من زغبة المستنصررين بجوار تلمسان وبعد وفاة موسى الثاني من عرب المعقّل المجاورين لبلى عامر من زغبة المستنصررين بجوار تلمسان.

وبعد وفاة موسى الثاني في عام ١٢٨٨هـ/ ٧٩١م دب الخلاف بين أبناءه وتنافسوا على الحكم حتى تمكن الحفصيون من التدخل في شؤون دولتهم فاسرع إليها الضعنف وتدحررت دولة بلي عبد الواد، كما تدحررت الدولة الحفصية في شرق الجزائر وتونس وطرابلس. وتعرّضت أملاك الدولتين لاعتداءات الخارجيين وسقط الساحل الغربي للجزائر في أيدي الأسبان نتيجة لإهمال حكام البلاد العربية بال المغرب الأوسط (الجزائر) الدفاع عن اللغرر والرقوف في وجه الأعداء الصليبيين.

ظهور العثمانيون:

أخذ الاستعمار الأسباني يأخذ دوره في نهاية القرن ٩ هـ الخامس عشر الميلادي في السطو والاعتداء على السولحل الجزائرية والتونسية والمغربية والعرب في غيبة عن المقاومة الشرعية ضد المهاجمين الأسبان لانشغالهم في حروبهم وانقسامهم، حتى صناع نفرة الدولة الحفصية في البلاد.

كما أن دولة عبد الواد انحصر سلطانهم عن المغرب الأوسط واستقرروا في تلمسان وبعض حواشيهَا وصاروا في مواقف دفاعية بسبب حالات

التشريح الذي شغلتهم عن مواجهة الأعداء.

استقر الأسبان في السواحل الجزائرية إلا أن المقاومة الوطنية في البلاد ظلت نلاحقهم.

ثم ظهر في خلال تلك الفترة من نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر الهجرى الخامس عشر الميلادى أخوان بربوسا من أشهر قراصنة البحار أذاك لجأ إليهم المهاجرون الأندلسيون لمساعدتهم فى الخروج فى صف الأندلسيين وساعدهم على اللجوء إلى الجزائر فنزلوا فى الجزائر فى عام ١٤٩٨/٥٨٩٨ م.

كما بعث الأمير الحفصى فى عام ١٥١٢/٥٩١٨ م إلى بربوسا يستنجد به فأسرع عرج إلى مهاجمة شرشال فى عام ١٥١٦/٥٩٢٢ م وتمكن من دخول مدينة الجزائر وتمكن من دحر المعتدين المحتلين الأسبان وعمل على إدارة البلاد متعاونا مع أهلها وهذا ارتفع تجم الدين بربوسا الذى رأىمواصلة تنفيذ خطته فى التعاون مع المغاربة مع اعلان ولائه للسلطان سليم العثمانى فى عام ١٥١٩/٥٩٢٦ م وسرعان ماملأه العثمانيون لقب «بجلربك» أمير الأمراء، وأمدوه بالقرين من الانكشارية وأربعينائة من الأرناؤوط وعدد من المدافع وتمكن من إثبات وجوده فى أرض المغرب الأوسط.

ففى عام ١٥٢٢/٥٩٣٩ م هاجم قسطنطينة وأنهى ثورات العرب فى أقاليم قبيلة وهدنة وشرشال وتنيس وتغلب عليهم جميا. ثم وجه بربوسا جيشه لحصار حصن بيترن لمنع الأسبان من تهديدهم له واستطاع فتح الحصن فى عام ١٥٢٩/٥٩٤٦ م.

بعد ذلك اتجه بريروسا إلى عمل إصلاحات بميدان الجزائر لتمكنه من الرسو باسطوله في أمان من الرياح الغربية أو الشرقية. وأصبح هذا الميدان الجزائري مرقباً لمتابعة حركة السفن العابرة فيه من الناحية الغربية والشرقية، ثم أفسح مجالاً للعثمانيين للإستفادة من هذا الميدان باعتباره من قادة الدولة العلمانية ذرى المكانة العالية.

وفي عام ١٥٤٠ هـ / ١٩٤٠ مـ البجlar بك بريروسا نفرزه إلى تونس فدخل العاصمة وأعلن منها انتهاء العهد الحفصي في البلاد، وصارت الجزائر وتونس تحت سلطان بريروسا ومن ثم فالدولة العلمانية وبعد ذلك يُثُ السultan العثماني في القسطنطينية يستدعي بريروسا وهناك ملحوظ لقب أمير الأسطول العثماني وكلفه بإدارة للحرب ضد أعداء الدولة العلمانية وقام خير الدين بريروسا بدوره على أفضل ما يكون وظل كذلك حتى وفاته في عام ١٥٤٦ هـ / ١٩٥٣ مـ .

وعندما أحس القرب الأوروبي بخطر النظائرات التي حدثت في سواحل المغرب الإسلامي أعلن البابا لويس الثالث بضرورة لاتحاد المسيحيين لمواجهة القوة الإسلامية التاهضة وفعلاً انضمت القوات الأسبانية والإيطالية والبرتغالية واتجهوا إلى السواحل المغربية وهاجموا الجزائر وتونس ونجحوا في النزول إلى تونس في عام ١٥٤٢ هـ / ١٩٤٢ مـ وتمكنوا من الاستعانة بحاكمها المعزول الأمير حسن وأعادوه إلى مكانه بعد تعهده بدفع جزية سنوية لهم.

ولم يستكئن بجlar بك بريروسا لما حصل وأسرع في نفس العام بالهجوم على جزر مبورقة على الساحل الأسباني وعاد ومعه أعداداً كبيرة من

الأسرى ثم واصل غزواته حتى وصل إلى الساحل الإيطالي، حتى بلغ الخرف بالأهالي في مدينة روما إلى حد ترك المدينة خوفاً وهلاعاً.

كما قام بجليدك العثماني باعداد السواحل الجزائرية للدفاع عن نفسها ضد الأساطيل المهاجمة، حيث أقاموا قرsonianات قوية وأماكن للتدريب ومراقبة الأعداء، فأقاموا الأبراج المحسنة.

وهكذا صارت الجزائر دولة إسلامية عثمانية وبعد وفاة خير الدين ، تولى الأمير حسن مكان أبيه وحصل على لقب بجليدك، وقد تغلب الأمير حسن باشا بن بريديوس على الأسطول الأموياني الذي بعث به شارل السادس ملك أسبانيا واستولى على مراكزه بالاسطول من سلاح وعتاد وذلك في عام ١٥٤٨/٩٦٤ م.

ثم عادوا الكرة في الهجوم على الجزائر في عام ١٥٤٧-٩٥٤ وفشلوا وفي عام ١٥٥٨/٩٦٦ م وهاجموا الجزائر للمرة الثالثة وأداروا معركة عند مدينة مستغانم شرق المرسى الكبير ولكنهم هزموا وقتل قائدتهم وانسحبوا إلى البحر خائبين.

وقد تمكن حسن باشا من بسط سلطان العثمانيين على الجزائر جموعه من الساحل إلى الداخل حتى تلمسان ولم تفلح محاولات الدولة العلوية في المغرب الأقصى في احتلال تلمسان للجزائرية في عام ١٦٩١/١١٠٣ م وعام ١٧٠٣/١١١٤ م.

ثم مدت الجزائر منذ أواخر القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى بعهد الذاiat رؤساء الفرق الذى انتشرت فيه للرشوة والفساد.

ودخلت الجزائر في أزمة اقتصادية خانقة حتى لواخر القرن الثاني عشر للهجري / الثامن عشر الميلادي، بسبب تضاؤل فرص القرصنة في البحار وكانت القرصنة تدر دخلاً عالياً للبلاد ومحبولة عرفياً عند الرأي العام والدولة عامة.

كما أن الحروب بين تلك الولايات المغربية والمتكررة أدت في النهاية إلى عدم استقرار الأحوال في كل من تونس والجزائر.

المجازر في عهد الديابات

وقد فقدت الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي تقدمها الداخلي وضعف شأن الاسطول الجزائري. كما عملت الأولية والمجاعات التي اجتاحت البلاد في أوائل القرن الثالث عشر للهجري / التاسع عشر الميلادي بالإضافة إلى الارتباك في إدارة البلاد ضعف الحركة التجارية حتى أن الصناعات الروطانية التشيطة التي جعلت اعتمادها على المنتجات المحلية عانت هي أيضاً من كساد الأسواق، وهكذا ضعفت الصناعة كما ضعفت التجارة.

كما توقف الدخل الكبير بسبب انتهاء عهد القرصنة بعد أن تمكنت الدول الأوروبية من فرض سيطرتها على البحر الأسود. وهذا لجأت الديابات إلى الجزائريين وأعملوا معهم السلب والنهب وانتشار الفساد في الحكم العثماني، وكانت سلطة الدياي الذي يعاونه الديوان والديوان العسكري والمجلس البحري ومجلس القضاء الأعلى - سلطة مطلقة استبدادية في واقع الأمر.

كما كانت الجزائر مقسمة إلى ثلاثة ولايات قسنطية في الشرق ويتبعها في الوسط وعاصمتها مدينة المدية وولاية غربية وعاصمتها مزونة. ثم صارت المعسكر وذلك في عام ١١٢٢هـ / ١٧١٠م ثم صارت وهران منذ عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م وقسمت هذه الولايات وكان لكل ول سلطة واسعة في ولايته وارتبط بالحاكم العثماني العقيم بالجزائر بعمادة الأموال لصالح خزينة الدولة وكنا تقديم الأفراد للخدمة في الجيش العثماني.

أما القبائل الجزائرية، فقد كلف بعضها بدفع ضريبة العشور، أما البعض الآخر من القبائل فقد أُغفيت من دفعها في مقابل تقديم الشباب للخدمة العسكرية واتعاملين في الخدمة المدنية للدولة العثمانية. كما أقطعوا الدونية الأرضي لشيخ تلك القبائل.

وفي عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م قامت ثورة الجزائر بسبب المشاكل الاقتصادية في البلاد وكان من نتائجها قيام dai على خرجه الذي خلع النفوذ العثماني وجعل اعتماده على الجنود الزواوي الجزائري الروطني بعد ذلك في عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م مما أسبغ على الحكم العثماني صبغة وطنية في الجزائر فأسعد بذلك الشعب الجزائري وتوفي على خوجه عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م وتولى بعده وزير dai حسين. وفي عهد dai حسين في عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م صدر قرار مؤتمر لاشاييل بإلغاء القرصنة وأبلغوا الجزائر بالغافنها (لا أن dai حسين أصر على الرفض).

وفي عام ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م كتب dai حسين يطالب فرنسا بسداد قيمة مبلغ مليونان ونصف من الفرنكات مسندحة للدai قيمة فتح اشتراكه

فرنسا من الجزائر، وماطلت فرنسا الرد وفقررت العلاقات بين الدائى حسين وفرنسا.

وفي عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م قامت حملة حربية فرنسية تضم سمعانة سفينة بها ثلاثة ألآف مدفع وأربعة وثلاثين ألف مقاتل غير سفن محملة بالمؤن ونزلت في سيدى فروج غربى الجزائر وعلى الرغم من المقاومة الشاملة للجزائريين فإن الحملة الفرنسية تغلبت عليها ونزل الفرنسيون المدينة.

وقدم الفرنسيون شروطهم الذى أرغم الدائى على قبولها وتصدرت للشروط:

- ١ - تسليم جميع حصن المدينة.
- ٢ - ضمان حرية الدائى وممتلكاته الشخصية.
- ٣ - حرية الدائى فى البقاء أو الرحيل مع حقه فى الحماية الفرنسية.
- ٤ - حماية الجنود الجزائرية من أية أعمال انتقامية ضدتهم.
- ٥ - الحرية الدينية فى إقامة الشعائر لجميع الطوائف.

ثم حاول الفرنسيون التوغل إلى داخل البلاد إلا أن المقاومة الجزائرية وفقت حانيا دون ذلك.

وقرر الأمير عبد القادر الجزائري المعاونة للجزائرية للمقاومة ضد الفزو الفرنسي للجزائر، وتلقب بأمير المسلمين وواصل الجهاد ضد الفرنسيين حتىتمكن من الاستيلاء على تلمسان ، ومنع التعامل مع

الفرنسيين.

ودارت المفاوضات مع الفرنسيين وقبل الأمير عبد القادر أن يكتفى الفرنسيون باحتلال الساحل وتم الاتفاق على وقف القتال في عام ١٨٣٤هـ/١٢٥٠م.

وانتهت المفاوضات إلى اعتراف كل منهما بالآخر، فاعترفت فرنسا بسلطة الأمير على كل القبائل والمناطق الخاضعة له بشرط عدم قيامه بأى عمل يضر بالمصالح الفرنسية، وأعترافه بالولاية لملك فرنسا ودفع جزية سنوية وعدم شراء أسلحة غير فرنسية. مقابل احتكار الأمير عبد القادر للتجارة الحيوانية وعدم تعامل فرنسا مع أحد غيره.

كما أرسلت فرنسا السلاح للأمير عبد القادر وصار غرب الجزائر تحت سيطرة الأمير عبد القادر.

وفي عام ١٨٣٥هـ/١٢٥١م عقدت فرنسا اتفاقاً مع القبائل التي في شرق الجزائر عرف بمعاهدة التبنة في عام ١٨٣٥هـ/١٢٥١م تم بموجبه إخضاع القبائل للفرنسيين مع الخدمة في صفوف الفرنسيين نظير المرتبات والحماية الفرنسية.

حاول الفرنسيون فرض سيطرتهم على الجزائر وبدأوا في احتلال المرسى الكبير ثم وهران ثم بونا.

ولما حاولوا التوغل إلى داخل البلاد لقوا مقاومة عنيفة اضطروا خلالها إلى إخلاء وهران وبونا والانسحاب منها.

على أن الاتفاق الذي تم في عام ١٨٣٤هـ/١٢٥٠م والذي عرف باسم

(دى ميشيل) أعطى لفرنسا حق احتكار السلاح وتجارة الصادرات والواردات وبذلك تسيطر فرنسا على سوق الجزائر وتبتز أموالها وتبقى الجزائر تحت حماية فرنسا.

على أن الأمير عبد القادر أراد أن يستثمر الاتفاق في تنظيم صرف فرانه وتقويتها. إلا أن هذه الهدنة عارضها بعض أتباع الأمير وتزعم هذه المعارضة أبو معزى المراكشى من أولاد سيدى الطيب من وازنة . فالنصف حمله جماعة من المراكشيين واتجه بهم إلى الجزائر في عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م .

وبداً بقائل القوات الفرنسية في وهران الجبوية ثم اتجه إلى زواده وأنضم إليه للمجاهدون للمزيدين له وظل يحارب الفرنسيين حتى عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م فاضطررت فرنسا إلى نقض الهدنة مع الأمير عبد القادر وعادت المعرك بيته وبين الأمير الفرنسيين واستطاع الجزائريون أن يحققوا النصر على الفرنسيين في معركة سيدى إبراهيم وتعkin الأمير عبد القادر من استعادة نفوذه فحشدت فرنسا جيشه صخماً يقوده القائد الفرنسي يوجو الذي قام بدسـف حصن (الأوزو) في عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م ولجاً الفرنسيون إلى لستعمال أبشع أنواع الإففاء الجماعي ، فأنطلقوا وأحرقوا وضربوا فحدث تخلـل في قيادة الأمير عبد القادر وفرق بعض أتباعه فاضطر إلى الاحتماء بمراكش وسرعان ما انضم سلطان المغرب السلطان عبد الرحمن إلى صف الأمير عبد القادر وأعلن الحرب على فرنسا وجدد البيوش لمحاربتهم إلا أن الفرنسيين تغلبوا على الجيش المراكشى وهاجموا المدن المراكشية فاضطر المراكشيون إلى الانسحاب وتوقفوا عن الاستمرار في مساعدة الجزائريين تحت ضغط التهديد الفرنسي لبلادهم .

وإلى انتاج السكان، أما الثروة المتنقلة فيمكن نقلها للفرنسيين لكن لا بد من استغلال الجزائري استغلاً كاملاً، فأنذر تم السيطرة على الأرض وعلى الانتاج الزراعي وبدلًا من جعله انتاجاً يخص الشعب الجزائري فلا مانع من تصديره للسوق الفرنسية.

كما عمل الفرنسيون على خلق طبقة من العمال الأجراء وتكون طبقة لاجتماعية جديدة، تنتج السلع اللازمة للسوق الفرنسية وترتبط المصالح بين شعبين لمصلحة البقاء الفرنسي في الجزائر.

وهكذا بدأ اغتصاب الفرنسيين للأراضي فصادروا ملكية الأتراك وملكية الأوقاف وبذلك استولى الفرنسيون على غالبية الأرض الجزائرية فقد كان أغلبها وقتها .

وفي نفس الوقت حرم الجهات الدينية والخيرية من مصادرها فخضعت للفرنسيين.

وفي عام ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م مصدر قانون لمصادر أراضي العرش لمصلحة الدولة الفرنسية. ثم توالت القرارات التي تزيد من ملكية الدولة الفرنسية للأرض الجزائرية بكل الحجج الواهية ففي عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م مصدر قرار باعتبار أرض المراعي أرض للدولة الفرنسية فأصبح كل من يعملوا في الرعي أجراء عند الدولة كما عمد الفرنسيون إلى بذر بذور الفرفقة والنزاع بين القبائل بأن طالبت كل قبيلة بتحديد ملكتها لأراضيها. وفعلاً قامت الصراعات بين القبائل فشكلت لجنة الصفقات التي ظلت تعمل على مدى ثلاثة عشر عاماً تفصل فيها بين القبائل، وظهر من الناحية العملية تعدد ثباتات ملكية الأراضي للقبائل وهذا تراجعاً للجنة حلاً للنزاع بين

القبائل إلى أن تقوم ببيعها إلى الفرنسيين بثمن بخس.

وفي عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٣م أصدر الامبراطور نابليون الثالث قانون ملكية الأرض وجعل ملكية الأرض للقبائل وتحايل الفرنسيون فشكلاً لجنة مسح الأرض وكانت النتيجة أن وجد الجزائريون أنفسهم وقد خرروا صفر اليدين، الأرض التي حصلوا عليها غير صالحة للاستغلال بأية صورة.

وفي عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م حولت الإدارة الفرنسية الملكيات الكبيرة للأرض إلى ملكيات صغيرة للغاية. ثم صدر قانون يجيز ملكية الأرض بسبب المديونية وبذلك تحولت الأرض الجزائرية إلى أملاك الدولة حيث صارت مساحة ملكية الدولة إحدى عشر مليون هكتار.

الهجرة الإجبارية :

عملت فرنسا على جذب الأجانب إلى الجزائر واسكانهم فيها ولما تعذر عليها إحضار الأعداد المطلوبة لجأت إلى ارغامهم بالقوة للهجرة إلى الجزائر حتى أن جماعة من الألمان أرغموا على السفر للجزائر للاستقرار بها بالقوة ثم لجأت فرنسا إلى ترحيل المسجونين غير المرغوب فيهم سياسياً إلى الجزائر.

وفي عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م تغيرت الأحوال في الجزائر بعد ظهور الشركات الزراعية العقارية، وبدأ الاستئمار الأجنبي يعرف طريقه إلى الجزائر، وهنا بدأ الأوروبيون يتسلون على الهجرة وزادت أعدادهم في الجزائر وبدأ تملك الشركات الأجنبية للأراضي فحصلت شركة الجنغواز على إثنى عشر ألف هكتار من الأراضي وأقبل معها خمسمائة من الأوروبيين في عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م.

وفي عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م قام بنك التسليف العقاري ثم توالى قيام شركات تسليف ونقل بحري وتجاري.

كما حصلت الشركة العامة للجزائر على أرض بلغت سبعون ألف هكتار كمنuman لقرض بلغ مائة مليون فرنك للإصلاح الزراعي ولكن لم يتم صرف ما تعهدت به الشركة إلا عشر المبلغ المحدد من قبل، كما قام الفرنسيين بتوزيع مساحات هائلة من الأراضي العقارية على ثلاثة رأسياً لجيبيا.

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي كثُرت رؤوس الأموال المستثمرة في الجزائر. وبدأت الملكيات الزراعية الكبيرة في الانتاج الزراعي الآلي. فظهر الانتاج التجاري. واقتصرت زراعة قصب السكر والقطن والزيتون والتمباك.

الأحكار الأجنبية:

شخص الاستعمار الفرنسي الأجنبي للقيام بدور المستفيد الأول والمستغل لخير الجزائر دون شعب الجزائر صاحب الأرض الأصلي. واستخدم في سبيل الوصول لهدفه السيطرة على السوق الداخلية وتصدير رؤوس الأموال.

كما قالت فرنسا باحتكار الفن البحري والوحدة الجمركية بين فرنسا والجزائر فكانت السوق الفرنسية هي السوق الوحيدة المحكمة للإنتاج الزراعي ويتم تصدير المحاصولات الزراعية للسوق الفرنسية.

كما أنشأوا المصانع والصناعات للمواد الأولية كالحديد والفوسفات

والزنك وغيرها.

ومع بداية الاحتلال دخلت المنتجات الصناعية الفرنسية إلى السوق الجزائرية وحدث الإغراق بالأسواق ونتج عن تلك السياسة حركة ركود وكساد للصناعات الوطنية بعد ما كانت مزدهرة، وتقوم بعد البلاد بحاجاتها من المنسوجات والملابس والأسلحة وما إلى ذلك.

كما يبعث المصلوحتات الفرنسية في السوق للجزائرية باسعار رخيصة، وحرمت الجزائر كذلك من إقامة حماية جمركية لصناعاتها. ويسبب السياسة التي اتبعتها فرنسا لقانون المنافسة الحرة في السوق أن فقدت الصناعة الجزائرية القدرة على الوفوف في وجه الصناعات الفرنسية حيث تفرقت في الجودة والسعر.

وهكذا تم القضاء على الصناعات الحرافية في الجزائر وتختلف الصناعة الجزائرية تبعاً لذلك.

لقد كان النظام الفرنسي سلسلة متصلة الحلقات خصصت جميعها لخدمة تثبيت أقدام الاستعمار الفرنسي وجعلوا منهم أجراء غرباء عن الأرض التي تملكتها المستعمر. وأباح لنفسه حق التملك للأرض بغير حق، فضفت القوة الشرائية لدى الشعب.

كم عملت فرنسا على منع ظهور أية محاولة لإنشاء صناعة وطنية حديثة يمكن أن تنافس الصناعات الفرنسية.

ولما أنشأ الجزائريون مصنعاً كبيراً للسيج خلال الحرب العالمية الثانية قامت فرنسا بإغراق السوق الجزائرية من المنسوجات الفرنسية فاضطر

لصحابه إلى إغلاقه.

النظام الإداري للجزائر في ظل الاحلال الفرنسي:

وقدت في عام ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م مجاعة راح ضحيتها عشرات الآلاف من الجزائريين فقام الأقطاعيون الأجانب بالهداة بالحكم المدني وإلغاء الحكم العسكري الفرنسي الذي يسيطر على البلاد.

وفي عام ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م تحولت الجزائر إلى ثلاث مقاطعات فرنسية: قسطنطينة والجزائر ووهران.

وفي عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م الذي الحكم العسكري وتعيين مكان الحاكم العسكري حاكم مدنى يتبع وزير الداخلية الفرنسي، ثم عمل الأجانب في الجزائر على بسط سلطانهم على إدارة الحكم في البلاد، فاتهموا الإدارة لفرنسية بعدم فهم أحوال البلاد وعملوا على تحويل النفوذ الحكومي إليهم تدريجياً.

وفي عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م أعيد الحاكم العام الكثير من نفوذه وأنشئ مجلس أعلى للجزائر له سلطة تشريعية يعينه الحاكم العام وت تكون أغلبيته من الأجانب.

وفي عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م صار للجزائر ميزانية مستقلة يسيطر عليها الأجانب، ثم بدأ الاستعمار الفرنسي يعمل للقضاء على الروح الوطنية الجزائرية، فوقف ضد الدين واللغة والتعليم، وعارض التقاليد والعادات محاولا بكل جهده جعل للجزائر مقاطعة فرنسية. فأول ما أقدم عليه الاستعمار الفرنسي هو إلغاء الأوقاف الإسلامية وجعلها ملكا للدولة وبذلك

تحولت ادارة الاوقاف من إدارة لخدمة المشائخ الدينية والهيئات الخيرية الشعبية إلى إدارة لخدمة الأهداف الاستعمارية المناهضة للشعب، ولم يكن مبدأ فصل الدين عن الدولة إلا حديث خرافة في الجزائر.

ولم يكن للجزائريين حق المشاركة في المحاكم القائمة في الجزائر، وإنما هي من حق الأجانب فقط.

أما الجزائريون في البلاد القبلية فلهم نظام العرف والتقاليد، ولم يعط للقضاء الشرعي الإسلامي حقه كما يجب أو كما كان عليه الحال من قبل.

التعليم في الجزائر في عهد الاستعمار:

أما التعليم فقد كان فرنسيا حيث جعلوا اللغة الفرنسية هي لغة البلاد لغة الوطن وفرنسا هي الوطن وتاريخ فرنسا هو تاريخ الوطن. وهكذا عمل الاستعمار على دمج الجزائر في فرنسا. وفي نفس الوقت عممت فرنسا إلى وجود نظام التفرقة العنصرية في الجزائر ففي عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م قررت فرنسا منح يهود الجزائر صفة المواطن الفرنسية كما عملت على إصدار فوائين أخرى بهدف إبعاد شعب الجزائر من دائرة الضوء في الحياة الاجتماعية لتصغير شأن الجزائريين.

وفي عام ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م أصدر الامبراطور تابليون مرسوما يسمح للجزائريين بشغل الوظائف العامة في بلادهم، مع حفظهم في الحصول على حق المواطن الفرنسي بعد تقديم طلب التجنس مع التنازل عن الأحوال الشخصية للمسلمين.

وفي عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م بدأت الحركة الوطنية الجزائرية دورها

حين قام جماعة من الجزائريين هم : أحمد أبو درية المحامي والسيد صادق دندان والثائب العالى الشاعر عمار . وطالبوا بوضع قانون نابلسون لعام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥ م الخاص بمساواة الجزائريين بالفرنسيين مروضع التنفيذ . كما استعانوا بالعلمانيين للتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية التى نادى بها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ومصطفى كامل فى مصر من قبل .

وفي عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤ م قامت الحرب العالمية الأولى وقادت فرنسا بتحقيق الجزائريين لصالح الدفاع عن فرنسا وهذا نجحت المقاومة الجزائرية في الوقف موقف المعارضه وانسحب المجندون الجزائريون وفروا للاحتماء بالجيال في الجزائر، بينما انضم آخرين للجيش العثماني .

وهنا لجأ الاستعمار الفرنسي إلى حيلة لجذب الشباب الجزائري إلى صفوف الدولة الفرنسية . ولذلك قامت فرنسا باصدار قانون يعطى للجزائريين حق انتخاب نوابهم في المجالس البلدية وذلك في عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩ م وفي نفس العام أيمانا سافر وفد جزائري برئاسة الأمير خالد حفيظ الأمير عبد القادر الجزائري لعرض قضية الجزائر على مؤتمر الصلح في باريس وفقا لمبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون والتي تعطى للشعوب حق تقرير المصير فلم ينتبه إليه أحد . ولما رجع عائدا إلى بلاده شكل «كتلة النخبة من الجزائريين المسلمين» التي عملت على إصلاح الأحوال الاجتماعية وحق حصول الجزائريين على كافة الحقوق حتى عضوية مجلس التواب الفرنسى وطالبوا بوقف الهجرة إلى الجزائر .

وهنا قامت الإدارة الفرنسية بالجزائر بنفي الأمير خالد فسافر إلى مصر ثم تركها وسافر إلى فرنسا وهناك ألف لجنة أبناء الشمال الأفريقي . شارك

فيها مصالى الحاج الجزائري وعبد القادر بن الحاج على المراكشى . ونادراً بعد مؤتمر عام لشمال أفريقيا وطالبوها فيه بحرية الصحافة والاجتماع كما أيدوا حركة الزعيم عبد الكريم الخطابي فقامت الحكومة الفرنسية بإلقاء القبض على الأمير خالد الجزائري وصحبه بتهمة إعادة تشكيل جماعة غير قانونية . إلا أن المحكمة أيدت عدم الحل للجماعة المغربية وأفرج عنهم وسمح لهم بممارسة نشاطهم .

كما أصدرت فرنسا قانوناً في عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م ، أباحت فيه للجزائريين الحصول على الجنسية الفرنسية ثم وافقت على أن يكون للمسلمين ربع المقاعد في المقاطعات وثلث المقاعد في المجالس البلدية . مع عدم الاشتراك في انتخابات العمدة أو نائبه .

وفي عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م ظهرت في الجزائر ثلاثة إتجاهات :

- ١ - الاتجاه الكفاحي ، ويعتمد على الطبقة العاملة والفلاحين .
- ٢ - الاتجاه الاصلاحي ، وينتند إلى التواب المسلمين معظى العلاك والبرجوازية .
- ٣ - الاتجاه المعتدل ، الذي نادى به جمعية العلماء

وظل الكفاح الشعبي لتحرير الجزائر مستمراً في الإتجاهات الثلاثة ولم يسفر ذلك عن شيء .

أما الإتجاه الكفاحي ، فقد ربط بين العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا وبين الحركة العاملة الفرنسية . وفي ظل تلك الجماعات ذوى الأفكار الثورية نشأت جمعية «نجم شمال أفريقيا» ، التى أنشأها الحاج عبد القادر

للدفاع عن المصالح الأدبية والاجتماعية لمسلمي أفريقيا. ثم تولى زعامة الجمعية «مصالح الحاج»، وانفصل بها عن الحزب الشيوعي الفرنسي.

وفي عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م تقرر إنشاء حزب جزائري مستقل وتولى رئاسته جان شانترون النمساوي بباريز، وقد اكتسب هذا الحزب صفة محلية، ثم استندت مذاهب القيادة في الحزب إلى الجزائريين.

أما جمعية نجم شمال أفريقيا فقد طالبت باستقلال الجزائر، وتقدم للحزب الشيوعي الفرنسي بلفس الآراء وصار للجمعية والحزب برنامج واحد، وأعلنت الجمعية والحزب في عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م عن برنامج للمؤتمر وهو :

- ١ - الاستقلال التام للجزائر.
- ٢ - انسحاب قوات الاحتلال.
- ٣ - إنشاء جيش وطني.

وفي عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م كان عباس فرحات والدكتور ابن جلول قد كونوا وحدة المذابح الجزائرية، للمطالبة بتطبيق قانون عام ١٨٦٥هـ/١٢٨٢م للمساواة بين الجزائريين والفرنسيين وحق الانتخاب للجزائريين، وعند هذه الحركة بعض الفرنسيين الأحرار.

وفي عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧ دعت الحركة الجزائرية إلى عقد مؤتمر جزائري برئاسة الدكتور ابن جلول للمطالبة بانتخاب الجزائريين لعضوية البرلمان وإلغاء قانون دينية الجنائز والاعتراف باللغة العربية تطورت وتعارضت مصالح العمال الجزائريين والعمال من المستوطنين الأجانب

الذين حذروا الحكومة الفرنسية من مسوأة تطبيق مبدأ المساواة القامة التي تناول بها الحكومة بين الجزائريين والفرنسيين.

وفي ظل هذه الظروف قام عباس فرحات ومصالي الحاج بتشكيل حزب الشعب الجزائري، فعارضته فرنسا باعتبار أنه محاولة لإحياء جمعية نجم شمال أفريقيا الملغاة ثم تبين للقادة الجزائريين أن فرنسا غير جادة في تطبيق مبادئ العدل والمساواة التي تناولتها بها بالنسبة لجزائريين فرأوا القيام بحركة الكفاح الوطني بالالتحام التام مع الشعب بعيداً عن حكومة الاحتلال.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩هـ/١٩٥٨م أسرعت الحكومة الفرنسية باعتقال الزعماء الجزائريين وتوقفت حركة التحرير الجزائرية عن نشاطها. ثم عمل الفرنسيون على تجديد الجزائريين لصالح المجهود الحربي الفرنسي ووافق الزعماء الجزائريون وطلب عباس فرحات مقابل هذه الخطوة المساواة القامة بين الجزائريين والفرنسيين وقامت فرنسا بإجراء بعض الإصلاحات منها زيادة عدد المسلمين في الجمعيات المحلية وفي الدوائر الانتخابية ومنح صفة المواطن الفرنسي للحو نصف مليون جزائري ولكن تلك الإجراءات التي نفذتها فرنسا تمت باعتبار أن الجزائر جزء من فرنسا، وهذا أجمعوا الزعماء عباس فرحات ومصالي الحاج وكونوا أصدقاء البيان والحرية، للنادرة بالجمهورية الجزائرية المتحدة مع فرنسا.

وبعد انتهاء الحرب في عام ١٩٤٥هـ/١٣٦٥م قام الجزائريون برفع العلم الجزائري تعبيراً عن تكريتهم للقيام بدولة الجزائر المستقلة، فما شدوك معهم الفرنسيون في صراع دموي وأعلنوا الأحكام العرفية وقبضوا على

عباس فرحت وغيره من الزعماء الجزائريين وأعلنوا حل الأحزاب الجزائرية وقدموا للمحاكمة وأعدم بعضهم وحكم على البعض الآخر بالأشغال الشاقة.

ثم عادت الحكومة الفرنسية وأصدرت عقراً عاماً وأفرجوا عن الزعماء الجزائريين.

خرج الزعماء الجزائريين وانتقوا على تأسيس حزب جديد هو «الاتحاد الديمقراطي لريادة المطالب الجزائرية»، برئاسة عباس فرحت، وحزباً آخر هو «الحركة المناصرة للحريات الديمقراطية».

وفي عام ١٩٤٥/١٣٦٥ م بدأ الجزائريون توحيد صفوفهم للكفاح المسلح وأعلنوا الثورة المسلحة لانتزاع استقلالهم بقوة السلاح من أيدي المستعمرتين وتذكرت جبهة التحرير الوطني إلى انضم إلى جيشهما جميع أفراد الشعب.

كما حدث في عام ١٩٥٦/١٣٧٦ م أن أعلن زعماء الجزائريين برأساً عباس فرحت في أثناء وجودهم في القاهرة. انتصامهم تحت لواء جبهة التحرير الوطني الجزائرية وقال عباس فرحت «إن رجال جبهة التحرير الوطنية الجزائرية هم أصحاب الحق في المفاوضة إذ هم الذين يقاتلون دفاعاً عن الحرية وعن شعب الجزائر وأن جميع القوات المكافحة في شمال إفريقيا متّحدة تحت لواء واحد وإن يكن هناك سلام أو مهادنة ولكن أصوات على الكفاح الذي فرض الاستعمار على الجزائري حتى تحطم جميع القوات الاستعمارية الفرنسية أو تجلو عن البلاد. ونحن على استعداد لمقاومة فرنسا باسم الجبهة، ونعلن الآن أن لنا مشرطاً واحداً للمفاوضة وهو

أنه يجب على فرنسا أن تعرف بالوطن الجزائري،

ثم بدأت هجمات الجزائريين للمضادة تشد على جرد الاحتلال التي ارتفع عددها إلى نصف مليون جندي في محاولة للقضاء على مقاومة الثوار الجزائريين.

ومع اصرار الثوار على مواصلة الجهاد ضد فرنسا بدأت تزداد قوة المقاومة الجزائرية، حتى أعلن أصحاب المصالح الفرنسية في الجزائر عجزهم مواصلة العمل في ظل المشاعر الوطنية الملتهبة مندهم.

وفي عام ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م أعلن الرئيس الفرنسي ديغول استعداده لفتح مفاوضة مع الجزائريين للوصول إلى تفاهم على الالتفاف مع فرنسا وعلى فتح استفتاء للشعب الجزائري . وقبلت حكومة الثوار المفاوضة مع الفرنسيين .

وفتحت محادثات أولى في مليون في عام ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م إلا أن الجزائريين رفضوا شروط المفاوضة وطلبوا إجراء استفتاء في الجزائر باشراف هيئة الأمم .

و هنا أعلن ديغول أن الجزائر للجزائريين وطلب المفاوضة ثم رفض الجزائريون البدء في التفاوض دون إعداد جدول أعمال مسبق .

وفي نفس عام ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م توجه عباس فرحات إلى موسكو لمقابلة الرئيس خروشوف، يقصد تشكيل جبهة لتأييد القضية الجزائرية في عمل استفتاء وفعلا تم في نهاية عام ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م تم الاتفاق على فتح استفتاء في الجزائر إلا أن فرنسا رفضته .

وفي بداية عام ١٩٦١/٥١٣٨١ ناقش مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في بغداد مكوناً من مصر والعراق وتونس والمغرب ولibia والأردن والسودان وحكومة الجزائر المؤقتة وأصدر قرار تضمن مد حكومة الدوار الجزائرية بالمال والسلاح والتطوعين وتقديم كافة التسهيلات لصالح الثوار الجزائريين.

وفي نهاية عام ١٩٦١/٥١٣٨١ م طلبت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة إلى حكومة فرنسا والجزائر العودة لامتناف المحادثات لتحديد حق الشعب الجزائري في الوحدة وعدم تجزئته.

وفي عام ١٩٦٢/٥١٣٨٢ توقف القتال بين قوات الاستعمار الفرنسي وقوات جبهة التحرير الجزائرية رسمياً بعد عقد اتفاقية صرية في ايفيان السويسرية وإطلاق سراح بن بليلا ورفاقه الأربع الذين اعتقلتهم فرنسا في حركة طيوران باسلوب القرصنة وتضمنت الاتفاقية اعتراف فرنسا بحق الجزائر في الاستقلال وتقرير المصير. والاعتراف للشعب الجزائري بحقوقه المادية على أراضيه، مع تكوين فرقة بوليسية من ستين ألف عسكري معلم لصالح الأمن في زمن وقف إطلاق النار والاستفتاء مع تشكيل هيئة مكونة من اثنى عشر شخصاً لتولى سلطة الحكم في الجزائر خلال تلك الفترة.

وقد اعترف الحكومة الفرنسية صراحة بأن الصحراء جزء من الجزائر وبذلك فقد تخلت عن فكرة ضم الصحراء الجزائرية نهائياً إلى الممتلكات والأراضي الفرنسية. وبذلك احتفظت الجزائر مع حق الاستقلال بوحدة قيصر الوطن. وكان هذا تحقيقاً للمطلعين الأساسيين الذين أيدها الأمم

المتحدة في دورتها السابقتين لاتفاق ايفيان و بما الاستقلال وحدة التراب الجزائرية.

وقد تضمن نص الاتفاق الذي تم توقيعه بين الحكومة الجزائرية المؤقتة والحكومة الفرنسية كما أذاع رئيس الوفد للجزائر في المفاوضات أن وقف اطلاق النار يضع حدا للعمليات العسكرية في القتال المسلح في شتي أنحاء الجزائر ابتداء من اليوم وأن الضمانات الخامسة بتقرير المصير وتلزيم السلطة العامة في الجزائر أثناء فترة الانتقال، فد حددت في اتفاق مشترك. وأن قيام دولة مسلحة، أمر ينافي مع الحقائق الثابتة عن القطر الجزائري.

وفي ربيع أول ١٣٨٢/٢٧ أبريل من عام ١٩٦٢ صدر قرار تشكيل الحكومة المؤقتة للجزائر وأعضائها. وتعهد اتفاقية إيفان نصرا سياسيا عظيما للشعب الجزائري كما أنها تضع حد للنظام الاستعماري والسيطرة الأجنبية. وهكذا عادت إلى الجزائريين السيادة والاستقلال ، إلا أن المعركة لم تنته بانتهاء الحرب، بل لابد من دعم وقوية الانتصارات التي تحفقت بفضل النضال المسلح والعمل الجاد المستمر لبناء الدولة والمجتمع.

لقد تحررت الجزائر من الاستعمار ومن العهد الاقطاعي ولابد من التغيير الجذري للمجتمع. لقد كان الاستعمار الفرنسي غزواً سكانياً استغللوا إسfer مدة قرن كامل.

الجزائر بعد الاستقلال:

لقد واجهت الحكومة الجزائرية المستقلة مهام مطلوب منها القيام بها.

وهو خلق دولة ذات سيادة وإلها اقتصادها ولها ثقافتها القرمية ، وفي سبيل تنفيذ ذلك لابد من القضاء على التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية التي ولدتها الاقطاع وعلى مخلفاته وبناء هيكل وتنظيم جديد يساعد ويضمن تحرير الأرض ومارسته لجميع حرياته.

وفي ظل نظام ديمقراطي سليم يستند إلى إدارة الشعب ورفايه المستمرة مع تضاد كل طبقات الشعب بكل فئاته . كما أن الاهتمام باللغة العربية التي هي التعبير الصادق عن قيمنا الثقافية ودعم فعاليتها مع إحياء التراث الإسلامي للبلاد الجزائرية ، وإنماء روح البحث العلمي في كافة الاتجاهات وذلك لنقاوة الشخصية الجزائرية مع مسيرة حركة التاريخ دون قطع الصلة بالماضي ، فطاقة الشعب الجزائري طاقة عظيمة وجباره .

أن أول مانتبليه التنمية الاقتصادية في البلاد، الابتعاد عن فكرة الاحتياك، وذلك بتأسيس علاقات تجارية مع الخارج مع الاتجاه إلى التصنيع وينتجيه اقتصاديات البلاد بأسلوب التخطيط الحديث مع مساهمة القوى العاملة في إدارة الاقتصاد وفقاً للإمكانيات القائمة .

إن اتفاق ايفيان بسويسرا في شوال ١٣٨١ هـ / ١٩ مارس ١٩٦٢ م بعد أول وثيقة رسمية تعترف بها فرنسا بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وفي صفر عام ١٣٨٢ هـ / يولير ١٩٦٢ م أجرى استفتاء على تقرير المصير وأعلن شعب الجزائر نفسه بالاستقلال التام وبدأ عملية بناء الدولة الجزائرية العربية التي انضمت لجامعة الدول العربية وللأمم المتحدة وأصبحت تتمتع بمكانة هامة في المجتمع الدولي .

الفصل الثالث

المجتمع الجزائري

* السكان

* الدين

* التصوف

سكان المغرب الأوسط (الجزائر) :

يتتألف شعب المغرب الأوسط (الجزائر) من عنصرين هما العرب والبربر، والبربر شعب عاش في شمال أفريقيا كلها منذ القدم ثم انحصر بعد ذلك عن الشرق وتركز في الغرب من يرقى إلى المغرب، وهذا الشعب كثير التفرع والانتفال والتدخل بحيث لم يعد من الممكن ربط أشخاصه سواء في الجنس أو الأصل أو اللغة أو التقاليد والعادات، وهو يكثر عادة في الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها.

أما العنصر العربي فقد انتقل إلى هذه البلاد في صدر الإسلام وإن كان هذا الانتقال محدوداً لايتجاوز الجند ولم تحدث هجرة بالمعنى الصحيح إلا بعد أن انتقل الفاطميين من المغرب إلى مصر وانقطعت دعوتهم من هذه البلاد فشجعوا أربعة من أعظم القبائل إلى الانتقال إلى أراض المغرب، ويتألف العنصر العربي أيضاً من العرب الذين هاجروا من الأندلس إلى هذه البلاد بعد أن أجلاهم الأسبان عنها.

وليس هناك فاصلة واضح المعالم بين هذين العنصرين فالامتزاج بينهما مستمر وهو يتم بسهولة ويسر وقد امتازاً امتزاجاً كاملاً بحيث لا يمكن التفريق بينهما فالجميع يتحدثون باللغة العربية ويدينون بدين واحد هو الإسلام، وإن كانت بعض القبائل البربرية التي تسكن الجبال تحافظ بلهجتها البربرية بعض الشئ إلى جانب اللغة العربية.

ولذا كانت الهجرة الهلالية قد ساعدت على اكتمال حركة التعرّف، فإن الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قد أدخلت إليها الزراعة المتطرفة والصناعات الحديثة مثل صناعة السجع والأقمشة المختلفة وصناعة

السجاجيد والصناعات اليدوية وهي قديمة في نشأتها ثم زادت إزدهارا كالعداوة والتجارة والدباغة.

كما أفادت تلك الجماعات المهاجرة من العلماء والأدباء في الحياة العلمية والأدبية الجزائر، وكان من بينهم كثير من اليهود الفارين من الاضطهاد الأسپاني.

على أن العهد العثماني حين دخل الجزائري ، جاءت معه أجناس شتى من أنحاء الدولة العثمانية ومن الأمرى الذين جمعتهم أعمال القرصنة البحرية بالألاف من أنحاء البحر المتوسط وكثيرون منهم دخلوا في الإسلام وسرعان ما اندمجوا في شعب الجزائر وقد عادت إليهم حرفيتهم وحينئذ صاروا من أهل البلاد دينا ولغة.

هذا بالإضافة إلى العناصر القديمة التي عاشت في الجزائر من أفريقية وأسيوية وأوروبية واندمجت مع أهلها من البربر وهؤلاء مثل الفيتقين والرومان والوندال والبيزنطيين ثم العرب والعلمانيين وجميعهم تصدرهم المسقة الجزائرية حتى يستحيل تمييزهم في أغلب الأحيان فلم يعودوا يذكرون شيئاً عن أصلهم الحقيقي أو لغتهم أو عادتهم.

المعيشة:

المغرب الأوسط (الجزائر) بلاد زراعية بطبيعتها ويرجع ذلك إلى صلاحية طقها ووفرة أمطارها ، كان أساس المعيشة في الجزائر الزراعة والرعي وقد احتلت حرف الزراعة والرعي مكانة هامة في الاقتصاد الجزائري حيث يوجد أغلب أنواع الحيوانات في الجزائر من غنم وماعز

ويفر وابل وغير ذلك . وتصدر الجزائر كميات هائلة من الأغذام .

المدن الساحلية :

ويمتاز السهل الساحلي للجزائر حيث توجد مدينة عنابة بالقرب من مصب نهر سيبوبيه التي يكثر بها العذاب حتى سميت باسمه ، ويصدر بعد تجفيفه .

كما تنتج القمح والشعير والكتان والفواكه والعسل وجميع أراضيها صالحة لزراعة الحبوب وخاصة القمح . وتملك القبائل بهذه المدينة الكثير من الأبقار ، والثيران والأغنام .

وتقع جيجل غرب عنابة ويزرع بها الشعير والكتان والقنب وبها شجر الجوز والتين ، وتليها غربا بجاية وبها كثير من القمح والشعير والتين وكثير من أنواع الفواكه الأخرى .

وتلى بجاية غربا الجزائر ويسكنها بنو مزغنة وأقاموا بها المبانى والعمائر والدولة الزيرية في العهد الفاطمى . ويزرع بها أجود أنواع القمح وتكثر بها الأشجار والبساتين .

وغرب الجزائر توجد شرشال ويزرع بها الكرم والتين والسفرجل . وهى من المدن التي عمرها المهاجرون الأندلسيون في نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى . ويلى شرشال مدينة تندس ويزرع بها القمح والسفرجل وتنتج العسل ، وقد عمرها أيضا الأندلسيون مثل المدن الأخرى التي نزلوا بها عقب خروجهم من الأندلس .

وأخيرا مدينة وهران ، وكانت مدينة صغيرة قلما دخلها الأندلسيون .

المهاجرون انتشر العمران وكثرت بها البيسانين والحدائق وأنواع كثيرة من البقر والغنم.

أما المدن التي بالداخل فتوجد جنوب عاصمة مدينة قالمة وهي خلية بالأبقار المميزة عن غيرها من الأنواع الأخرى ويلى ذلك مدن نقاريس وقسطنطينة وميله والمسيلة وطاجة عاصمة إقليم الزاب الأعلى وبجاية وسکرة وتقع في أشهر الواحات الجزائرية وكانت تسمى قديماً فسكة وعلى مقربة منها استشهد عقبة بن نافع ويكثر بها الدخيل والزيتون ونجد التمور التي تنتجه بسکرة من أجود أنواع التمور في العالم.

وفي الشمال الغربي من الجزائر توجد تاهرت وكانت عاصمة الدولة الرستمية الأباضية، وجميع تلك المدن عاصمة بأنواع المزروعات المثمرة من الحبوب والفاكهة والأنعام والذيل.

كما عرفت المدن الجزائرية بالصناعات اليدوية كالحدادة والتجارة والخياكة. أما المدن الساحلية مثل بجاية فكان بها دار لبناء الأساطيل والسفن، وقد ساعد على هذه الصناعة وجود الغابات التي امتلأت بها الأودية والجبال في جنوب البلاد.

كما كان يوجد بها الحديد وغيرها من المواد الازمة لصناعة السفن كذلك اشتغل سكان المدن الساحلية الجزائرية بصيد السمك والحيتان. وهذا الانتاج الزراعي الصناعي البحري هو الذي مهد لبلاد المغرب الأوسط (الجزائر) للتصدير لمنتجاتها إلى أنحاء العالم المختلفة مثل أوروبا شمالاً ومصر والشام وتتركيا شرقاً وإلى الجنوب الأفريقي في السودان الغربي وغاناً والسنغال.

الفنون:

عرف الجزائريون الموسيقى في أشكالها البسيطة وعرفوها أكثر بعد الهجرة الأندلسية إلى الجزائر فقد اشتعل الأندلسيون بالموسيقى ويرعوا فيها حتى أنهم عرموا (النوتة)، وهي الأنغام الموسيقية المسجلة قبل أن يكتشفها الأوروبيون^(١).

كما عرف الجزائريون الموسيقى التركية في العهد العثماني وهكذا تشكلت الموسيقى الجزائرية خاصة بعدما استخدم الجزائريون العديد من الآلات الموسيقية مثل الذاي والعود والمزمار.

الدين:

دخل المسلمون المغرب الأوسط (الجزائر) وهدفهم الأساسي من الفتح في بلاد المغرب هو نشر الإسلام وإيصاله الطريق أمام سكان البلاد الأصليين الذين وقعوا تحت سيطرة البيزنطيين ليتعرفوا على الإسلام ومبادئه. كما كان يوجد من هو على دين المجوسية وعرفوا كذلك اليهودية مثل قبيلة جراوة أهل جبال أوراس. لقد بعث الخلفاء الأمويون بالعلماء الذين كان لهم دور بارز في تعليم البربر قواعد الإسلام.

كما حرص القادة والولاة على بناء المساجد والزوايا وتجديدها لأداء المسلمين شعائرهم وللتلقى العلم ومعرفة أمور الدين.

ولم يكتمل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي إلا وقد أسلم البربر وصار المغرب اسلاميا وشارك غيره من أقطار العالم الإسلامي فيما

(١) تاريخ دولتي المرابطين والموحدين. دكتور محمود السيد . ص ١٣٠ ط. إسكندرية.

ظهر فيه من أفكار ومذاهب فظهرت الفرق الإسلامية من خوارج ومعتزلة وشيعة وغيرهم وجدت في أرض المغرب مكاناً صالحاً لإعلانها بين السكان في جانب المذهب المالكي، وكان هو الملجأ الذي احتوى به سكان المغرب منذ التيارات المذهبية والانحرافات الدينية إلا أن المذهب المالكي ظل هو المذهب الذي لا تجد عنه جميع البلاد العربية.

لقد وجد دعاء المذاهب الخارجية في أرض المغرب فرصة لنشر ميادينهم بعيداً عن أعين الرقباء، إذ أنهم نجوا في خططهم حتى انتذروا من الثورات والكتفاح المسلم طريقاً لتحقيق أهدافهم فظهر دورهم المؤثر في البلاد. وذلك مثل الأباصرية والصفرية الذين تحالفوا بقصد توجيه ضربات موجعة للعباسيين. ومن هؤلاء الخوارج.

الأباصرية:

هم أتباع أقدم فرقة في الإسلام وقد نشطوا أواخر عهد على بن أبي طالب وتولية معاوية الخلافة وأحدثوا اضطرابات كثيرة في الدولتين الأموية والعباسية، وقدر بعضهم النجاح في فترة من الزمن.

نادت الأباصرية مثل بقية الخوارج بأن الخلافة - أو إمامية المسلمين - لا يصح أن تقتصر على قريش، بل تتولاها أفضل المسلمين تقوياً وعدالة ولو كان عبداً حبشياً، ونازعوا الخلفاء وتأسست لهم دولة في المغرب الأوسط في قاهرت في شمال غرب الجزائر، قامت على المذهب الأباصرى واستطاع مؤسسها عبد الرحمن بن رستم مواجهة صاحب القبروان روح بن قبيص في عام ١٢١هـ / ٧٨٧م واستعمال البربر وتمكن ابن رستم من استئصالتهم إلى الإسلام وفرض عليهم الضرائب ثم بسط سلطانه على بقية

لقبائل واستكمل بناء عاصمتها وأرسى قراعده نظم الدولة وتوطد سلطانه حتى لم تفترت وفريت.

وكان سياسياً قديراً جمع القلوب حره في بسر وسهولة.

من نظم الأباشية مجلس العزبة ويؤسس في كل مدينة أو منطقة غالبيتها أباشية، وجعل لكل جماع رئيس ينتخبونه بمن عرف بحسن الخلق والتمسك بال تعاليم الأباشية، فجعل منهم القضاة للحكم في المنازعات، ومنهم شيخ لتعليم المذهب الأباشى، وجعلوا مجالسهم سرية، ولقتهم مبهمة للاحتفاظ بالسرية للمذهب، وكان منهم مشرفون على المساجد والمساجد الجامعية للتتابعة في تطبيق المذهب الأباشى.

ويعملون على نشر الرفاق بين الناس في المجتمع عن طريق النصح والإرشاد، والعمل لمساعدة الأغنياء للفقراء وكان منهم من يراقب الأسواق ويدعو إلى الإستقامة في التعامل في الأسواق.

كما كان للأباشية مدارس خاصة بهم والمدرسة شيخها المسئول عن تثبيت أمورها. كما ساعدت الأباشية على نشر اللغة العربية بين السكان. وعملوا على تعليم القرآن وعلوم التفسير والحديث، كما قام أصحاب المهن والحرف من الأباشيين وخاصة التجار بدور هام في نشر الإسلام في البلاد الإفريقية في جنوب الصحراء.

وفي أواخر القرن الثالث الهجرى الداسع الميلادى قضت الدعوة الشيعية على الأباشية في تاهرت.

. لازهد والتصوف:

عرفت الجزائر التصوف كما عرفته سائر البلاد الإسلامية وهو مذهب أخلاقي اجتماعي نفسي له ملشه وتأريخه وأسلوبه وطريقته، وفائدته تهذيب النفوس وطهارة الصدور وحسن الخلق وهو لا يخالف شريعة الإسلام ولا ينافي ماتم عليه إجماع الأمة من أصول، وهو لا يبتعد في الإسلام مبادئ ليست منه، ولابصحاب شروط الدخول في التصوف يكشف عن هذا الحوار الذي وقع بين أبي العناية وإبله.

دخل أبو العناية على إبله وقد تصوف فقال له: ألم أكن نهينك عن هذا؟ فقال: وما عليك أن تعود الخير وأنشا عليه؟ فقال له: يابلي يحتاج المتتصوف إلى رقة حال وحلوة شمائل، ولطافة معنى، وأند تغيل الظل، مظلم الهراء، راكد الدسيم، جامد العينين، فأقبل على سرورك فإنها أعود عليك.

والذين أشاعوا الزهد والتتصوف في الجزائر هم الرعاعظ في أيام الجمع بالمساجد وكانوا يدعون إلى الزهد في الحياة وطلب التناعة والكتاف، وانتشرت أماكن العبادة فبنوا الرباط والزوايا في الثغر لحماية البلاد من الفرacsنة.

كما انتشرت في داخل البلاد وفي الراحات وعرف المغرب الأوسط (الجزائر) الطريقة القادرية التي نادى بها الشيخ عبد القادر الجيلاني وهي طريقة سلية.

كما عرف في الجزائر الصوفي أبو مدين شعيب، وهو من العلماء الذين قدموا في الهجرة الأندلسية إلى الجزائر منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وعاش بيجاية وانتشرت بها طريقته الصوفية وتوفي

يتمسان.

وفي العهد العثماني كثرا اتباع التصوف لاهتمام الحكام العثمانيين بهم وللتعاطف معهم وزيارتهم.

كما عرفت الجزائر الطرق الصوفية التي عرفها العثمانيون في بلادهم مثل البكداشة والنقشبندية والمولوية اتباع جلال الدين الرومي، ثم انتشر التصوف في أنحاء الهضاب والصحاري الجزائرية.

sharif mahmoud

الباب الرابع

المغرب الأقصى

المغرب الأقصى منذ الفتح العربي إلى قيام المملكة المغربية

- * الوصف الجغرافي
- * الفتح العربي بالمغرب الأقصى
- * للحركات الثورية في المغرب الأقصى
- * المصفرية
- * الأدارسة
- * المرايطن
- * الموحدون
- * بنو مرين
- * بنو وأطس
- * السعديون
- * العلويين
- * الاستعمار الأوربي في المغرب الأقصى
- * هزيمة الاستعمار واستقلال البلاد

يقع المغرب الأقصى في شمال غرب أفريقيا يحده شرقاً بلاد الجزائر وغرباً المحيط الأطلسي وشمالاً مضيق جبل طارق والبحر الأبيض المتوسط من حدود الجزائر إلى طنجة، ثم يتعرف الساحل جنوباً في خط هلالى مع المحيط الأطلسي ثم يمتد من طنجة حتى حدود الصحراء في أقصى الجنوب.

ويمتد من دخل البلاد سلسلة من الجبال مسلسلة جبال الريف، وهي متوسطة الارتفاع وتتندى في شكل هلالى بين مدينة طنجة، ويطلق اسم الريف، على القسم الشرقي منها. وتبعد هذه السلسلة أقصى ارتفاعها فوق سطح البر عن جبل تندغين، وسلسلة الريف امتداد لمجاهل جنوب إسبانيا وهي منفصلة عن سلسلة جبال أطلس.

ثم سلسلة جبل أطلس المعروفة، وهي أكثر ارتفاعاً من سلسلة الريف، ويفصل بيهمها «معرتازة»، ومجموععة جبال أطلس ثلاثة سلاسل وتمتد من سيرت إلى شاطئ المحيط الأطلسي مخترقة شمال أفريقيا كلها. وهي:

- ١ - الشرق الكبير ويختلف المغرب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وهذا الجزء يمثل لقى ارتفاعاً في السلسلة الجبلية للمغرب. وتنطوي قمة التلوّج طوال العام.
- ٢ - الأطلس المتوسط: ويتجه محاذياً للنصف الأعلى من الأطلس الكبير حتى يقترب منه عند ملتقى عدّ متابع نهر المولية، وهو شاهق الارتفاع.
- ٣ - الأطلس الصغير: وينفصل عن الأطلس الكبير عند جبل سروعة من

ل الشاطئى، وهو فاصل بين الأطلس الكبير والصحراء وهو شاهق الإرتفاع، وفصل سلاسل الأطلس الجبلية بين غرب البلاد وشرقاها، وفصل ممر ثانية بين الجهتين ولكنها تفصل الشمال عن الجنوب. بينما تربط بينهما الأودية والفجوات.

ونعد بلاد المغرب الأقصى أكثر البلاد بالعياء والأنهار إلا أن عدم وجود سدود لخزانة المياه يفقداها الكثير من المياه التي يتغذر الاحتفاظ بها.

أما أنهار التي بالغرب الأقصى فهي:

أنهار تصب في البحر الأبيض المتوسط ومنها نهر الملوية ويتابع عند النقاء الأطلس الكبير والأطلس المتوسط وتغزر مياهه في الربع، ويستخدم النهر للملاحة قرب المصب.

وأنهار تصب في المحيط الأطلسي. وبعد نهر «سبور» الذي ينبع من قاف وينصب في المحيط الأطلسي شمال مدينة سلا ونهر «أم الربع»، ويتابع من جنوب «سبور».

وهناك أنهار تتدفق جديراً وتنصب في جوف الصحراء وهي تنبع من سلسلة جبال أطلسي كذلك.

أما مذاخر المغرب الأقصى فهو مذاخر البحر الأبيض إلا أنه يختلف من مكان لأخر وذلك بسبب السلسل الجبلية والسواحل الشمالية والغربية وكذلك الصحراء التي في جنوب البلاد.

فيه عدد شاطئي المحيط معدل صيفاً بارد شتاءً شديد الرطوبة، والفرق

عال في درجة الحرارة بين الليل والنهار، كما تكثر الزوابع في الصيف، ويشتد برد في الشتاء، وعلى الرغم من كثرة الأمطار إلا أنها غير منتظمة.

وتكثر الأمطار في الغرب وتقل في اتجاه الداخل نحو الشرق. ويختلف كذلك تأثير المحيط الأطلسي على المناخ في الداخل.

بينما تتحكم غابات السنديان والأرز المنتشرة في تلك المناطق، وتأتي الرياح من الشمال والغرب محملة بالأمطار بينما يأتي من الجنوب والشرق الرياح الحارة، والجو عموماً حار صيفاً بارد شتاء.

السهول والوديان:

يتكون السهل الغربي من سهول متسعة تمتد من الرياط إلى مراكش وهي سهول «الشاوية»، ودكالة وتقاده وعبدة والحووز، وهي منطقة حافلة بالمرور والحقول والمزارع لخصوبتها الوفيرة وجودة الأرض.

أما السهل الشمالي، فيقع بين السهل الغربي وسلسلة جبال الريف، ويسير نهر سبو في الطريق مابين قاس في الداخل والمهدية على ساحل المحيط، ويمتد غرباً حتى يشمل معرة تازة وسهل الملوية، ثم يستمر غرباً حتى الحدود الجزائرية، وتوجد بالسهل الشمالي بعض الهمماب.

ويوجد به إقليم وجدة والملوية والغرب وسيوط.

أما منطقة السوس فتقع في الجنوب الغربي من ساحل المحيط وهي منطقة صغيرة محصورة بين جبال أطلس للعليا وأطلس الخلفية وساحل المحيط.

لما الوادى الذى يجري فيه نهر الملوية فى منطنة شرق المغرب، فتمتد حتى الحدود الجزائرية. وتوجد منطقة درعة ونافيلالت عند جنوب الصالمل الأطلسية وهى ساحل عمرانى، وفى الجنوب منها صحراء قاحلة وتدخلها بعض الواحات.

السكان:

يتألف الشعب المغربي من عصرين هما العرب والبربر، والبربر شعب عظيم عاش فى شمال أفريقيا منذ القدم، فالبربر هم العنصر الأصل، الذى عاشت قبائله وبطونه وعشائره فى المغرب وسواحله وسهوله وهضابه ووديانه من برقة إلى المحيط الأطلسي، وهم أفريقيون حاميون وتلقى لهم إلى قسمين للبُتر والبرانس وهما من أصل واحد، وترجع فكرة التقسيم إلى أساس اجتماعي فقاليبة قبائل البُتر تعيش حياة أقرب إلى البداوة على عكس معظم البرانس فهي قبائل عاشت حياة حضارية مستقرة.

وهذا هو الفرق بينهما.

وقد تفرعت قبائل كل قسم منها إلى قبائل عدة وخرجت من كل قبيلة بطون عديدة تداخلت بعضها ببعض واختلطت أنساب بعض القبائل بحيث تكون بذرية أحيانا وأحيانا برانسية.

أما العنصر العربي فقد انتقل إلى هذه البلاد فى مدر الإسلام انتقالا محدودا ... فلم تحدث هجرة حقيقة إلا عندما انتقل الفاطميون من المغرب إلى مصر وصنفت دعوتهم بالمنغرب، فدفعوا بقبائل بنى هلال وسلمى على الهجرة من مصر إلى المغرب، كما جاءت هجرة ثانية من الأندلس إلى

المغرب. كما حضرت جماعات عربية من البلاد الحجازية.

وجميع تلك الفئات العربية امتهنت مع العنصر البربرى حتى تغير البربر تغيراً عظيماً لاختلاطهم بالعرب حتى تستحيل تمييزهم في أغلب الأحيان فهم لم يعودوا يذكرون شيئاً عن أصلهم الحقيقي أو لغتهم أو عاداتهم فالجميع يتحدثون باللغة العربية، ويدينون بدين واحد هو الإسلام.

المدن الهامة:

الرباط:

تقع على ساحل المحيط الأطلسي. وهي تميّز بحضارة رفيعة، بناها يوسف بن عبد المؤمن في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، فجعلها رباطاً لحشد الجيوش والأسطول لغزو الأندلس وأكمل بناءها يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن.

الدار البيضاء (أنفاً):

تقع على ساحل المحيط الأطلسي، فتحها عقبة بن نافع عام ٥٦٢هـ/١٨١٥م وأطلق عليها اسم الدار البيضاء في العهود الذالية ويحيط بها زروع كثيرة ويزرع بها العبوب، وتنعمها للجواجم والفنادق.

فاس:

تقع في منطقة جبلية بين منطقتي الأطلس والريف وتغمرها الغابات وبها أشجار البرتقال والتين وأكثر السكان في مدن الساحل صيادون وفلاحون، والجبال قليلة السكان، وشغلت دوراً كبيراً في العصر الإسلامي

وتحتير إحدى المراكز العلمية الإسلامية الكبيرة.

أنشأ بها أدریس الثاني جامعة القرويين عام ١٩٢ هـ / ٨٧٠ م وهي أقدم الجامعات الإسلامية. ودرس بها كثير من زعماء العركة الوطنية بالمغرب الأقصى. حافظت على التراث الإسلامي لما جمع بها من نفائس الكتب والمخطوطات العلمية القيمة.

مراكش:

أنس يوسف بن ناشقين زعيم دولة المرابطين مراكش عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م في السهل الذي يقع شمالي أغمرات وجعلها عاصمة للدولة وعمرها ببناء المسجد الجامع وأعقب ذلك البناء المخصص لإدارة شئون الحكم وما إلى ذلك من مدارس وصناعات. ثم أنها من بعده الخليفة عبد المؤمن للموحيدي الذي بني فيها عدة مآثر من بينها مسجد الكتبية الذي بني منارة الشهيرة الخليفة يعقوب المنصور الموحدي.

وقد لعبت مراكش دوراً هاماً في تاريخ المغرب العربي منذ عهد المرابطين ومن بعدهم الموحدين ثم السعديين. فقد صارت عاصمة المغرب الجدوية وبلغت شهرة عالمية.

طنجة:

تقع طنجة في الشمال الغربي من منطقة الهبط وهي أهم مدنها، بين البحر الأطلسي والبحر الأبيض في مواجهة الشاطئ الأسباني. وكانت طنجة مركزاً للتجمع العسكري العربي المغربي منذ عهد طارق بن زياد حتى عهد الدولة المرinية.

تعلوان:

ونقع على البحر المتوسط شماليًا لشرق في منطقة الهبيط التي تكثر فيها المجارى التهيرات المائية وهي أرض خصبة وافرة الانتاج. يعمر فيها السكان بالسهول والوديان تم بناؤها فى عهد يوسف المريض عام ١٢٨٥هـ/٦٨٥ م ونزلها الأندلسيون فى أيام هجرتهم من بلاد الأندلس فعمروها وأصلحوا مراقبتها.

الحياة الاقتصادية:

الزراعة: تمتاز المغرب بجودة الطقس وغزارة الأمطار وكثرة الأنهر فلذلك أرضها جيدة وزراعتها ممتازة إلا أنها تفتقر إلى بناء خزانات وسدود للاستفادة من مياه الأمطار التي يتغير التحكم فيها فتسرب إلى البحر دون الاستفادة بها في الزراعة.

كما الزراعة تحتاج إلى تطويرها واستخدام الوسائل الحديثة في الرى ويعمل غالبية للمكان بالزراعة وتكثر أشجار الزيتون في مناطق طنجة وفاس ومكناس وقادس ومراكش.

كما تكثر أشجار اللوز في سفح الجبال الشمالية بالغرب . وتكثر أشجار الدخبل وأشجار التين في فارودانت وتابايلات ومراكش.

وتناثر في بلاد المغرب أشجار البرتقال والليمون والبروفلى وأشجار الجوز والمشمش والبرقوق والتوت.

أما مناطق فاس وشمال الأطلسي ومراكش وسوس فذكر فيها زراعة العنب ويشغل مساحات شاسعة في هذه المناطق.

الغابات:

تشغل الغابات مساحات مئوية في بلاد المغرب ومن أشهر أشجارها السنديان والبلوط والصنوبر والعرعر والسرور والسنديرون وتوجد في إقليم كنامة والمعمورة والحرشة ووبلمان وباب الأزهار وتستخدم منتجات الغابات محلياً كما يصدر منها كميات كبيرة.

الثروة الحيوانية والسمكية:

تعد الماشية من المصادر الهامة لاقتصاد البلاد المغربية من النقر والقنم والماعز ويصدر المغرب كميات كبيرة من الأغنام.

الثروة السمكية:

تمتد شواطئ المغرب الأقصى مئات الكيلومترات ، فتطل شمالي على البحر الأبيض المتوسط وغربياً المحيط الأطلسي . وتشهر بتنوع أسماكها وخاصة مطاطق الخليجان .

الثروة المعdenية:

تشكل المعادن قسماً مهماً من الصادرات المغربية . ويوجد بأرض المغرب الأقصى من المعادن الزنك والرصاص والحديد والمنجنيز والفحيم والفسفات . وتحل عمليات التنقيب عن المعادن وخاصة الفوسفات الذي يتطور استخراجه بشكل مستمر ويصدر منه كميات وفيرة .

وفي جنوب مدينة وجدة يوجد الفحم في ملجم حرادة ويصدر منه لأوروبا .

كما يصدر الحديد الذى يستخرج من مذاجم خليفة وأنسوس وتنقلت
والسهل المغريى ومناطق الشرق إلى أوريا.

أما مناطق الأطلسي فيوجد معدن الزنك كما يوجد معدن المنجنيز
والكريات فى أبو عرفة وأبو عزاز وفي مراكش ويوجد فى المغرب من
الكريات قدر سدس مافي العالم.

كما يوجد فى بلاد المغرب القصدير والجرانيت وجدر الملح والرخام
والجبس والكبريت.

الصناعة:

عرف المغرب الأقصى العرف اليدوية منذ القدم منها الحداوة والتجارة
والدبياغة وصناعة السجاد والجلود والأواني والأقمشة المختلفة والصناعات
الكيماوية.

التجارة:

ازدهرت التجارة فى البلاد المغربية مع أوريا وتركيا ومصر والسودان
والسنغال وغيرها من دول شمال أفريقيا، وت تكون الصادرات المغربية من
المنتجات الزراعية والحيوانية والمعدنية وأهمها الفوسفات والجلود
والصناعات اليدوية.

الفتح العربي للمغرب الأقصى :

قام عقبة بن نافع في ولادته الثانية في عام ٦٨١هـ / ١٨٦٢ م بعمليات عسكرية كبيرة فبدأ بال المغرب الأوسط واستولى على مراكش بأيديه للبيزنطيين من القلاع والحسون باقليم الزاب وسار إلى المغرب وأذعن له قبيلة غمارة في شمال المغرب الأقصى بالريف والهبط وأنقادت لسلطانه وأخضع وليلي في منطقة فاس.

وسار إلى قبيلة مصمودة في مناطق مراكش وواجه جزوله وخضعت له جميعها حتى صار في بلاد السومن وهي آخر معاقل البربر في بلاد المغرب الأقصى يرفع راية الإسلام، وفي ماسة التي على ساحل المحيط الأطلسي عمد إلى فرسه فضرب بأرجل فرسه في الماء وأعلن أنه قد بلغ أقصى ما يستطيع من أرض الله ليرفع راية الإسلام ودعوة التوحيد لفهدية.

لذلك بعد عقبة بن نافع القائد الحقيقي الذي فتح بلاد المغرب الأقصى .

وفي عام ٦٩٠هـ / ١٨٨٣ م تولى حكم المغرب الأقصى زهير بن قيس وتمكن خلال معاركه مع البربر من هزيمة كسله ثم تولى حسان بن اللعmani حكم المغرب في عام ٧١٠هـ / ١٩٩٠ وهو الذي دون دواوين الجندي والخراج والرسائل وطارد الروم في عقر دار عاصمتهم قرطاجة وأنشأ مدينة تونس وجعلها قاعدة للأسطول.

كما بني دار صناعة للاسطول الإسلامي . وحارب الكاهنة وهزمها

وقتل في المعركة، ثم استطاع بسياسته الرشيدة مع البرير أن يستعملهم إلى الاسلام ويلاظموها في صفوف جيش المسلمين، وساوى بين العرب والبرير في المعاملة فانجذب قلوب البرير إلى الاسلام، ونتج عن تلك السياسة انتشار الاسلام بين أفراد شعب المغرب الأقصى، ولما تولى موسى بن نصير حكم بلاد أفريقيا والمغرب في عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٦ م بعث بال العملات العسكرية إلى مختلف أنحاء المغرب ثم بعث من يعلمون الناس مبادئ الاسلام، واتجه بعد ذلك شمالاً إلى طنجة، كما اتجه جنوباً إلى بلاد السوس، وأقام النظم الإدارية في مختلف الأنحاء فجعل ولايات برقة وتونس والقิروان في شرق المغرب الأوسط وجعل تلمسان عاصمة المغرب الأوسط في الناحية الغربية منه.

أما في بلاد المغرب الأقصى فجعل سجامة عاصمة لأرض السوس.
وجعل من مدينة طنجة عاصمة للأقاليم الشمالي لل المغرب الأقصى.

وتولى طارق بن زياد حكم طنجة بأمر من موسى بن نصير ثم جعله قائداً للحملة العسكرية لفتح الأندلس وقد شكلت جيوش طارق غالبية من الشعب المغربي وبذلك صار العرب والمغاربة صفاً واحداً في الجهاد لرفع راية الاسلام في بلاد المغرب وفي بلاد الأندلس.

لقد نجح موسى في دفع الدعاة إلى أنحاء البلاد يعلمون الناس الاسلام، كما نجح موسى في تكوين جيش ضم العرب والبرير المغاربة جنباً إلى جنب وعبر به الأندلس وهكذا دفع موسى براية الاسلام من المغرب إلى آفاق جديدة في بلاد جنوب أوروبا في إسبانيا ، وانطلق بسمط سلطان المسلمين في قرطبة وطليطلة حتى صارت قلاع للإسلام ينتشر نور

الإسلام في ربوعها.

لقد كان لسياسة الولاية أمثال حسان بن اللعمن وموسى بن نصیر
تأثيرها في تثبيت أقدام المسلمين في بلاد المغرب.

وفي عام ٥٩٦/٧١٤ م تم عزل موسى بن نصیر من منصبه في حكم
بلاد أفريقيا والمغرب في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك
(٥٩٩-٦٠٥/٧١٧-٧١٥ م) وتولى مكانه محمد بن يزيد الذي قام بنشاط
عسكري فأرسل فرق الاستطلاع واليعوث إلى نواحي متفرقة من بلاد
المغرب أحرزت نصراً واضحاً واستولت على كثير من الغائم وبقي محمد
بن يزيد في ولايته حتى وفاة سليمان بن عبد الملك ثم عزل من منصبه
بعد عامين من توليه.

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩٠-٦٢٠/٧١٧-٧١٣ م)
أسد مقاليد الأمور في أفريقيا والمغرب إلى اسماعيل بن عبد الله في عام
٦١٠/٩٨٩ م وقد عرف بالاستقامة وحسن السيرة ورافقه في رحلته إلى
بلاد المغرب مجموعة من التابعين ليعاونوه في نشر الإسلام وتعليم الناس
أصول الدين وفي عهد اسماعيل بن عبد الله أقبل البربر على الإسلام
واعتنقهم له لحسن تدبيره للأمور في سياسة البلاد.

لقد كان للدور الإيجابي الذي قام به اسماعيل بن عبد الله أن تملكت
قبائل الأهالي تعاليم الإسلام وعرفوا الحلال والحرام وأدركوا تعاليم الإسلام
في تحريم الخمر واستجابوا للدعوة إلى تحريم شربها بفضل جهود هذا الوالي
وأعوانه من الدعاة المخلصين.

ثم توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز في عام ١٠١هـ / ٧٢٠م وتولى خلافة المسلمين يزيد بن عبد الملك (١٠٥-١٠١هـ / ٧٢٤-٧٢٠م) وقد ترتب على ذلك تغيير عام في سياسة الدولة فلم يكن يزيد بن عبد الملك يقر بسياسة التسامح واللين التي عرف بها عمر بن عبد العزيز. وتم عزل الولاية في الأمسكار ومنهم اسماعيل بن عبد الله.

ثم أعقب هؤلاء الولاية حكام عرفا بالشدة والقسوة في معالجة الأمور، وقد نتجت عن هذه السياسة السخط والتمرد في صغرى كثير من عناصر المجتمع المغربي ترتب عليها الخروج عن طاعة الحكام وبلغت إلى أقصى مداها فبررت المؤامرات ضد الحكام للتخلص منهم بالقتل.

لقد اشتعلت نيران الثورة وأظهرت شعوب المغرب العصيّان فقاموا بالثورات الدمرة، ودخلوا في صراع مسلح مع حكامهم العرب ظل فترة طويلة حتى انفصل المغرب الأقصى عن سلطان الخليفة الأموي في دمشق فمهed ذلك لقيام دولة الأدارسة. وكذلك قيام ثورات أخرى في مذاهب مختلفة. وقد أشعلت تلك الثورات زيادة الضرائب والاجحاف بحقوق المراطين بشكل تعذر عليهم معه السكوت عليه. كان الولاية يجمعون المال بغير وجه حق فاشتعلت الثورات التي أوجدت للخوارج أرضنا خصبة خاصة وأن أرض المغرب بعيدة عن مقر الخليفة.

وهكذا ظهرت الثورة في طبقة وتنبع عنها انفصال المغرب الأقصى عن الخليفة الأموي.

ثورة الصفرية

الصفرية جماعة من ممثلي المعارضة الإسلامية، فقد قامت الدولة الأمريكية والمعارضة تحيط بها من كل جانب. ولم تكن المعارضة حزباً واحداً وإنما كانت عناصر وأحزاباً كثيرة. ومن أحزاب المعارضة الحزب الشيعي وهو الذين تشيعوا على بن أبي طالب ورأوا أن الإمامة حق لعلى ولآدده من بعده. وقد حارب الأمويين الشيعة واضطهدوهم وكانت لهذه السياسة آثارها السلبية فوق الحزب الشيعي وكثير أتباعه وتحول إلى العمل في المسر.

ثم حزب الخوارج الذي رفض الوراثة كأساس للحكم بل الاختيار هو الأساس لنظام الحكم وقد خرج هؤلاء الخوارج على على حين قبل التحكيم بينه وبين معاوية كما خرجو على بنى أمية لأنهم جعلوا الخليفة ملكاً وراثياً، وكثرت ثورات الخوارج واستندت الدولة الأمريكية جزءاً كبيراً من قوامها وجبردها في سبيل القضاء على ثورات هؤلاء الخوارج.

كما أن العصبية العربية التي أضعف الإسلام شوكتها إلا أنها ظلت كاملة في النقوش ثم ظهرت في العصر الأموي فكان عرب الشمال العذانية المصرية في ناحية وعرب الجنوب اليمنية القحطانية في الناحية الأخرى. هذا فضلاً عن أن عرب الشمال أنفسهم ينقسمون بدورهم إلى قيسية وربيعية وكان معظم اليمنيين في الشام في عهد بنى أمية وكانوا مناصرين لبني أمية.

وكانت القيسية في جانب المعارضة للأمويين غالباً وكان الولاة يعيرون إلى هؤلاء مرة وإلى أولئك مرة أخرى مما أشعل نار العصبية بين القبائل

العربية في العاصمة وفي الأماكن البعيدة في المشرق والمغرب، وظهر ذلك جلياً في آخريات الدولة الأموية وكثيراً ما أشعلت الحروب بين القبائل.

كذلك حدث في بلاد المغرب حين وجد أهل البلاد من البربر الذين أسلموا أن العرب لم يحسنوا معاملتهم وخرجوا عن تعاليم الإسلام في سبيل جمع الأموال بغير حق ظهرت القومية البربرية، وأمتلأ قلوب البربر بالحقد على الحكام العرب، فلجأوا إلى أحزاب المعارضة وكان منها الصفرية.

لقد عملت جماعة الصفرية على بث عقیدتهم في نفوس البربر التي كانت مهدده سياسياً واقتصادياً لقبول دعوة الخارج، فأخذت غالبية بطون زنانه بدعة الصفرية، وتحول إليهم بنو دمر وبني واسين كما أخذت بعض بطون مغاروه وبني يقرن الذين أخذوا مبدأ الصفرية بقوة وتملكت من نفوسهم وقبلتها غالبية زنانه وصاروا صفرية.

لقد كان خروج البربر على الولاية الذين خالفوا تعاليم الإسلام، ولم يسقطوا الجزية عن أسلم وفي عام ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ثارت زنانة وتزعمهم ميسرة المطغرى واتجهوا إلى طلحة واستولوا على مقاعد الحكم فيها وأعلنوا ميسرة خليفة ولقبوه بأمير المؤمنين ثم اتجهوا بعد ذلك إلى بلاد السوس ثم دارت المعارك بين جيوش الدولة الأموية وبين الزناتيين، وبعد معارك طاحنة قتل خلالها ميسرة وتولى مكانه خالد بن حمود الزناتي الصفرى وفي عام ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م وقع القتال بين جيوش الأمويين وخالد الزناتى انتصرت فيها جيوش خالد الزناتي على العرب ويبلغ ذلك الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٢٥-١٠٥ هـ / ٧٤٣-٧٢٤ م) فأقسم ليغصبن غضبة

عربية ولبيعن لهم جيشاً أرله عندهم وأخره عنده. ووقع القتال بين العرب وخالد بن الزناتي عند وادي نهر سبو في موضع يقال له بقدوره وانتهت المعركة بانصار خالد الزناتي وهزيمة العرب.

وكان من أسباب هزيمة العرب الخلاف الذي دب بين الجند الشامي وعرب أفريقيا من اليمليين وهو الصراع القديم بين قيس ويمن وكان من أسباب ضعف الدولة الأموية فضلاً عن براعة خالد الزناتي العربي في قتاله مع العرب.

لقد خرج المغرب الأقصى من سلطان الخلافة وصار الحكم لزعاته.

ثم تولى حكم المغرب كلثوم بن عياض الفشيري الذي أتجه بجيش كبير إلى طنجة لمحاربة خالد الزناتي في طنجة ودارت معركة في جنوبها انتصر فيها خالد الزناتي ثم لمتد نفوذ الصفرية من المغرب الأقصى إلى المغاربة الأدنى والأوسط. وفي عام ١٢٤هـ / ٧٤١م تولى حنظلة حكم القبور فأسعد لمقابلة جيوش الصفرية وقد يبلغه خبر خطفهم الحربي لغزو القبور فاستعد لمقابلة جيوشهم ودب ضدهم خطنه لهزيمتهم.

فقد عمد حنظلة إلى ضم أهالي القبور والفقهاء إلى صفه وقدم لهم السلاح، وزادت حماسة الأهالي للقتال حين انضم إليهم النساء لتشجيعهم للدفاع عن المدينة وانتهت الموقت بهزيمة صفرية المغرب الأوسط.

أما أهالي المغرب الأقصى، فقد اندلعت زعامتهم إلى أبي قرة المغيلي، الذي شارك في القتال في القبور حين هاجمت قبيلة ورفجومة الصفرية القبور في عام ١٣٩هـ / ٧٥٦م واستولت عليه واستحلوا المحارم بها

فارصتها زناه طرابلس وهوارة وتزعم أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري إمام الأباصرية وزحفوا معا إلى القبروان في عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م وهزموا ورجومة ونفذه ولقي أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم على مدينة القبروان وعاد إلى طرابلس مع بطون زناه.

ثم يهزم والي القبروان العباسى الجديد محمد بن الأشعث أبا الخطاب المعافري في معركة فاصلة، فينسحب عبد الرحمن بن رستم من القبروان إلى الزاب ويؤسس بها دولته الرسمية الأباصرية في تاهرت.

أما أبو قرة فقد انسحب من المعركة ليكون إمارة صفرية مستقلة في تلمسان، ثم يأتي أحد زعماء الصفرية من اتباع ميسرة الصفرى وهو أبو القاسم سعكوب بن واصلو فينشئ للصفرية دولة في سجلماسة بدلاً من طنجة وذلك في عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م.

بنو مدرار:

بعد فشل حملة الصفرية العسكرية على القبروان أجمعوا على أن يجعلوا من سجلماسة عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م مقرا لهم ليعدوها في أقصى الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى على نهر زيز، ويصعب الوصول إليها لوعرة مسالكها، واختاروا عيسى بن يزيد إماماً لدولتهم بعد مارشنه أبو القاسم سعكرو دعا فرمه لطاعته وبأياديه الصفرية فقام بأمر سجلماسة وشق القوات وأهتم بالزراعة وبالدخيل ونمط الدولة وكثرت خيراتها وخاصة بعد اتساع تجاراتهم مع السودان.

وفي عام ١٥٥ هـ / ٧٧١ قام المكتاسيون بتلحية عيسى بن يزيد وبایعوا

أبو القاسم سعكر بن واسول ولقبه مدرار الذي ظل في الحكم حتى عام ١٦٦٧هـ / ٢٨٣م وتزوجه أبناءه فلقبت الدولة باسم بني مدرار، وجعل من مبادئ الدولة عدم الثورة على الخلافة، فإن الصفرية تعد في الحقيقة من السنة^(١) ولذلك فقد كانوا حلفاء طبيعيين للخلافة.

وفي عام ١٦٧٥هـ / ٢٨٣م تولى إبراهيم بن سعكر الإمامة وظل بها حتى عام ١٩٤هـ / ٩٠٨م فتولى مكانه اليسع بن أبي القاسم سعكر بعد خلعه من الإمامة وشيد اليسع سور سجلماسة واختط القصور والدور والأسواق فأكمل بناء سجلماسة وقويت الدولة في عهده. واتسع العمرا، وشفقت الترعرع وغرس الأشجار المثمرة، وكثير العمران بها وجدت بذلك جماعات الصفرية من مختلف الأحياء للإقامة بها.

وفي عام ٢٠٨هـ / ٢٤٣م تولى ابنه مدرار بن اليسع إماماً الصفرية بعد وفاة أبيه الذي صاهر بابنه مدرار للحاكم الرستماني عبد الوهاب في ينته أروى فترنقت العلاقة بين الدولتين الصفرية والرستمية في الجزائر ثم أتّجَبَ مدرار ولدان يدعى كل منهما مأموناً أحدهما من زوجته الرستمية والآخر من زوجته بقية الذي عرف بميمون بن بقية.

ولما كان مدرار المنتصر يفضل ابنه من أروى الرستمية عهد إليه بولاية العهد مما نسبب في صراع في أسرة بني مدرار دام ثلاث سنوات فاضطر مدرار إلى خلع نفسه من الإمامة وعهد إلى ابن الرستمية بالإمامية وتنهى ابن بقية من سجلماسة فأغضبه بذلك شيوخ الصفرية الذين رفضوا لازدياد نفوذ الأباصرية في بلدهم ، كما أن ابن الرستمية خلع نفسه من

(١) دكتور جمال الدين الشيالي، تاريخ الدولة العباسية ، ص ٧٦ مط. دار الكتب الجامعية .

الإمامية، فأعادت الصفرية مدراراً إلى إمامتهم. ولما عاد مدرار المتصدر إلى إعادة ابن الرستمية إلى الحكم قاموا بتنولية ميمون ابن بقية في عام ٨٤٣هـ / ١٤٢٩م ولقبوه بالأمير وبقى في حكم البلاد حتى وفاته في عام ٨٧٦هـ / ١٤٦٢م.

ثم انتهى أمر الدولة الصفرية المدارية بعد ظهور الفاطميين ودخلهم سجلماسة في عام ١٤٩٧هـ / ١٠٩٠م.

الأدلة:

الدولة الأدرسيّة (١٧٢هـ / ٩٧٤ـ ٧٨٨م) قام العلويون في عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م بثورة كبيرة في المدينة يطالبون بالخلافة لأنفسهم وكان من بين الثائرين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي.

ولما أخمدت الثورة وقتل معظم القائمين بها فر إدريس إلى مصر ثم انتقل منها إلى المغرب الأقصى، وتسلّم إدريس ومعه مولاه راشد في مدينة وليل بجبل نزهان في عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م وبايعته قبيلة أوريه وزعيمها اسحق بن محمد. ثم انضمت إليه قبائل زواغة ولواته وغمارة ونفرة ومكناسه، وهكذا التقى الناس حول راشد الذي ظهر بزى التجار وادعى أنه السيد إدريس خادمه، ليصنف الشخصية إدريس وقام راشد بدعوه لأمير على يرفع راية التوحيد الإسلامية ليخلص الناس من الظلم ويعيدهم إلى الطريق القويم.

بدأ إدريس يدعو نفسه بين القبائل في وليل الذين نظروا إليه باعتباره من آل البيت البوئي يديهم إلى طريق الحق ويقوم لهم دولة تحميهم و تكون

سندًا قوياً لهم. ثم أسلدت شيخ القبائل إلى إدريس حكم وليلي الذي سعى إلى مد سلطانه حتى أنه لم يمض غير قليل إلا وقد اتسع نفوذه إلى أماكن كثيرة في المغرب الأقصى.

ولما وصلت أخبار إدريس إلى الخليفة العباسى الرشيد (٩١٧٠ـ٩٧٨٦هـ) وأدرك أن بعد المسافة بيده وبينهم قد تكون عائقاً للوصول إلى تحقيق أغراضه في القضاء عليه لجأ إلى تدبير خطة للتخلص منه، فبعث إليه من يدس له السم وتوفي إدريس في عام ٧٩١هـ بعد حكم دام ثلاثة سنوات. واستطاع راشد مولى إدريس أن يعمل على استقرار الأوضاع في الدولة الإدريسية، وعقد اتفاقاً مع شيوخ القبائل على رعاية زوجة إدريس التي كانت حاملاً حتى تلاد، فلما أنجبت ولداً لإدريس أسمته باسم أبيه إدريس، وصار راشد وصياغاً على إدريس الثاني حتى بلغ العاشرة من عمره. ثم أسد إليه حكم الدولة في عام ١٨٦هـ/٨٠٢م.

قام راشد برعاية إدريس فتعلم القرآن وحفظه ودرس الحديث وعلوم اللغة وسير الملوك وأخبارهم وأيام الناس ودرّب على ركوب الخيل وجعله في خير حال.

ولما أدرك إبراهيم بن الأغلب أن راشد هو الموجه الحقيقي الذي ي العمل على تقوية دولة الأدارسة وتدميتها عمد إلى التخلص منه ، ونجح الأغالبة في خطتهم إلا أن الأدارسة سرعان ما تداركوا الموقف فولوا أبو خالد بزيد بن الياس العبدى أمور الدولة فقام بهم منه خير قيام حتى قويت الدولة الإدريسية. بعكس مكان يهدف إليه الأ غالبة ، وقد ساعد استقرار الدولة

ونموها الاقتصادي على جذب جماعات من العرب، ورحب إدريس بهم وقربهم إليه وأحسن إليهم حتى صاروا بطانة لإدريس -

ولما قوى شأن إدريس الثاني اختار مصعب بن عيسى الأزدي وزيرا له، كما تخلص إدريس من أسحق بن محمد زعيم قبيلة أوربة لما علم باتصاله بأعدائه الأغالبة.

ثم قام ببناء مدينة في موضع قريب من عاصمة دولته وليل، وكانت مدينة فاس التي شرع في بنائها في عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م في موقع يقع بين جبلين على ضفاف نهر فاس وقد سمي هذا الجزء من مدينة فاس باسم العدراة الأندلسية . وذلك بعد هجرة الأندلسيين ثوار الحمى الريض في عهد الحكم بن هشام الأموي الذين نزلوا بفاس فسميت باسمهم .

تم شرع إدريس في بناء الشطر الثاني من مدينة فاس في العام التالي وسمى بعدها القربيين (المغاربة) وحمل إليها إدارة الدولة وجعلها مقراً لها وصارت مدينة فاس تشمل العدوبتين .

ثم قام إدريس بعد ذلك بغزو قبيلة مصمودة التي خضعت لسلطانه واستولى على أغامت في عام ١٩٧ هـ / ٨١٢ م ثم اتجه إلى الصفرية في تلمسان ودخلها مصلحاً وقام بإدارة المدينة وأصلاح من أحوالها . ثم امتد سلطان الدولة الإدريسية غرب الجزائر إلى نهر شلف ولم يواجه الأدارسة مقاومة من أحد .

ويعد بحق إدريس الثاني مؤسس دولة الأدارسة فقد تغلب على خطر الدولة الأغالبية، وسط سلطانه على البربر ثم مد سلطان دولة الأدارسة

عبر جبال أطلس الأعلى في جنوب مراكش حتى درعه فضمن لدولته
لوصول إلى موانئ المحيط الأطلسي ، كما سيطر على مضيق جبل طارق
وصيشه .

كما أمدت الدولة الإدريسية في عهده إدريس الثاني سلطانها عبر جبال
متبعه إلى الصحاري الواسعة في الجنوب . وعمل على نشر الإسلام بين
القبائل البدائية المحتملة بذلك الجبال .

وفي عام ٨٢٨ - ٩٢١م ترقى إدريس الثاني وخلفه من بعده أبناءه
للذين اقسما بلاد بينهم فنفروا وصنعت وحدة الدولة وصارت البلاد إلى
مستوى من الضعف فدخلتها جيوش بني أمية الأندلسية والشيعة الفاطميين
حتى صارت جزء من الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا . ثم خرجت من
قبضة الفاطميين إلى الأمويين الأندلسيين وظل الحال كذلك حتى انتهى
سلطان دولة الأدارسة في بلاد المغرب الأقصى في الربع الأخير من القرن
الرابع الهجري العاشر الميلادي .

المراطون

المراطون هم صنهاجة الجنوب الملجمون ، اتخذوا اللثام على وجههم
وصار شعارا لهم ، عاشوا في صحراء المغرب الأقصى والمناطق المدارية
حتى السنغال إلى بلاد السودان .

يعيشون على الأنعام يركبوها في تنقلاتهم ويتجذرون من ألبانها
ولحومها .

ومن أهم قبائل صنهاجة اللثام كذلك والمتونة ومسقطه دخلوا الإسلام

في القرنين الثاني والثالث الهجري الثامن الميلادي والتاسع أيضًا، وحملوا رايه ونشروا دعوة التوحيد بين القبائل في الجنوب حتى بلاد السودان.

وفي التصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى ظهر من بين صفوفهم الأمير يحيى بن ابراهيم الجداوى الذى عرف بالتفوى والصلاح وبعد النظر ورجاحة العقل مما يؤهله لأن يحمل رسالة الإصلاح بين القبائل.

وقد دفعه طموحه الديين لأن يعمل على توحيد صفوف القبائل الصنهاجية ويدفعها إلى المجاهدة والتصال بين القبائل المغربية في جميع الأنحاء.

بدأ يحيى بن ابراهيم رحلة البحث عن أصول الدين وفي دعوته اتجه إلى القيروان في عام ١٠٣٥ـ٤٢٧ـ وتقابل مع آل عمران الفاسي وتلقى منه العلم ثم طب منه أن يرشح من تلاميذه فقيها يصحبه إلى بلاده ليعمل على نشر الدين بين صنهاجة اللثام وبهدفهم إلى طريق الصلاح.

ووجه ابن عمران الأمير يحيى إلى أحد تلاميذه وهو وجاج بن زولو من فقهاء المغرب الأقصى ليختار أحد تلاميذه ليرافق الأمير يحيى إلى بلاده ليعلم الناس الدين الصحيح.

وتقابل الأمير يحيى مع الفقيه المالكي وجاج في سجلماسة واختار وجاج الفقيه عبد الله بن ياسين الجزوئي الصنهاجي الأصل ليرافق الأمير يحيى الجداوى في رحلة العودة .

عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير على الصنهاجى اللثامى سافر إلى بلاد الأندلس فى عام ٤٠٩هـ / ١٠٠٩م فى عهد ملوك الطوائف وتلقى العلم من آئمه العصر وأعلام الفكر ثم عاد إلى المغرب الأقصى وقابل فقيه السوس وجاج للمعطى العالم الزاهد ثم رحل عبد الله بن ياسين إلى لمدونة قبائل صنهاجة اللثام فأعجبوا به والتقدروا حوله ثم رأوا أنه يحرض عبيدهم عليهم بدعونه إلى المساواة بين البشر، ووجدوا أن وجودهم فى خطر يسبب دعوة عبد الله بن ياسين لتحرير العبيد انقضوا من حوله، بل أكثر من هذا عزلوه وأبعدوه عن ديارهم.

ولما لم يجد استجابة من سامعيه وانصرفوا عنه عمد إلى اللجوء إلى جزيرة فى مصب السنغال فى رياط يتبعده فيه بشجيع من يحيى أمير جdaleh فسمع به الناس والتقدروا حوله وكثير عددهم أولئك الذين يملأ الإمام قلوبهم وصاروا قوة يعتمد بها الفقيه بوجودهم حوله وقد صحبه الأمير يحيى فى رياطه حتى توفي فى عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ويقى عبد الله فى رياطه حتى بلغ عدد مریديه ألف فااجتمع بهم وأمرهم بالجهاد فى سبيل الله فائلا لهم : «أخرجوا فأنتم المرابطون».

وهؤلاء المرابطون الملتئمون صاروا جيشا يدافع عن الحق ويحمل الناس على الاستقامة واتباع الحق.

دولة المرابطين (٤٤٨-٥٥٦هـ / ١١٤٧-١٠٥٦م)

خرج عبد الله بن ياسين هو وعمر المترونى الذى خلف إبراهيم الجذالى - وعارض جdaleh تعصبا فلم يأبه عبد الله للمعارضة واتجه وجماعة من المرابطين إلى غانة جدونا ونصرلوا على أودغشت ودخلت غانة فى الإسلام.

ثم اتجهوا إلى السودان وترقى يحيى بن عمر المتنوبي وخليفة أخيه أبو بكر عام ١٠٥٥هـ/٤٤٧م وخلصت جداله لعبد الله كما خلصت لمتنوبيه من قبل وصارت غانه وجداه ولمنونه في طاعة المرابطين.

أصلح عبد الله أحوال هذه البلاد وقضى على المنكر وألغى الضرائب ثم اتجهرا إلى الشمال واستولوا على درعة وسلامة واقليمها.

ثم بدأ المرابطون يتوجهون إلى بقية القبائل المثلثة لتوحيدها في سبيل الجهاد، فانضمت إليهم مسرفة ولمطه وجزولة.

وفي عام ١٠٥٦هـ/٤٤٨م تمكن المرابطون بقودهم أبو بكر المتنوبي وعبد الله بن ياسين من فتح مدينة ماسة على المحيط من بلاد السوس. وقضوا على دعوة الرافضة. ثم اتجهوا إلى الشمال واستولوا على أغمات ثم اتجهوا إلى برغواطه في ساحل المحيط في سلا باقليم فاس وانفه وأزمر في قامسنه وأفني في أقليم وكالة، وحاربوا الصفرية وهزموهم واستشهد عبد الله بن ياسين في عام ١٠٥٩هـ/٤٥١م.

حقق الزعيم المرابطي أهدافه بعد الانتصارات التي نعمت وانتشرت في جميع الأنحاء فتوحات المرابطين. ونمت حركة مقاومة الفساد وصلحت أحوال البلاد والعباد وكثرت جموع الملحدين الذين انضموا الجموع المرابطين فقوى المرابطون المجاهدون واستطاعوا أن يواصلوا الحملة إلى أبعد ما يسعون.

لقد تمكن المرابطون من إخضاع غانه وجداه ولمنونه فارتفع بذلك شأن المرابطين أولئك الذين جاهدوا لإنجاح الدين الحق ونشر الفضيلة، ووأد

الفساد ورفع راية العدل في جميع أنحاء المغرب.

لقد تحولت جموع تلك القبائل البدوية من التفرق والخلاف إلى جلد
منظمة متحدة تداعي عن الإسلام وتبتلي في سبيل ذلك أرواحها.

لقد ألغى عبد الله بن ياسين الضرائب غير العادلة التي تناهى ماجاء
في الكتاب والسلة وحل محلها الزكاة والأخماص والأعشار، طالب الأغذية
بمراقبة القراء وخصصت لبيت المال عملاً يسرون على المراقبة
والمحاسبة حرصاً على صيانة أموال المسلمين ونشر العدل ورفع الظلم في
أنحاء المغرب، وهو يواصل في نفس الوقت الاستغلال ببيث الدعوة بين
اتباعه حتى ظهر من تلاميذه الذين عرقوا يانكار الذات ولم يحفلوا بالمارب
الفردية فظهرت نفوسهم من أدفان الأنانية وحب الذات، ووظدوا أنفسهم
على الإيثار والعمل لخير المجتمع، منهم لعماد بن نصير المتونى فقيه
الصحراء وميمون بن ياسين الصنهاجي.

بعد استشهاد عبد الله بن ياسين في بلاد السوس وهو يقاوم الجماعات
الخارجية على الجماعة واصل أبو بكر الجهاد ضد تلك الجماعات حتى
قضى عليهم.

ولما بلغه أن خلافاً وقع بين قبيلة لمترنه ومسوفه بالصحراء أسرع إليهم
في عام ١٠٦٣هـ / ١٩٤٥م لإصلاح أحوالهم وندب ابن عممه يوسف بن
تاشفين ، ليحل محله بالمغرب الأقصى ، وجاهد أبو بكر في بلاد السودان
حتى استشهد في عام ١٠٧٨هـ / ١٩٦٠م وتابعه خلفاؤه من بعده في الجهاد
في الجنوب.

أما في الشمال فقد تولى قيادة الشمال يوسف بن تاشفين ذلك البطل الشجاع المجاهد في سبيل الله الذي أحسن مدينة مراكش عام ١٠٦٢هـ/٤٥٤م في السهل الذي يقع شمالي أغمرات وجعلها عاصمة للدولة، وعمرها ببناء المسجد الجامع وأعقب ذلك البناء المخصص لإدارة شئون الحكم. وما إلى ذلك من مدارس وحمامات.

ثم بدأ ابن تاشفين يزيد من عدد جيشه حتى بلغ عدد الجيش المرابطي مائة ألف مقاتل من صنهاجة وفي عام ١٠٦٧هـ/٤٦٠م استولى على غماره مروراً بمنطقة الريف إلى طنجة ثم أعاد فتح فاس عام ١٠٦٢هـ/٤٥٩م للمرة الثانية. ثم توالت فتوحات المرابطين في بلاد المغرب الأقصى ثم استولى على طنجة عام ١٠٧٧هـ/٤٧١م واستولى على تلمسان في عام ١٠٧٩هـ/٤٧٢م.

ثم اتجه المرابطون إلى بلاد المغرب الأوسط واستولوا على الجزء الغربي من بلاد الجزائر، كما استولوا على مدينة سبطة بالغرب الأقصى في عام ١٠٨٤هـ/٤٧٧م . ومنح يوسف بن تاشفين نفسه لقب أمير المسلمين، وأعلن تبعيته لل الخليفة العباسى في بغداد وطبع اسمه على السكة في عام ١٠٨٧هـ/٤٨٠م خلفاً للأمير أبي بكر.

كما عمل يوسف بن تاشفين على اصلاح الأحوال الاقتصادية فرفع الضرائب وعين عمالاً على البلاد من ذوى السمعة الطيبة الذين عملوا على نشر الأمن والعدالة في البلاد وعين لكل حاكم فقيها برتبة مستشار حتى لا يحيد أحد عن الشريعة الإسلامية في احكامه.

وبعد أن تم للمرابطين سيادتهم على الصحراء في جنوب المغرب

الأقصى وبعد أن اتجهوا إلى الشمال وتم لهم النصر على الزناتيين ويسطروا سلطانهم عليهم وأصبح المرابطون سادة المغرب بعد صراع دام عشرون عاماً.

وبينما كان أمير المغرب يقوى كانت الأندلس تعاني من مراة الخلافات الداخلية مما أضعفها أمام الأسبان في عهد ملوك الطوائف الذين استجدوا بجيوش وأساطيل يوسف بن تاشفين الذي زحف عبر البحر إلى الأندلس والتحم مع الأسبان في حروب وهزمهم في معركة الزلاقة الشهيرة التي غيرت وجه تاريخ الكفاح العربي في إسبانيا. ودانت الأندلس كلها للغرب وأصبح المرابطون الدرع القوي الذي آخر زحف الأسبان ورحرحه نحو الشمال.

وتولى الأمر بعده ابنه على بن يوسف بن تاشفين ثم في مراحل تالية توزع ملك المرابطين فعاد الأسبان إلى التقدم في أرض الأندلس مرة أخرى ونبتت في المغرب حركة أخرى هي حركة الموحدين.

الموحدون: ١٢٧٠-١١٣٠-٥٦٨ھ

قامت دولة الموحدين لتحكم البلاد الغربية والأندلس بعد ماغاب سلطان دولة المرابطين وانزوى.

أقام الدولة الموحدية أبو عبد الله محمد بن تومرت من هرغة إحدى بطون مصمودة بال المغرب الأقصى في السفح الجنوبي لجبال أطلس وفي السهول وتعرف بجبال درن ولمصمودة بطون أسمها هرغة وهنناه وتيتعل وتكاله وهيلانه ويشكلون غالبية المغرب الأقصى.

ولد ابن تومرت عام ١٠٨٧هـ / ١٤٨٠ م لأسرة تعيش في قرية من قرى هرغة على سفح جبل إجليز. قضى حياته في حفظ القرآن، وحضر حلقات الدرس في بلاده ثم في مراكش وفي نحو العشرين من عمره رحل إلى الأندلس عام ١١٠٧هـ / ١٥٥٠ م وتزل في قرمطبه ثم اتجه إلى المشرق وتزل الأسكندرية وتلّمذ على الطرطوشى كما تلّمذ على غيره من الأندلسين والمغاربة وكان منهجه الطرطوشى وهو الورع والتقوى والتمسك الشديد بأهداب الدين ورسالته هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عزف

وصرامة

وقد أخذ تلاميذه بهذا المنهج وهذه الوسيلة وكان أثره فيهم قوياً وواضحاً. ونادي بن تومرت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأخرج من المدينة وركب البحر متوجهًا إلى الغرب. وفي هذه الرحلة كسر جرات الخمر التي على السفينة، وعندما ارتفع الاذان للصلوة لم يجد من يهتم بالتنوّه لأداء الصلاة فدعاهم إلى الصلاة وهم ينظرون إليه وبهذون أكتافهم ولما هبت عاصفة بحرية وارتباك ركب البحر قام ابن تومرت يدعوه، فهدأت فكان الله قد استجاب لهذا الرجل الصالح الدعاء. ونعت الرحلة البحريّة بسلام.

وابتدأ ابن تومرت وكأنه في نظر من حوله من الركاب ولها صالحة مستجاب الدعوة. فكان إذا تكلم أصغوا إليه وصار ملء العيون والأسماع. وتزل في طريقه بالمهديّة، وهناك أعاد الكرة فكسر مارأه من آلات اللهو وألواني الخمر، ثم لما اتجه غرباً إلى بلاد المغرب وكان قد ظهر معجبون التفوا حوله وظلوا برفقه وقد اطمأنوا إليه.

ومن هؤلاء الحاج يوسف الدكالي وال الحاج عبد الرحمن أبو بكر الصنهاجى و يكنى بالبيدق بمعنى الجندي فى مبارزة الرياضة الذهنية، وقد قام البيدق بتسجيل تحركات ابن تمررت الذى فيما كتبه عن استاذه أن الطلبة للمغاربة اجتمعوا عند ابن تمررت ليستمعوا إلى ما يلقى من دروس وعظات، وقد استعان فى عظاته بأسلوب الترغيب والترهيب الذى جذب إليه الكثير من الشباب.

ولما انصرف ابن تمررت من تونس متوجهًا إلى قسنطينة ثم إلى بجاية عاصمة الدولة الحمادية، وتقابل مدبلقى تونس ومراكمش فضلاً عن مرونة الحكم فى معاملة الأهلى بالترفق فى حدود الشريعة المحمدية.

وفى مسجد الريحانة كان مقام ابن تمررت . ثم أخذ يعود فى أسواق المدينة يدعو الناس إلى اتباع السنة وعدم الخروج عنها. ثم اتجه إلى ملأهى وأستقر فى زاوية بها و Ashton بالتدريس والعبادة وينطلق أحياناً إلى الطريق متوجهًا إلى شجرة خروب، يتأمل كيف يمكنه أن يهدى الطالبين من أمة محمد إلى الرشاد وقد كثُر عدد المارقين، غير الملزمين.

وكان كأنه يقرأ الغيب وما تخفي له الأيام من مستقبل باهر. ثم ظهرت شخصية عبد المؤمن الخليفة الموحدى المنتظر، تلكى عبد المؤمن تعليمهى تجرا ثم ذهب إلى جامع تلمسان ليكمل تعليمه ثم عقد العزم على الرحيل إلى المشرق ليواصل تعليمه هناك، ومات أبوه وتزوجت أمه ورفاقه عمه للاتجاه إلى بجاية فى الاتجاه إلى المشرق.

سار عبد المؤمن برفقه عمه إلى هدفه الذى حدده لنفسه . ونزل فى بلاد متيبة لأيام ثم واصلوا الرحلة إلى بجاية فى مسجد الريحانة، ثم

انحرف عن قصده واتجه إلى ملأه رغبة منه في سماع أخبار الفقيه السوسي عالم المشرق والمغرب، كما أطلق على ابن تومرت، فبعد المؤمن سمع وهو بالمسجد مناجاه لبعض المسلمين يتكلمون عن الفقيه، فأراد أن يستمع إليه. وهذا مادفعه إلى أن يغير من خط سيره الذي كان قد عقد العزم على السير فيه. وقد مار عبد المؤمن وحده، ثم تقابل التلميذ والأستاذ، عبد المؤمن وأبن تومرت. وطلب ابن تومرت من عبد المؤمن أن يبقى بالمغرب ولا ييرحه إلى المشرق قائلا له: «العلم الذي تريده بالشرق قد وجنته بالمغرب».

ثم طلب منه أن يقيم معه الليل في ملأه. فلما كان منتصف الليل أطلع ابن تومرت عبد المؤمن بأن أمر الدين يقوم بعبد المؤمن، سراج الموحدين، وأعطاه كتابا وتنبأ له ولاتبعاه بالخير والبركة. والويل لمن خالفوك ونصحه بكلة الذكر في حال العصمة والأمان.

وهكذا كشف، ابن تومرت بعد المؤمن عن الدور الذي سيقوم به ويفى عبد المؤمن شهورا كثيرة في ملأه.

وأخيرا أصدر ابن تومرت تعليماته بالرحيل فانطلقت الطاقة الموحدية إلى طريقها المرسوم.

وفي عام ٥١٥هـ / ١١٢١م بلغ أتباع ابن تومرت أعداد كبيرة بايعته أنه المهدى. وأخذ ابن تومرت ينظم أتباعه في ملبيقات. فأول طبقة أهل عشرة ثم أصحابه وليهم أهل خمسين. وسمى حفظة المذهب وفقهاءه الطلبة أئى الدعاء. وسمى أهل دعوته «الموحدين».

وفي عام ١١٢٢هـ / ٥٤٢٢م توفي المهدى ثم أعلن أتباعه موته بعد
البيعة لعبد المؤمن من كافة المرحدين في مدينة تيسميل عام
١١٢٩هـ / ٥٤٢٤م باسم خليفة ابن قرمة.

ولم يلبث أن أبعد في الغزوات في منطقة تادله واستولى عام
١١٣١هـ / ٥٤٢٦م على درعه وتسابق الناس في المغرب إلى دعوته.

عبد المؤمن على (١١٣٠هـ - ١١٦٣هـ - ٥٤٢٤م)

تولى عبد المؤمن بن على خلافة الدولة الموحدية وقضى على الدولة
المرابطية، وعمل على بسط سلطان الموحدين على بلاد المغرب. واستولى
الموحدون على تلمسان في عام ١١٤٦هـ / ٥٤١م.

وتنابت سقوط المدن وكذا العاصمة مراكش. أما في بلاد الأندلس فقد
ظهر عصر الطوائف الثاني.

وفي عام ١١٤٨هـ / ٥٤٤٣م استولى ريموند صاحب برشلونة على
طرطوسه وعلى لارده وإفراخ وقارم أهل بلنسية ومرسيه الموحدون إلى عام
١١٧٢هـ / ٥٦٦م ثم اذعنوا للموحدين.

وخلصت للموحدين أشبيله وغرناطة واسترد الموحدون العريبة من
الكونسو. وتوفي الفونسو حزيناً بعدها.

وفي ظروف مواتية حين ظهر الصراع بين القبائل العربية الهلالية
ودولتي بي زيرى في القيروان والقلعة مما أضعف الدولة وصار نفوذها
إسمياً. هاجم التورمانديون بعض ثغور أفريقيا من صفاقس وسوسة إلى
المهدية واستقل بعض شيوخ القبائل ببعض التواحي.

ثم هاجمت جيوش الموحدين المغرب الأوسط بقيادة عبد المؤمن بن على في عام ١١٤٦هـ / ١٧٥٤م فقابل عرب الأنج وجسم وأعلنوا ولاءهم فعقد لأبي الفيل بن كملان شيخ الأنج ولحباش بن مشيفر شيخ عرب جشم راسنولى على يجاية ثم أتجه إلى أفريقيا.

وفي أفريقيا تحالفت صنهاجة مع جيرانهم وقاموا بالهجوم على مدينة باجه واستولوا عليها. فبعث إليهم عبد المؤمن بجيش يقوده عبد الله بن عبد المؤمن بلغ ثلاثة ألف مقاتل وفي عام ١١٥٢هـ / ١٧٥٠م فقابل الموحدون والعرب في ناحية سطيف وظلت الحرب أربعة أيام انتهت بهزيمة العرب وسقوط أموالهم وأولادهم ونسائهم غنيمة للموحدين.

وبعد عبد المؤمن بناء العرب وأولادهم إلى مراكش في الحفظ والأمان وفي رعاية الموحدين وعتايتهم، فاجتمع أمراء العرب واتجهوا إلى عبد المؤمن بمراكش فرحب بهم وأعاد عبد المؤمن نساءهم وأولادهم ليضعهم إلى صيده ورجعوا جميعاً بلادهم سالمين.

وفي عام ١١٣٨هـ / ١٧٣٣م هاجم الموحدون المهدية ثم عملوا على تصفية الإمارات العربية التي خرجت علىبني زيري واستولوا عليها جميعاً، وخضعت لهم كل أفريقيا واستولوا من الدورمان على كل ماقاتان بأيديهم من مدن الساحل في طرابلس بأفريقيا.

وأصبح سلطان الموحدين يمتد من برقة حتى تلمسان في المغرب الأقصى. ولما حاول عبد المؤمن ضم العرب الهلالية لم يجد منهم الحمام فأخرج منهم ألفاً من كل قبيلة ونقلهم إلى المغرب لاستعاف شوكتهم في أفريقيا وللاستعانة بهم في حروبهم ضد القرنخ في بلاد الأندلس.

وهكذا استطاع عبد المؤمن أن يوطد عرشه بالمغرب بعد أن هزم الخارجين عليه وصارت دولة الموحدين من الشرق إلى مaura القبران، وبلغ إتساع دولة الموحدين إلى أبعد مدى. فصارت تحدّها من الجنوب الصحراة الكبرى ومن الغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق صحراء لوبيبة ومن الشمال البحر المتوسط والبلاد الأندلسية. كما بعث عبد المؤمن بولده أبي يعقوب يوسف إلى الأندلس.

وبدأ عبد المؤمن في تنظيم دولة الموحدين فلأعلى النظم الحربية المرابطية العسكرية لصراحتها الشديدة وأطلق حرية الفكر للعلماء. وجعل مراكش عاصمة الدولة وأقام بها المساجد والمدارس وأغدق عليها حتى صارت مراكز للعلوم والمعارف ونظم الإدارة وعلوم الدين.

واهتم عبد المؤمن بلقاء الطلبة وتابعهم بنفسه فيما يلقوه وشجعهم ورغبهم في حبهم للناس.

وكذلك اهتم بنشاطهم العربي في المبارزة والفرروسية والسياحة وكان يدرّبهم في بحيرة بجوار قصره وتابعهم على أساليب القتال في البحر وفنونه وأثار فيهم الحماس بتقديم الجوائز للمتفوقين منهم.

وأسند عبد المؤمن إلى هؤلاء مناصب الدولة الهامة وأنشا لهم نظاماً جديداً حاز عنده الثقة وتوطّد بهم سلطان الموحدين. وجعله ملكاً وراثياً لأسرته وجمع الولاية ومشايخ القبائل من جميع الأحياء وعقد معهم مجلساً في عام ١١٥٩هـ / ١٧٤٩م أسنداً ولاية العهد لولده الأكبر محمد وزكر اسمه في خطبة الجمعة. ثم عين بقية أولاده على بعض الولايات وجعلها وراثية في عقبهم وعين مع كل واحد حاكماً واثنين من الكتبة.

أما ولده أبو يعقوب يوسف فعين معه أبيا زيد بن بكيت واختار أبيا حفص لولاية سبته وطلحة وبعض ثغر الأندلس وأبا محمد عبد الله لولاية بجایة وأبا الحسن لولاية فاس وأبا يعقوب يوسف لولاية الأندلس وأشبيلية وما إليها من المناطق.

هذا وقد احتفظ عبد المؤمن لنفسه بالقيادة العليا ليحول بين الطغاة والمستبددين من التفرد بالشعب ومع ذلك فقد وقعت المخالفات من بعض الحكام ولم يكن يوسع عبد المؤمن التصرف فيها حيث كانت تصله أخبارها بعد وقوعها ولكنه كان يوقع العقاب على من أساء التصرف من الحكام.

وأتبع عبد المؤمن سياسة الرفق وحرية الرأي وسمح بتداول الكتب التي سبق حظر كتابتها أو نشرها وحتى الكتب المعارضة سمح بتناولها والرد عليها في نفس الوقت.

كما اهتم عبد المؤمن بالتنظيم شتون الحرب والجهاد في حربه مع التورمان، وحين استيلانه على تونس والمهدية وطردتهم منها.

بلغ عدد الجيش المرحدي في إحدى معاركه ضد التورمان ستين ألفاً من المشاة فضلاً عن الفرسان وقسم الجيش إلى أربعة أقسام يفصل بعضها عن بعض أثناء السير مسيرة يوم.

ويبدأ الجيش سيره بعد صلاة الصبح قبل شروق الشمس وحتى الظهر، ويبدأ السير بعد ثلاثة قرعات من طبل صنخم من خشب رنان يسمع من مسيرة يوم.

وكل قبولة تحت علمها الخاص. ثم يتوقف الجيش استعداداً للسير في

لليوم التالي، وذلك لتنظيم تموين الجيش وإمكان التصرف والسيطرة على للجنود ويحمل العتاد من خيام وخلافه على ظهر الجمال والدواب ويقود للرعاية قطاع من الثيران والأغذية لحاجة الجندي إلى الطعام.

ويحيط بعد المؤمن من بعض الولاة والشيوخ والقادة وهم فوق ظهور جيادهم ومسلحون وجماعات الموسيقى العسكرية والولاية الفضائية والوزراء والكتاب ثم يأتي الجندي. ولكن مكانه ولا يجوز لأحد مغادرة مكانه بالمعسكر دون إذن من القائد، ثم توزع الأقواء بالتساوي بين الجميع.

واهتم عبد المؤمن بالمشاة المدرية المسلحة أكثر من الفرسان إذ أن قرفل المشاة هي التي تحسم المعركة عادة.

كما اهتم عبد المؤمن بجمع المترائب من المدن فجمع المعلومات من مكان كل مدينة، وثرواتها وغلالتها لإمكان تحديد ما يقرر عليها من ضرائب.

فالتغير تقدم البحارة والسفن والصحراوية تقدم الفرسان والخيول والحمير وللجمال، ويقدم البعض الآخر الجندي المشاة وأنواع الأسلحة. ومن توقع عليه عقوبة لم يفرض عليه صنف ما هو مطلوب منه عادة.

كما أنشأ عبد المؤمن مصانع السلاح فتصنيع القسبي والنشاب والخوذات والدروع والسياه وغيرها من أنواع الأسلحة الأخرى وخصص المخازن لحفظ السلاح لحين الحاجة إليه.

وفي عام ١٩٥٥/٥٥٥٥م انتوى عبد المؤمن من تطهير جميع الأراضي الأفريقية. ثم أعد نفسه للتجهيز للجهاد ضد الأعداء في بلاد

الأندلس.

وفي عام ١١٦٣/٥٥٥٨ م توفي عبد المؤمن وهو في الثالثة والستين، وقد حكم ثلاثة وثلاثين سنة. وأخفى خبر وفاته حتى دخل يوسف بن عبد المؤمن إلى المغرب قادماً من أشبيلية.

ازدهرت العلوم والفنون في عهد عبد المؤمن الذي اشتهر بزيارة علمه فضلاً عن شجاعته وبعد نظره وكان حاضر الديبيه يتحمل المشاق والشدائد بروح عالية ويعمل إلى الزهد والتلشف، غايتها الجهاد ضد أعداء الإسلام وخلف أمبراطورية تتد من المحيط إلى غرب حدود مصر، ومن المحراء الكبرى إلى بلاد الأندلس.

فتح عبد المؤمن جميع تلك البلاد خلال عشرين عاماً بعد استيلائه على مراكش. وبلغت دولة المرحدين أوج عظمتها في عهد يعقوب المنصور عام ١١٨٤/٥٥٨٠ م فقد توغلت جيوشه في أفريقيا وفي إسبانيا وخاصة معركة الأزرق في الأندلس وهي معركة شبيهة بمعركة الزلاقة وباستباب الأمن والنظام اللذين أفرجاهما الموحدون اتسعت الحصارة الأندلسية بظهور جليل فاز ذهرت الصناعة وشهدت القصور الوائنا غاية في الجمال المعماري وجمال النقوش والزخرفة وراجت التجارة. إلا أن إتساع رقعة دولة الموحدين وضعف الرقابة على حكام المقاطعات الثلاثين ساعد على تمكن تلك المقاطعات من الانفصال عن الدولة فانساحت أفريقيا (تونس).

ثم فقدت الأندلس قوتها بعد معركة العقارب عام ١٢١٢/٦١٠٩ م وبدأ العد التنازلي لدولة المرحدين فدخلت في دور التفكك والضعف حتى سقطت فاس في يد بني مرين.

وفي عام ١٢٦٥ـ/٥٦٦ م احتل بنو مرين مراكش عاصمة الدولة
الموحديّة فانهارت دولة الموحدين وظهرت الدولة المربيّة.

دولة بنى مرين (٦٦٨ـ/١٤٧٠ـ٨٧٦ـ/١٤٧٢)

كان بنو مرين من القبائل الزناتية التي لم تنشأ الخصيّو نتفوز الموحدين على عكن لبنياء عمومتهم بني عبد الواد. ولهذا انّزروا الهجرة إلى الصحراء جدوا على الدخول في طاعة المرحدّين. وكانت حياة الصحراء توافقهم لأنّهم من البدو الرحل. وكانوا يرحوون في فصل للربيع إلى شمال المغرب الأقصى لرعايائهم وموالיהם في قصص شهوراً من السنة نازلين بين فجيج وملوية. حتى إذا اقترب فصل الشتاء رجعوا إلى بلادهم (من زاب أفريقيا إلى سجّلما). .

وفي عهد الخليفة الموحدي المستنصر دخل عبد الحق أمير بنى مرين بجامعة في وادي تازا وشرقي وادي سيرو واشتغل معه الموحدون وفي عام ١٢١٦ـ/٥٦١٣ م فهزّمهم عبد الحق وتوفى عبد الحق خلفه ابنه عثمان الذي تمكن من إخضاع بني رياح الهملاية وتوفي خلفه آخره محمد وحاربه الموحدون في مكاشة فهزّمهم وتوفى عام ١٢٤٩ـ/٥٦٤٣ م خلفه أبو يحيى بن عبد الحق وهو الذي استطاع تأسيس دولة بنى مرين في المغرب الأقصى. فهو الذي حارب للموحدين وغزا مكاشة ثم اتجه إلى فاس ودخلها سلما، وحارب بني عبد الواد هزمهم في عهد يغمرا سن زعيمهم وانتصر عليهم المربيّين. ثم أسرع أبو يحيى إلى فاس للقضاء عليهم عهدهم مع بنى مرين، ولكنهم طلبوا الصفّع عليهم فقبل ذلك منهم ثم اتجه أبو يحيى إلى سلا والتحق مع الموحدين فيها وحقق النصر عليهم.

ثم واجه جيوش بنى عبد الراد وهو متوجه إلى درعة فهزمهم وأخضع
درعة لسلطان المربيين.

وفي عام ١٢٦٨هـ / ١٩٥٨ م توفي أبو يحيى بن عبد الحق ثم تولى قيادة
المربيين يعقوب بن عبد الحق الذي في عهده بسطت الدولة المربية
سلطانها على المغرب الأقصى في عام ١٢٦٨هـ / ١٩٥٨ م وهو الذي دفعه
ليمانه تلبية نداء الأندلس إلى الجهاد ضد أعداء الإسلام بالأندلس إلى
تجهيز جيش من ثلاثة آلاف مقاتل فضلاً عن كتاب المقاتلين من بنى
مررين والمنطوعين من أهل المغرب وتمكن المسلمين في غرناطة بقيادة
ابن الأحمر بفضل نجدة بنى مررين لهم من مراجحة التنصاري وصدتهم عن
أراضيها.

وازدادت الدولة المربية قوة بعد ماصار لها اسطولاً كبيراً في دار
الصناعة بمدينة سلا في عهد السلطان أبي الحسن على.

استرد السلطان أبو الحسن على (١٣٤٨-١٣٢١هـ) استرد
جبل طارق من الأسبان بعد استيلائهم عليه في عام ١٣٠٩هـ / ١٩٩٧ م ثم
أعاد فتح الجزائر وتونس عام ١٣٣٦هـ / ١٩٢٦ م وقد أسس المربيون مدينة
فاس الجديدة وطنان.

وأنشأوا المدارس والمعاهد العلمية في جميع أنحاء المغرب وعادت بذلك
البلاد التي صناعت من المغرب إيان حكم الموحدين وحظيت المغرب بروح
علمية وأدبية في العهد المربي.

لقد ظهر في عهد أبي الحسن أزهى عهود بنى مررين ذلك السلطان

القدير الذى تمكن من بسط سلطانه على جميع المغرب الأقصى، مع نمو وازدهار العمران، حتى فاق حكام عصره وحظى بعكانة مرموقة.

وعرف عن أبي الحسن حبه لسماع القرآن وكان يحفظ أجزاء كثيرة منه. وقرب العلماء وبلغ في الکرامات وأهتم بأحوال الرعية واستمع إلى شكاواهم وعمل على اصلاح الأحوال وعلى الاجتماع يزعماء القبائل من عرب وبربر ومعاونتهم في حل مشاكلهم.

ثم اشتعلت الحروب بين بني مرين وبني عبد الواد، وتقدّم الدولة المرinية المغرب الأوسط ويقود إلى حدودها الأولى. وبذلك تمكن الأسيان من اكتساح الأندلس باستثناء غرناطة قلعة الصمدود. كما احتل البرتغاليون معظم موانئ المغرب تباعاً.

وتبليغ الدولة المرinية غاية الضعف فيتوى الأمر الوطاسيون بدو واطس (١٤٧٠-١٥٠٠ـ ٩٥٧ـ ٨٧٥) وهم فرع من بني مرين بدأ ظهور بني واطس حين قام أبو زكريا بحى الواطسي حاكم إقليم سالى بالولاية على الطفل المريني عبد الخالق أبي سعيد عثمان المريني. ففي عام ١٤٣٧ـ ٥٨٤م ظهر الخطير البرتغالي عندما هاجم البرتغاليون طنجة فقام أبو زكريا الواطسي بالدفاع عن المدينة حتى انسحب البرتغاليون مهزومين.

ثم قام الخلاف بين بني واطس والقبائل في المناطق الصحراوية ثم تمكن الوطاسيون بقيادة محمد الشيخ من بسط سلطانهم على مراكش الشرقية وجعلوا مدينة فاس عاصمتهم.

وفي ظل تلك الظروف المضطربة تمكن البرتغاليون من النزول إلى

منجة واحتلالها دون مقاومة في عام ١٤٧٦هـ / ١٨٧٦م ولم يستطع الوطاسيون في عهد محمد البرغالي وأبو العباس أحمد من مقاومة البرتغاليين الذين استولوا على كل الساحل المراكشي حتى مضيق جبل طارق. ثم خاد الصراع بين الوطاسيين وبين قبائل بني سعد في الجنوب وقد تحكم السعديون بزعامة الشريف محمد المهدي من الاستيلاء على فاس ولسقاط أسرة بني واطس في عام ١٥٤١هـ / ١٩٤٨م.

السعديون (٩٦٩-١٠٦٦هـ / ١٥٥٣-١٦٥٥م)

بعد أن استقر على كل أقاليم مراكش، شرعوا في مقاومة الأتراك الذين كانوا ينزلون في بلاد أفريقيا والمغرب واستولوا على تلمسان في غرب الجزائر، ولكن يمكن الشريف محمد المهدي من تمويل جيشه لجأ إلى سكان الجبال يجمع منهم الخراج، كما فعل مع سكان السهول. فانهزمت المعارضة الفرصة لهم من بقايا المرابطين ومن أنصار بني واطس والأتراك وثاروا في وجه السعديين.

وهذا أضطر السعديون إلى مواجهة تلك الورقة باستخدام أشد قوة لهم فقاموا بطرد المرابطين من الزوايا التي يقيمون فيها وقتلوا كل من عارضهم. ثم انتقل السعديون من فاس إلى مراكش وجعلوها عاصمة للدولة السعدية.

اتجه السعديون في سياستهم إلى محاربة من يعاديهم حتى ولو كانوا من المرابطين أو الأتراك وعملوا على التحالف مع الأسبان لكن يمكننا من مواجهة التحالف الداخلي الذي تزعمه الأتراك العلمانيون فحاصر محمد المهدي فاس واستولى عليها في عام ١٥٣٩هـ / ١٩٥٢م وطرد منها بوجحسن

الوطاسي الذي مكنته العثمانيون منها. وبذلك صار المغرب الأقصى تحت سلطان السعديين.

وتولى بعد محمد المهدي أبهه عبد الله الغالب ١٥٧٣-١٥٥٧ هـ / ٩٨١-٩٦٥ م وتابع عبد الله سياسة أبيه في القضاء على الخطر العثماني، فعمل على التحالف مع الفرنسيين في مواجهة أعدائه في الداخل، وأنشأ مدرسة ومسجدًا بالإضافة إلى كثير من الإنشاءات التي أقامها في عاصمة ملوكه.

وفي عام ١٥٤٧ هـ / ٩٨١ مات الغالب وخلفه ابنه محمد المتوك (١٥٧٣-١٥٧٥ هـ / ٩٨٢-٩٨١) عندما تولى محمد المتوك الحكم، وظهر مناقسان له مما عمه عبد الملك وأحمد وقد عاشا في ظل الحكم العثماني في الجزائر وعملا على مناهضة ابن أخيهما محمد المتوك ومنافسته في الحكم، ونجح عبد الملك بن المهدي في إبعاد السلطان محمد المتوك عن الحكم بمساعدة العثمانيين، كما عقد حلفاً مع الأسبان وانسحب محمد المتوك متوجهًا إلى البرتغال.

عمل عبد الملك السلطان الجديد للمغرب على تجديد بلاده بمعونة العثمانيين الذين أعجب بهم عبد الملك وقد يابع شعب المغرب عبد الملك الذي لقب بالمعتصم (١٥٧٥-١٥٧٧ هـ).

لما تولى المتوك إلى البرتغاليين لنصرته على عميه عبد الملك واسترداده مملكته والتقي الجيش البرتغالي مع الجيش المغربي في عام ١٥٧٨ هـ / ٩٨٦ م وكان الجيش المغربي مكوناً من فرق منتخبة أرسلها إليه حكام الولايات المختلفة بداعي الحفاظ على الدين فكانت النتيجة لخسارة المغاربة على

البرتغاليين انتصاراً ساحقاً وقتل المتكوك في المعركة كما مات السلطان عبد العالك خلال المعركة بسبب مرض ألم به. وتولى السلطان أحمد بن الغالب حكم البلاد ولقب بالمنصور.

السلطان أحمد بن الغالب (المنصور) (٩٨٦-١٤٠٣هـ / ١٥٧٨-١٦٠٣م).

اهتم المنصور بالتجارة واحتكر الصناعة وجمع الضرائب وقضى على التهريب وعرف بالعزم والذراهة في إدارة البلاد، فقضى على الثورات التي قامت بها جماعات المعارضة المت分成ة بالشدة مع شعبه ولقفلها لحكام القبائل فنظم حكومة مراكش التي عرفت بالمخزن وهي مكونة من اتحاد القبائل البربرية يديرها جهاز مركزى هو حكومة المخزن عن طريق الجيش ورجال الحكم وهى التي تفرض الضرائب وتقسم الأراضى.

فالإدارة الحكومية تتكون من إدارة مراكش (المخزن) وهى المشرفة على الأراضى التي تسكنها القبائل وتحصل منها الضرائب ثم مراكش المستقلة (السبا) وهى التي يعادل بنفوذها نفوذ السلطان نفسه.

كما أنشأ السلطان الديوان ويضم رجال الدولة ومن يختارهم من ذوى النفوذ ويجتمع مرة فى الأسبوع للنظر فى شؤون الدولة ومصالحها.

كاً أعاد تنظيم الجيش وأخذ من الأتراك نظامهم الحربي، وضم إليه أعداداً من الأسرة من مختلف الجنسيات من الأندلسيين والزنوج ومن الأتراك اللاجليين ومن مسيحيي أوروبا على أنه خصص من يقوم بتدريتهم بما يتفق مع النظام المغربي والنظام التركى.

أرسل المنصور جيشاً منخماً في نهاية القرن العاشر الهجري السادس

عشر العيلادى إلى السودان والذى تمكن من الوصول إلى النيل ولحلالها
وجمع المنصور من وراء ذلك ثروات ملائة من الذهب والعيديد.

وبتبادل المنصور التجارة مع الانجليز فقدم لهم الذهب والسكر والكبريت
مقابل الأقمشة التي كانوا يرسلونها له.

تناقضت كل من إنجلترا وأسبانيا على مصادقة المنصور فتشكلت شركة
البرير التجارية فى لندن ١٥٨٥ هـ / ١٩٩٣ م لعقد معاهدة بين مراكش
والقسطنطينية من ناحية وإنجلترا من ناحية أخرى لولا أن المنصور كان
متخوفاً من العثمانيين فلم يتم تلك المشاركة.

وعملت أسبانيا على صداقه السلطان المنصور فتنازلت له عن مدينة
أرزيلا فى عام ١٥٨٩ هـ / ١٩٩٨ م.

لقد ازدهرت الحياة فى عهد المنصور فى بلاد المغرب وتنمى العمران
فى البلاد وفى عام ١٦٠٢ هـ / ١٩١٢ م توفي المنصور ويسبب مقام من
صراع بين أولاد المنصور الثلاثة على السلطة انهار نفوذ مراكش، فقد قام
مولاي فارس والشيخ الملقب بالمؤمن باتفاق أخيه زيدان فى مراكش
وقتل فارس فى عام ١٦٠٩ هـ / ١٠١٨ م وقتل زيدان أخيه المؤمن فى
عام ١٦١٢ هـ / ١٠٢٢ م بسبب تنازله عن لارش للأسبان.

ويقى زيدان يحيط نفوذه على مراكش دون قائل الذى بقيت مستقلة
عن سلطانه، ولم يحسن زيدان فى سياساته فى الدولة حين انفق أموال
الدولة بإسراف فى بناء المساجد. وأهمل ماعدا ذلك فضاعت قوة الدولة .
ولما مات السلطان زيدان عام ١٦٢٨ هـ / ١٠٣٨ م تنازع أولاده عبد الملك

والوليد ومحمد شيخ. وفي عام ١٠٦٥هـ / ١٦٥٤ تولى محمد شيخ وبرفاته انتهت الدولة السعودية وزاد نفوذ الطرق الصوفية التي آلت إليها السلطة في حفظ البلاد.

العلويون (١٠٦٥ - ١٢٤٦هـ / ١٦٥٤ - ١٨٣٠م)

عاشت الأسرة الطورية في منطقة سجلماسة ونالوا مركزاً طيباً بين أفراد تلك المنطقة لقربهم إلى البيت النبوي ولما اتصفوا به من سمعة حسنة في معاملتهم وتزاهتهم. حتى أن الرشيد مؤسس الأسرة الطورية عرف بلقب مولاي الذي ناداه به الأهالي حباً وكراهة لشخصه ولتبه الشريف.

كان الشيخ بورحسن شيخ زاوية خليج يسطن نفوذه على منطقة امتدت من سوس إلى تافيلالت دون مغارستة، ثم بدأ بورحسن يوسع نفوذه في مناطق الصحراء الجنوبية فاستولى على سجلماسة ودرعه، وببدأ الصراع بين العلويين وبورحسن أدت إلى انتصار العلويين وسط ملوكهم على سجلماسة ودرعه وأقليم السوس. تم بدأ العلويون يوسعون منطقة نفوذه حتى اتجهوا إلى مراكش وتمكنوا من النزول على ماحلها الشمالي. وفي عام ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م حارب مولاي الشريف قوات الشيخ ارارس ودخل قاس وأعلن نفسه سلطاناً وأصبح العلويون يسيطرون على منطقة أنجاد وتازا وتافيلالت، والريف وقلنس. ثم استمر العلويون في توسيع رقعة نفوذهم فيعبروا بالحملات الحربية إلى الغرب لاخضاع إقليم ملاحجة ثم دخلوا مراكش عام ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م وأقام الشريف الرشيد القاطر والحسون على نهر سبو ويبعد أربعة كيلومترات من قاس، وأقام تحصون في مراكش الشرقية، وبنى مدرسة.

وفي عام ١٦٧٢ـ/١٠٨٢ م ترقى الشريف الرشيد بعد جهوده في توحيد المغرب الأقصى . وخلفه أخوه اسماعيل (١٦٧٢ـ/١٣٩١ م) اهتم السلطان اسماعيل بالتعمير فأقام المنشآت في مراكش وبلغ به حب الاقتداء وجمع الأموال إلى مصادرية الأموال من ذوى اللذاء في البلاد .

عمل على توطيد سلطاته فواجه المؤامرات التي دبرت ضده بشجاعة وثبات واستطاع أن ينغلب على معارضيه من أفراد أسرته ومن أخيه هارون في تافيلالت وأبن أخيه أحمد بن محرز في مراكش والسودن فضلاً عن المؤامرات التي دبرتها ضد الدولة العثمانية .

وقامت الثورات في ولايات الغرب حيث قام المرابطون بؤيدهم العثمانيون في ويلا وامتدت الثورات إلى تافيلالت، وحرضوا القبائل العربية في شأنه .

وظل السلطان اسماعيل يجاهد ضد المؤامرات والثورات حتىتمكن من التغلب عليها جميعاً . لم يتنه عن ذلك مرضى الشهور والسنين في طريق الكفاح حتى استقرت لحوال البلاد واستتب الأمن في ريوسها ثم شرع السلطان اسماعيل بعد ذلك في تكرين جيش منظم وجعل غالبية جنده من السودان وقام بتدربيهم وضم إليهم أسرى المسيحيين والفرسان والمنطوعين من الشباب الأندلسى .

وقد شكلت غالبية من هذا الجيش من جماعات من الأطفال الصبيان دون من المعاش، ويبعث بهم إلى مشتري الرمل (من مكناس وسالى) ويتم تطليعهم حرفة في عدة ملوانات قبل أن يبدأ تدريبيهم العربي . وخصصت

أعمال التدبير المنزلى للبنات ومهن من يتعلمن الموسيقى ويتم تزویج الفتیان فی سن الخامسة عشر.

أما جهة التمویل لهذا الجيش من الأطفال فهم جماعة المعهدین يجلبونهم من منطقة حوض النیجر وجنوب الصحراء من مركز تواجدهم فی تمبکو ويدعون فی مشتری الرمل.

أما نسل هذه الجماعات من شباب مشتری الرمل فهو مصدر الجيش النظامي.

بلغ عدد الجيش النظامي فی عهد السلطان اسماعیل مائة وخمسين ألف جندی نصفهم من مشتری الرمل ومن مكانس خمسة وعشرون ألف جندی غير من فی القصبة وشكّلت جماعات وجند مکافم الحرمن الخاص للسلطان وهو يشرف ويدیر میاسة الدولة. ثم تحول بعضی الوقت إلى مجرد حرمس خاص للسلطان بغير نفوذ.

وقد تمكّن السلطان اسماعیل بهذا الجيش من حراسة الشواطئ خاصة فی ناحية المیحط حيث كان قادة هؤلاء الجناد من ذوى الصرامة فی القيادة بحيث يیسطون نفوذهم على الجناد ويطبعونهم طاعة مطلقة تملکهم مذاالت على قراصنة البحار بغير مهادنة أو ضعف.

وهكذا استطاع السلطان اسماعیل استرداد البلاد التي وقعت فی يد الأسبان وغيرهم من البرتغالیین.

واستولى على المعمورة فی عام ١٦٨١/١٠٩٢ م ثم استولى على طنجة ونقل إلیها سکان منطقة الريف ثم استولى على لارش فی عام

١٦٨٩/٤١١٠١ وأرزيلا في عام ١٦٩١/٥١١٠٣ وذلك بمعط المغرب
نفوذه على الشاطئ الأطلسي.

ثم عمد السلطان اسماعيل إلى موانئ البحر المتوسط وتمكن من
الاستيلاء على مليلة.

ولم يتمكن السلطان اسماعيل من مواجهة العثمانيين في المغرب
الأوسط (الجزائر) لقوة المدفعية العثمانية فاضطر إلى مهادنة العثمانيين
وتكلبت الحدود معهم.

ثم شرع اسماعيل في مواصلة الجهاد وسط نفوذ الدولة المغربية (لأن
الظروف الداخلية أجبرته على التوقف).

وعلى الرغم من النشاط التجارى الكبير فى البلاد المغربية فلن
السلطان اسماعيل طالما شارك رجال البحر من القراءلة فى غدائهم
يدعى نصل إلى العشر وأحياناً الخمس.

وعاشت مدينة فاس كمصدر لتجارة المغرب بأنواعها من جلد
وأصباغ وأقمشة، والمربيين للقطاء والزيوت العطرية وأنواع الأسلحة
والدوات القذال.

كما كان لمراكش دور هام في الحركة التجارية وكذلك تارونت وعلج،
وكانت مكناس أنشط في تجارة والقشع والدحاس وقد فضلاها السلطان
اسماعيل على غيرها من المدن.

كما كانت تافلت تستورد كثيراً مما يحتاجه العرب، وغيرهم من
السكان بمقاييسهم بتجر الأدف والعام وربّ النعام والبلح حيث حركة

القوافل النشطة عبر تلك المدينة إلى السودان.

كما شارك الرحالة والقناصل في الأعمال التجارية خامسة مع التراصدة من رجال البحر. وقد كانت المدافسة التجارية بين إنجلترا وفرنسا ثم نظبت إنجلترا على فرنسا في عام ١٧٢٢هـ/١٧٤٠م وأخذ الإنجليز مكان المصادر.

اهتم السلطان اسماعيل ببناء القصبات وخاصة في مراكش، وتعلوى القصبة عادة على أراض زراعة ومخازن ومسجد ومساكن وحراسة وتحاط بالأمسار والأبراج للمرافقية وقد ساعدت تلك الأبنية على الاستقرار والأمن في ربوع البلاد. فضلا عن خضوع المرابطين والعثمانيين للنظام الذي فرضه السلطان.

وتوفي السلطان اسماعيل عام ١٧٢٧هـ/١٩٤٠م وقد اعقب وفاة السلطان انهيار نظام الدولة الذي خططه السلطان حيث برع المرابطون والعثمانيون ورؤساد القبائل وعمل الجميع على استرداد حرريتهم في العمل فاضطربت أحوال البلاد.

ثم ظهر أحد أحفاد السلطان اسماعيل وهو محمد بن عبد الله الذي ساهم في ولاية أبيه في تنظيم الجيش ونشر الأمن وكان قد أظهر كفاءة لبان حكمه لمنطقة مراكش وأسفى في تكاله. أظهر محمد بن عبد الله ١٧٥٧هـ/١٩٧١م نشاطاً جيداً قام بتشييد الأبراج والمحصون حول المدن المغربية والعتاد الحربي، وزاد من عدد سفن الأسطول وخصص فدرات لتدريب الجنود على القبائل وحارب البرتغاليين واسترد ميناء المعمورة شمالي سلا في عام ١٧٦٩هـ/١٨٤٢م وعمل على توثيق صلاته بالدولة

العثمانية، وفي عهده اتسعت التجارة الفرنسية اتساعاً كبيراً، ومد كثير من الأجانب إلى البلاد والإقامة في الموانئ وفي عام ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م توفي السلطان محمد بن عبد الله وخليفة ابنه يزيد في عام (١٢٤٠هـ/١٧٩٢م) وكان عهده مليئاً بالإضطرابات وخلفه آخره سليمان (١٢٨١هـ/١٨٢٢م) ودخل في حروب في المناطق الشمالية وفي الجنوب للاستيلاد على مراكش التي استولى عليها عام ١٢٠١هـ/١٧٩٥م وسيطر على الجنوب على مدى عشرين عاماً. إلا أن ثورات البربر في أطلس الوسطى والصراع الداخلي دفع بالبلاد إلى التحول من الهجوم إلى الدفاع عن استقلال البلاد أمام الأطعام الخارجية.

وتولى بعده ابنه عبد الرحمن (١٢٣٨هـ/١٨٥٩م-١٢٧٦هـ/١٨٢٢م) وحارل استعادة مكانة الدولة إلى ما كانت عليه من قبل إلا أنه تعذر عليه ذلك لقوة الأساطيل الأوروبية حتى أن فرنسا استولت على مراكش عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م فتحولت الأحداث إلى غير صالح البلاد، وانتهى الأمر إلى أن فقدت البلاد استقلالها.

المغامرات الاستعمارية ضد المغرب

ظهرت المطامع الأوروبية وخاصة الفرنسية في شمال أفريقيا وبصفة خاصة المغرب الأقصى أوائل القرن الثالث عشر المجري التاسع عشر الميلادي، ويرجع ذلك الموضع الاستراتيجي حيث سيطر المغرب الأقصى على مدخل البحر المتوسط بموانئه ومنته الساحلية مثل طنجة وسبتة ومليلة.

كما توجد غرب المغرب الأقصى على ساحل الأطلسي موانيه الهمامة

مثل القليطرة والدار البيضاء وأجادير الأمر الذي دفع الدول الأوروبية إلى التناقض في الدخول إليها بوسيلة ما ، إلا أن يقظة الشعب المغربي جعلته يقاوم محاولات تلك الدول الطامنة وظل يحافظ على استقلاله على مدى قرون من الزمان .

لقد قاوم المحاولات الأوروبية الاستعمارية وفي سبيل ذلك حشد الجيوش لمعارضة التحركات العدائية من الأسبان والبرتغال وصدتهم ودمتهم في معارك الدار البيضاء وساحل السويس وفي أجادير وفي معركة ولدي المخازن في عهد الدولة السعودية في عام ١٩٨٦هـ / ١٥٧٨م حيث الحق هزيمة ساحقة بالبرتغاليين .

كما تمكن الجيش المغربي في عهد الدولة العلوية استعادة الجديدة والمهدية من البرتغال والعرائش وأحيلًا من الأسبان كما استرد طلحة من الانجليز .

وعلى الرغم من احتفاظ المغرب الأقصى باستقلاله حتى بعد ظهور العثمانيين في الشمال الأفريقي إلا أن تحول الدولة العثمانية من القوة إلى الضعف أدى إلى ظهور أطماع الدول الأوروبية في الدولة العثمانية وتدبیر المؤامرات لاحتلال الشمال الأفريقي .

احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٤٦هـ / ١٨٣٠م فدخلت مراكش حرب مع فرنسا حتى عام ١٨٤٥هـ / ١٨٢١م وساندت الأمير عبد القادر، واحتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١هـ / ١٢٩٩م . وانطلقت الدول الأوروبية في مغامرات استعمارية عقب مؤتمر فيينا عام ١٨٣١هـ / ١٨١٥م وقام سباق بينها لاحتلال بقية الأقطار العربية وهذا أدرك المغرب أن عليه مواجهة تلك

الأخطار فاتجه إلى مدينة تلمسان فدخلها ليمنع الفرنسيين من احتلالها وأمتد الأمير عبد القادر الجزائري بالسلاح لمحاربة فرنسا وواجهت فرنسا الموقف بهجوم معاذل على بلاد المغرب فدخلت مدينة وجدة واحتفل الموقف بين فرنسا والمغرب وبدأ في مهاجمة طنجة والصويرة ، واصطبغ المغرب إلى عقد صلح مع فرنسا وبذلك بدأ التدخل الأوروبي الاقتصادي ونشأت المراكز التجارية في مدن الساحل وأثر النفوذ الفرنسي في الأحوال التجارية والمالية للبلاد المغربية في الداخل .

ثم بدأت أسبانيا تظهر أطماعها في الأخرى في بلاد المغرب فافتتحت مشكلة مع المغرب عند حدود سبتة التي يحدها الأسبان وأعلنت الحرب على المغرب في عام ١٨٥٩هـ / ١٢٧٦ م وانتهت بهزيمة الجيش المغربي ولاحتلال نظوان وانتهى الأمر إلى عقد صلح تقوم المغرب بموجبه بسداد مبلغ عشرين مليون ريال مقابل أخلاه مدينة نظوان ثم قامت فرنسا باحتلال المغرب، خاصة بعد بسط سلطانها على تونس بعد العجزاوي وشرعت في إثارة الفتن في داخل البلاد حتى تجد مبرراً لتدخلها .

وفي عام ١٢٢٦هـ / ١٩٠٨ م استطاعت فرنسا أن توزع إلى عبد الحفيظ شقيق السلطان عبد العزيز وعممه في مراكش إلى تولي عرش البلاد بدلاً من أخيه ونفحت خطة فرنسا وصارت مراكش منذ ذلك الوقت تحت الحماية الفرنسية الحقيقة ثم أمتد النفوذ الفرنسي إلى مصلحة الجمارك المغربية وانتهى موقف السلطان عبد الحفيظ بالتنازل عن الحكم لابنه يوسف نتيجة الحماية الفرنسية بموجب اتفاق وقعه مع فرنسا في عام ١٢٣٠هـ / ١٩١٢ م .

ثم عادت الثورات الداخلية ضد القوات الفرنسية حتى عام ١٩١٢/٥-١٣٤٠ م.

اتجه النظام الاستعماري الفرنسي في المغرب بنفس الاتجاه الذي سار عليه في الجزائر وتونس فيستولى على الأراضي الزراعية ويملكها للفرنسيين وحق نزع الملكية للملكلة العامة، وفرض تسجيل الأراضي مقابل رسوم معينة ومن لم يسجل أرضه تنزع ملكيته لها.

كما عهدت فرنسا إلى إدخال المصنوعات الفرنسية للبلاد للقضاء على الصناعات المحلية. كما عامل الفرنسيون أهالي البلاد بالأسلوب يختلف عن معاملتهم للفرنسيين المقيمين بحيث فضلوا الأجنبي الدخيل في حق تكوين النقابات بينما حرم منها العمال الوطنيون، ومدحت الشركات الفرنسية الامتيازات التي حرم منها الوطنيون، وطبق في كثير من التواحي الامتيازات التي تملع للفرنسي مثل البدلات للسكن والغلاء وبدل التخصص في حين حرم منها المواطن المغربي.

وشارك الأسبان الفرنسيين في احتلال المغرب بعد أن فرضوا القادة الفرنسيين على الجيش المغربي بحيث صارت تحت سيطرتهم وبعد أن أطمانت القيادة الفرنسية إلى خطتها تلك، فوجئ الفرنسيون باتفاقية مغربية دفعت بالجند المغاربة إلى الانقضاض على القادة الفرنسيين الكبار الذين بلغ عددهم ثمانية وستون صابطاً وقتلوا عن آخرهم، ثم قاموا بالتجهيز إلى فاس واستولوا عليها وانضم الثوار من الأهالي المغاربة الذين عددهم نحو عشرين ألف مقاوم ثم اشتغلت البلاد بالثورات ضد الفرنسيين وظل الصراع مستمراً بين المغاربة والمحتل الفرنسي حتى امتد إلى منطقة

للسُّنَّا لِتَحْكُمُهَا أَسْبَانِيَا.

وَقَاتَتْ مُعْرِكَةً بَيْنَ الْمُغَارِبَةِ وَالْقَوَافِتِ الْأَسْبَانِيَّةِ فِي عَامٍ
 ١٩٢١/١٣٤٠ مَ تَمَكَّنَتْ خَلَالُهَا الْقَوَافِتُ الْمُغَارِبَةُ الَّتِي لَا يَزِيدُ عَدْدُهَا عَنْ
 الْأَلْفِ بِضَمْنِهِ عَدْدِ الْقَوَافِتِ الْأَسْبَانِيَّةِ قَدْ بَلَغَ خَمْسَةً وَعِشْرُونَ أَلْفَ مَقَائِيلَ
 مَجَهُوزِينَ بِأَحَدُثِ الْأَسْلَحَةِ وَلَكِنَّ الْمُعْرِكَةَ اَنْتَهَتَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ بِتَغلُّبِ
 الْقَوَافِتُ الْمُغَارِبَةُ عَلَى الْقَوَافِتِ الْأَسْبَانِيَّةِ فِي مُعْرِكَةِ أَنْتَرَاكَ، دَفَعَتْ نِيَّةَ مُعْرِكَةِ
 أَنْتَرَاكَ بِفَرَنْسَا إِلَى الْإِسْرَاعِ بِمَدِيدِ الْعُوَنِ إِلَى اسْبَانِيَا خَشْيَةً أَنْ يَزُدِّيَ الْإِنْتَصَارُ
 الْمُغَارِبِيِّ الْأَخِيرَ إِلَى امْتِدَادِ الْمُقاوَمَةِ ضَدِّ فَرَنْسَا.

وَفَعْلًا اَنْتَهَتِ الْجَيُوشُ الْفَرَنْسِيَّةُ وَالْأَسْبَانِيَّةُ الَّتِي تَمَكَّنَتْ مِنَ التَّغلُّبِ عَلَى
 الْمُقاوَمَةِ الْمُغَارِبِيَّةِ فِي عَامٍ ١٩٢١/١٣٤٥ مَ.

لَقَدْ ظَلَّ الْمُغَارِبُ فِي صِرَاعٍ مَعَ الْمُسْتَعِمرِ الْفَرَنْسِيِّ وَاسْتَمْرَ النَّضَالُ بَيْنَ
 الْسُّلْطَانِ الْمُغَارِبِيِّ وَالْمُقْيِمِ الْعَامِ الْفَرَنْسِيِّ، وَتَولَّ عَرْشَ الْمُغَارِبِ خَلَالَ فَرَةَ
 الْحَمَاءِيَّةِ ثَلَاثَةً أَوْلَاهُمُ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَفيَظُ الَّذِي عَمِلَ عَلَى مُقاوَمَةِ السِّيَاسَةِ
 الْفَرَنْسِيَّةِ ثُمَّ اَمْتَنَعَ إِلَى التَّنَازُلِ عَنِ الْعَرْشِ عَامٍ ١٩١٣/١٣٣٢ مَ ثُمَّ
 السُّلْطَانُ يُوسُفُ الَّذِي تَولَّ الْحُكْمَ مِنْذَ عَامٍ ١٩١٣/١٣٣٢ مَ حَتَّى وَفَاتهُ
 فِي عَامٍ ١٩٤٦/١٣٤٦ مَ وَتَولَّ عَرْشَ الْبَلَادِ فِي نَفْسِ الْعَامِ السُّلْطَانُ
 مُحَمَّدُ الْخَامِسُ الَّذِي دَخَلَ صِرَاعَ مَعَ الْمُسْتَعِمرِ الْفَرَنْسِيِّ فَلَجَأَتْ فَرَنْسَا إِلَى
 نَفِيَّهِ إِلَى جَزِيرَةِ كَرْمَيْكَا فِي عَامٍ ١٩٥٣/١٣٧٣ مَ ثُمَّ اَنْتَهَى الصِّرَاعُ بَيْنَ
 فَرَنْسَا وَالْسُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْخَامِسِ إِلَى إِعادَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْخَامِسِ إِلَى
 عَرْشِهِ وَيَدَلَتْ فَرَنْسَا الْمُفَاوِضَاتِ فِي عَامٍ ١٩٥٦/١٣٧٦ مَ الَّتِي اَنْتَهَتْ
 بِاسْتِقْلَالِ مَرَاكِشَ وَتَمَّ تَعْدِيلُ اسْمِ دُولَةِ مَرَاكِشِ إِلَى دُولَةِ الْمُغَارِبِ.

وهكذا بدأ المغرب بعدهما عادت إليه سعادته في تكريين جيش قومي في
ظل حكمة وطنية مستقلة.

sharif mahmoud

الباب الخامس

موريتانيا

مورياتيا منذ الفتح العربي حتى قيام الجمهورية

- * الرصف الجغرافي
- * السكان
- * البرانس
- * الملائين
- * صنهاجة
- * المرابطون
- * الطوريون
- * حركة التحرر الوطني والاستقلال

الوصف الجغرافي:

جمعت موريتانيا في العهد الروماني بينها وبين المغرب الأقصى معاً، فموريتانيا تعد امتداداً طبيعياً للمغرب إذ لا يوجد بينهما فاصل جغرافي، وتقع موريتانيا في الشمالي الشرقي من أفريقيا جنوب المغرب الأقصى، وتقع الجزائر في أقصى شمالها الشرقي من الصحراء الغربية ويجاورها في الغرب المحيط الأطلسي وفي الجنوب منها السنغال.

كما تقع موريتانيا عبر طريق القوافل التي تأتي من المغرب الأقصى متوجهة إلى السودان جنوباً وبالعكس، يبدأ من تارودانت إلى نول ثم إلى أوليل وتمر قوافل التجار من الأمسار والظلول.

وقد سيطر المليون الصنهاجيون الذين نازعوا الزناتيين وناضلوا مملكة غالا وغيرها من الممالك الزنجية للاستفادة من الثروات الصخمة التي تعبّر بها القوافل التجارية الذهابية إلى السودان والعائدة منه.

وتوجد في موريتانيا مقطقان طبيعيان هما:

١ - المنطقة التي تبدأ عند وادي السنغال وهي تندد بمحاذاة الساحل ومكونة من تلال وسهول ثم تأخذ شكل سلسلة من الجبال تنصف الدائرة في مواجهة المحيط جنوب روبيه أو رو الذي كان يعرف باسم شنقيط وهو الاسم العربي لهذه الناحية أما نواكشوط فهي في الجنوب الغربي من موريتانيا وهي عاصمة موريتانيا وفي أقصى الشمال الغربي لموريتانيا الساقية الحمراء .

٢ - المنطقة الصحراوية التي تندد من شمال الساحل وهي منطقة

جريدة تتكون من ثلاثة رملية وسهرل حجرية . وهناك أماكن أخرى عبارة عن هضاب مخربة ووديان جافة لأنهار قديمة كما توجد إدارات يمكن الحصول منها على المياه الجوفية ، وأعلى الجبال أو المرتفعات أدراج تمار في الشمال وتراجلت في الجنوب الشرقي وبفضل هذا الارتفاع يوجد بعض الانظام في سقوط الأمطار مما يهدى ظهور المراعي الممتازة وفي هذه المنطقة كثير من القرى مثل شنقطة وأثار في الغرب وأجيذ في الوسط .

كما يوجد بعض السهول الخصبة كسهل الشاماة في الأراضي التي تحيط بهن السفال . وكذا منهول براكتنا وجور جول .

وتحت هذه المنطقة صحراوية وتنطليها مساحات رملية كبيرة من الرمال ، وتتوزع بعض الأعشاب المتفرقة والمناخ شديد الحرارة ، وذلك أن تأثير البحر لا يتجاوز عدة كيلومترات في الداخل .

أما الأمطار في الجنوب فغير منتظمة وتسقط في شهر يوليو . أما في الشمال فتسقط الأمطار رهي شديدة . ولأن موريتانيا تعد امتداداً طبيعياً لل المغرب الأقصى حيث لا يوجد بينهما فاصل جغرافي ، فلا بد من التعرض لدراسة المغرب الأقصى عند دراسة موريتانيا .

ويعد المغرب الأقصى منطقة أطراف ، لأنه في الدهاء للقصوى الوحيدة الجغرافية للمغرب ، فلا يوجد وراء هذا الإقليم غير البحر المتوسط ، الحاجز المنبع لبلاد المغرب .

ويربط المغرب بالجنوب طريق بري طويل يؤدي إلى الجنوب الأقصى ، وإلى صحراء السودان الغربي وفي الجنوب تحيط به سلسلة جبال

درن الذي يعد مانعاً ضد القادمين من قلب الصحراء حتى صار هذا الإقليم بعيداً عن المؤثرات القادمة من الشرق والتي تتعرض لها المناطق الأخرى في أفريقيا والمغرب.

وعند الفتح العربي لبلاد المغرب، صار المغرب الأقصى الحصن المنيع للقاومة، ولم يبسط العرب سلطانهم عليه بقوة العصيف وحده، وإنما هو نور التوحيد الإسلامي الذي وصل شاعر منه إلى قلوب الشعب المغربي فأقبلوا عليه عن طوعية واختيار، ثم صاروا حصنًا للإسلام.

لقد ساعدت الطبيعة بلاد المغرب الأقصى و Moriyania على نمو الحركات الدينية ذات الطابع السياسي مثل حركة المرابطين، وحركة الموحدين، بعيداً عن الغارات التي اجتاحت بلاد أفريقيا والمغرب قادمة من مصر في العصر الفاطمي، وهزت العروش بعد ماتجاوزت الحدود تلك الهجمة ال�لالية التي تعذر عليها دخول المغرب الأقصى إلا بعد استدعاء من قادة الدولة الموحدية وكان ذروتها المغرب الأقصى قوة وإيجابية.

لقد ساعدت جغرافية المغرب المانعة عند شاطئي المحيط إلى توجه الموجات العربية المتدفعه إلى غرب أفريقيا ومنطقة السنغال ومنطقة النيجر وعن هذا الطريق انتشر الإسلام في السودان الغربي، وزادهertz حركة المهاجرة مع شعوب السنغال والنيجر وقلب أفريقيا، كما أن الطريق البحري عند المضيق الذي يصل المغرب بالأندلس مكن منربط إقليم الريف بالأندلس، فساعد على نشر المؤثرات الحضارية الأندلسية في إقليم الساحل والمتصال بال المغرب الأقصى وترتبط العدوانين (الأندلسية والمغربية) بروابط وثيقة فساعد ذلك حين عبرت قوات يوسف بن تاشفين المرابطى المعنوي

لإنقاذ بلاد الأندلس من الأعداء المتربيصين.

السكان:

البرانس [انشرت قبائل البرانس المغاربية في بلاد المغرب من أفريقيا حتى المغرب الأقصى وأمتد وجودهم في غرب أفريقيا حتى ملحنى نهر النيجر وهذا الفرع من قبائل البربر المغاربة اشتهر بالقرة وشدة البأس وهم كثرة غالبية من البربر.

انتشرت هذه القبائل في الجهات الشمالية وعلى سفوح الجبال الصالحة للزراعة، وفي جبال أوراس وفي جنوب ووسط العزافر، كما نزلوا بمراكش، وفي الجزء الشرقي من جبالAtlas الكبري وأحتلوا ساحل المحيط الأطلسي حتى مصب نهر السنغال، ومنحنى النيجر.

ومن قبائل صنهاجة ظهرت دولة بنى زيري. وقامت دولة صنهاجة بالغرب، منذ أن قلد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أمر بلاد المغرب إلى يكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، وصارت صنهاجة صاحبة السلطة الفعلية على أفريقيا والمغرب كما استولى يكين بن زيري على المغرب الأقصى كما قامت دولة المرابطين من صنهاجة كذلك. أما قبائل الـملائين مؤسسو دولة المرابطين.

فهم الذين اتخذوا اللثام شعارا لهم يميزهم عن سائر القبائل المغاربية، وهم الذين قامت من بينهم دولة المرابطين. وهم الذين نشروا لواء الإسلام في أنحاء أفريقيا والسودان الغربي، فقد ظلت قبائل الملائين تجاهد بغير كل تدفع قبائل السودان إلى الإسلام دفعا حتى تكانت في نهاية الأمر من

النجاج في مهمتها المقدسة، وظلت راية التوحيد الإسلامي شعب السودان. كما قامت دولة المرابطين وانتشر نفوذها من مدنى الديجر في الجنوب حتى البحر الأبيض في الشمال ثم عبرت المصيق واتجهت إلى الأندلس.

وبسائل الملثمين كثيرة العدد وأهم هذه القبائل، لمدونة وجدة ومسوقة أما الزعامة فقد كانت للمعوننة في بني ورنتطبق وقد ظهر منهم يوسف بن تاشفين.

لقد أخذت القبائل المغاربية من البرانس الصنهاجية تتنقل بين مناطق الشمال والجنوب في صورة يسيرة بعد ما دخل الرومان الإبل في البلاد المغاربية وبدأ اتجاههم نحو الجنوب في السنوات الأخيرة من القرن السابع الميلادي في نفس الوقت الذي ظهر فيه المسلمين.

وبدأ المغاربة يستعينوا بالشعوب السوداء ليعملوا معهم بعد اتصالهم بهم في المناطق الجنوبية.

كما اتجه عدد من القبائل الصنهاجية في المغرب الأقصى إلى التوغل في الصحراء خاصة عقب الفزوون العربية وقد تمكروا من الاستيلاء على بعض المراكز في تاجرت وبسط رئيس قبيلة لمدونة الصنهاجية تيلوتان نفوذه على القبائل السوداء وحصل منهم على الجزية كما اتخذ له مركزاً في أولدغشت. ثم انحسر هذا النفوذ الصنهاجي ثم لم يلبث أن عاد الصنهاجيون إلى توحيد صفوفهم في بداية القرن الرابع الهجري والعشر الميلادي للأسباب الاقتصادية وحركة التوافل وقد كان لقبائل لمدونة

وجدالة فرة تشكلت باتخاذهم بزعامة نارسينا لمواجهة قبائل الجنوب، وقد تهدت جدالة الحركة الدينية للمرابطين وتزعمهم يحيى بن ابراهيم الحركة المرباطية.

لقد ساعد الاسلام الصنهاجية على هجرتها الى الجنوب والعمل على نشر الاسلام بين قبائل السودان ودفعتها مصدق عقيدتها إلى التقدم نحو الجنوب بقوة العقيدة حتى وصلت إلى منطلي النيل.

فلمما كان القرن الخامس الهجري، العادى عشر الميلادى بدأ عبد الله ابن ياسين العمل على توحيد القبائل المغربية الصنهاجية ثم اتجهت الى الشمال فى طريقها إلى إقامة الدولة الجديدة.

وتحديداً للمناطق التى سكنتها تلك القبائل الصنهاجية فهي تمتد من غدامس فى جنوب طرابلس إلى المحيط الأطلسي فى المناطق الصحراوية، فيما يلى سلسلة جبال درن ثم تمتد مساكنها من جبال درن فى الشمال إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيل وتمتد شرقاً حتى يصل إلى بعض من أرض الصحراء الكبرى.

أما المناطق الخاصة لكل قبيلة من تلك القبائل الصنهاجية فقد اختصت لمطية وجزوئه بالمنطقة الممتدة من جبال درن إلى نزل قرب المحيط الأطلسي ، وأخذت ترغبة وادى درعة إلى ملجماسة.

وقد امتد نفوذ لمدونة من وادى نون على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادر وإلى الشرق من وادى نون تقع مدينة أركى حصن لمدونة المنبع، وقد وصلت رحلات لمدونة في المنطقة التي بين غانة وسلجماسة. وقد

بسطت لمقونة نفوذها على الطرق الهمامة مثل طريق غانة سجلماسة وتمتد ديارهم مسيرة شهرين طولاً وعرضها مما يسر لها التراء المادي فضلاً عن وفرة عددهم حتى سهل عليها بسط سلطانها على بقية القبائل.

أما جدالة فتمتد مناطقها من جنوب لمقونة حتى مصب نهر السنغال حيث أوليك مقارها حيث يوجد الملح الذي ينقل شمالي وجنوبياً وجدالة قريبة من غانة ومن شعب صلفانه على متحنى نهر النيل وقريبة من أودغشت وطريق سجلماسة، فساعد ذلك جدالة على استخدام هذا الطريق في تجارتها وريحت من ذلك كثيراً بسبب قربها هذا من بلاد السودان.

وتفند مضارب قبيلة مسوفة في منطقة تقع بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب، كما امتد نشاط بعض بطون مسوفة شرقاً حتى تلداكة وكوكو.

وقد سيطرت مسوفة على طريق التجارة السوداني بين أودغشت في للجنوب وسجلماسة في الشمال منذ زمن طويل وهكذا سيطرت تلك القبائل الصنهاجية على مساحات واسعة من الصحاري وتحكمت في طريق التجارة الهمامة فقلب عليها التراء وكل راجها بين القبائل الأخرى.

دور صنهاجة الموريتانية في العهد الإسلامي.

يعد عقبة بن نافع أول من دخل ديار الملثمين من العرب، وأول من ساعدهم على الدخول في الإسلام وبعدها عرف التجار العرب الطريق إلى المصحراء الجنوبية. وجعلوا من مدينة أرقى قاعدة لهم ثم وصلوا إلى أودغشت حاضرة مسوفة، وفي عهد عقبة وصل المسلمون إلى أواسط

أفريقيا.

وفي عهد موسى بن نصير الذي امتدت فتوحاته حتى وادي درعة وحتى السوس في الأطراف الشمالية لأماكن المللدين وهو الذي أنشأ مسجداً في أغمات ودعا المسلمين إلى الإسلام فأقبلا عليه بقلوبهم بعد أن أسد موسى بن نصير إليهم أعمالاً قيادية، وزاد إقبال لمتونة على الانضمام إلى صفوف المسلمين وشكلوا كتلة بربرية بجانب العرب الذين اتجهوا لفتح الأندلس.

كذلك عمل الأدارسة بالمغرب الأقصى على نشر الإسلام في ربوع منهاجة اللثام ولم تندنفوا الأدارسة من ديار المللدين حتى إقليم الراحت.

وهكذا فإن إسلام صنهاجة اللثام أخذ مذ عهد عقبة ينمو ويقوى حتى بلغ أوج قوته في عهد الأدارسة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي فقد تحالفت قبائل المللدين بقيادة زعيم لمتونة تيولونان بن تيكيلان الذي عملت على القيام بدور قيادي لبسط نفوذهما ونشر الرأبة الإسلامية بين القبائل الزنجية في الجنوب.

وفي منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي بدأ حلف صنهاجة في الاتجاه جدوا وتقدم صوب ديار غانة، ذلك الشعب الزنجي المشرك ولم يصمد أمام صنهاجة التي سارت قدماً في توسيعها حتى صارت على مسيرة أيام من ملحني الديجر واستولوا على مدينة أودغشت وفرضت الجزية على شعب غانة وجعلوا من أموالهم مقراً لهم.

وفي منتصف القرن الخامس الهجري الحادى عشر الميلادي ومع

قدوم الهرجة الهلالية من مصر إلى بلاد المغرب.

تغيرت الأحوال وعم الاضطراب الحياة الاقتصادية وتحول الموقف حيث ان سجلماسة التي على طرف الصحراء من الشمال وأودغشت التي على طرف الصحراء من الجنوب وهما من أهم مدن المغرب وأكثرها ثراء.

تحولت القوافل التجارية إلى الطريق الذي يمر بديار الم��عين من جدالة ولم تونة فاحتكرت جدالة ولم تونة التجارة بين المغرب والسودان. وتغيرت جدالة على مدينة أودغشت وكان الملح كما كان التبر والصمعن والمصرف والخرز من أهم السلع المتداولة بين السودان والمغرب ثم ينقل من موانيء المغرب إلى الشرق وإلى أوروبا.

على أن القبائل الملشمة التي استطاعت أن تستولي على الموارد الضخمة من أيد القبائل الزناتية نسبت في اضطراب الأحوال الاقتصادية فاشتد الغلاء وأنقطعت الموارد وعم الخوف فاندفع ذلك القبائل الزناتية إلى اقتحام الدور للسطر والنهب وعز الأمان في ربوع المغرب وصار الناس يتطلعون إلى الخلاص من سوء الأحوال وانتشار المجاعة.

المراقبون:

قامت دولة المرابطين بهمود من رجال جدالة الكبار بتقاديمهم زعيمهم يحيى بن ابراهيم الذي عرف برجاحة العقل وحسن البصيرة الذي أوصله إلى النظر في مصالح الاسلام وال المسلمين ليس في بلده هوبل في أنحاء الدنيا فعمل على رئاسة ترتيبه بالمجتمع الاسلامي الكبير في أنحاء البلاد المغاربية كلها، فكانت خطته هذه خير وبركة على الم��عين من صنهاجة

وعلى من حوثهم من القبائل إلى أبعد ما يكون، فقد وصل جهاد يحيى بن إبراهيم إلى السردان جنوباً كما امتد إلى الشمال وإلى الشرق والغرب.

خرج يحيى بن إبراهيم الجداوى من دياره فى عام ١٠٣٧ هـ / ١٩٢٩ م القصد لرباد مدارس المغرب طلباً للعلم والبحث عن فقيه يعود به إلى قومه عليه يخرجهم من الظلمات إلى النور فيوحد صفوفهم معتصمين بحبل الإسلام .

لقد رحل يحيى بن إبراهيم إلى القيروان وقابل الفقيه أبي عمران الفاسى ذلك الذى اشتهر بين العلماء فقصده الطلاب من فاس وأغمات ومن الأندلس من سرقسطة وشبيلية ومن غيرها .

أما المكانة التى حصل عليها هذا الفقيه الجليل فقد حصل عليها بعد رحلة علمية فى بلاد المشرق حيث سمع من علماء مصر والمحاجز وال العراق .

تقابل مع أبي الفتح بن أبي الفوارس وسمع منهم ومن أستاذه الفقيه أبي بكر الطبيب الباقلاوى دروس منه علم الأصول وهو من أعظم العلم الشرعية وأجلها امتداداً وأكثراها فائدة وأصول الأدلة الشرعية هي القرآن والسنة .

ثم عاد أبو عمران الفاسى إلى القيروان ليعلم الناس وهو قد بلغ الغاية فى علم الأصول وعلم الكلام والمناظرة وعاش بين الفقهاء المالكية الذين عرفوا بالشدة والبعد عن أسباب الترف .

تلمذ على ابن عمران الفاسى الفقيه عبد العزيز التونى وفقيه السوين وجاج بن زللو اللقطى ، كما تلمذ يحيى بن إبراهيم على أبي عمران الفاسى

ثم طلب منه أن يختار له من تلامذته أحد فقهاء المالكية يستعين به على إرشاد قومه من المسلمين الصنهاجية وهذا قال أبو عمران ليحيى عليه بفقهه السوين وزاهدها وجاج بن زللو اللطفي وطلب أبو عمران من وجاج أن يختار من تلاميذه فتقىها من يثق في دينه وفي كثرة علمه وحسن بصيرته ليصحب يحيى بن ابراهيم في عودته إلى قومه الملثمين ، يطعهم القرآن وشرائع الإسلام ويقفهم في الدين .

وقد استجاب وجاج واختار تلميذا له صنهاجي الأصل هو عبد الله بن ياسين ، فقبل عبد الله على الفور القيام بالمهمة التي وكلها إليه وجاج ورحب بها باعتبارها الطريق إلى الجهاد في سبيل رفع راية الإسلام عالية حفافة .

عبد الله بن ياسين :

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير على ، ثلقى العلم من الفقيه وجاج بن زللو اللطفي ، كما ثلقى العلم من فقهاء الأندلس .

تقابل يحيى بن ابراهيم مع عبد الله ، ودعاه إلى بلاده ليعمل على إحياء الدين الصحيح والمنهج القويم الخالص من شوائب اشراك الذي إذا تحقق في حياة فرد أو قامت عليه حياة أمة أتي أينع الثمرات وحقق أفعى الآثار في الحياة .

فمن ثمرات التوحيد وآثاره تحرير الأنسان من كل عبودية إلا الله الذي خلقه .

خطط عبد الله بن ياسين لنفسه المنهج الذي سيسيير عليه في ديار القبائل انملمة من جمع القلوب حوله كلمة التوحيد التي تهدى إلى تحرير البشر فالترحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة التي تميزت وجهتها في

الحياة وتوحدت غايتها وتحدد طريقها لما يرضي ربها. وهذا المنهج الذى جعله عبد الله هدفاً له أخذ اتجاهان.

الأول اتبع فيه الأسلوب السليم الهدى وبدأ بعظ الناس بالحسنى. فقد سد منافذ الخوف على الأجل والخوف على النفس والخوف على الأهل والأولاد، وعرفهم أن المؤمن للحق لا يخاف أحداً فهو دائماً آمناً مطمئناً هدائاً.

وبهذا الأسلوب اجتذب الناس إليه واجتذب الطلبة الذين وفدوا عليه من كل فج يستمعون إليه وهو يلقى عليهم دروسه، يعلمهم الدين الصحيح ورجبه إليه قاربهم والتلف حوله العامة، وأصبح عبد الله بن ياسين ملء أسماعهم وأبصارهم بعدهما وتقروا به وتتفقوا علمه وتسكروا به لا ينفكون إلى غيره.

وقد لقي عبد الله بن ياسين معارضة بين صنفوف الزعماء والقادة الذين رأواه يلقص من حرقفهم التقليدية ويرصدون عن العداونية، ويطلب المسماة بين جميع البشر، فتأمروا عليه وعملوا على إبعاده من ديارهم.

لذا عبد الله بن ياسين إلى الانسحاب من ديار لم تونة إلا أن وحي بن إبراهيم استطاع أن يغير من عزم عبد الله بن ياسين ودعاه إلى الصبر والمثابرة وعدم التخلى عن دعوة الحق، واستجاب عبد الله إلى دعوة عمر الجدادى واتجه عبد الله وعمر معاً إلى الجذوب إلى ديار جدالة.

ثم بدأ عبد الله هدفة الثانية فاتجه إلى بناء رباط يأوى إليه وصحابه، ولذا عرفوا باسم المرابطين يتبعون ويترهدون ويجهدون في جزيرة قى

البحر عذ نهر السنغال.

لأخذ عبد الله هذا الرباط حيث أن خطر إغارة ممالك الزنوج على جدالة أنت من تلك الناحية حيث وقعت غارات الممالك الزنجية على مضارب الملوكين وحددت طريق القوافل وتكرر استيلاؤهم على مدينة أودخشت وطردهم منها أكثر من مرة فجعل عبد الله بن ياسين رباطه عند نهر السنغال هو الحد الفاصل بين مضارب الملوكين ومضارب الزنوج، جعله ليكون بقصد الجهاد ونشر الإسلام في ديار الزنوج وصدتهم عن الدوان.

دور عبد الله بن ياسين في الرباط:

جعل عبد الله بن ياسين من رياطه حصناً يدافع المرابطين فيه عن البلاد ضد الغزاة المعتدين، وكان للرباط مزارع تغدو بحاجته من الطعام فضلاً عن احتراق الصيد من البر والبحر، كانت حياتهم تتسم بالبساطة والخشونة يبذلون الأثرة، ويُعشرون الإيثار فيedefهم التعلق بالروحانيات أكثر منها بالmaterialيات.

بلغ خبر عبد الله بن ياسين قبائل الملوكين الموزعة بين جبال درن في السنغال وحتى منطوى النسجر في الجنوب فأسرع الكثير من الملوكين بالتحقّقون بجماعة الرباط بموضع السنغال حتى بلغ عددهم ألفاً، وعرفت صنهاجة موريتانيا باسم المرابطين كما عرفوا من قبل باسم الملوكين.

كان لعبد الله بن ياسين قدرة خارقة على التأثير في نفوس أتباعه فهو جطمهم أكثر تفهمًا للأهداف التي أراد تحقيقها وضمن اهتمامهم وحماسهم

وايجابيتهم في تنفيذ الخطة بطريقة واقعية حتى يسهل عليهم تنفيذها.

كان عبد الله يقبل أن يضم المريد إليه بعدما يثبت من إيمانه وصدق رغبته في الانصراف إلى حياة الزهد والجهاد ويتحقق المريد إمتحاناً جسدياً قاسياً حتى تتطهير نفسه من أدناس الأنانية وحب الذات.

قام عبد الله بقراءة القرآن وتفسيره وروى الحديث وفسره، ثم طلب من أتباعه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعدوا أنفسهم دائمًا لحياة الجهاد والكفاح ضد الأعداء في الخارج ودعوة المسلمين إلى الدين الحق.

اختار عبد الله بن ياسين يحيى بن إبراهيم لدور الحاكم ولما توفي يحيى في عام ١٠٥٠هـ / ١٤٤٢ م صار يحيى بن عمر رئيس قبيلة لمتونة الرئيس السياسي للمرابطين.

دورة الجهاد:

أصبح يحيى بن عمر حاكماً للمرابطين وهو الذي عمل على تدريب جماعة المرابطين على القتال للإعداد لمعركة الجهاد.

خرج المرابطون في عام ١٠٥٠هـ / ١٤٤٢ م إلى الجهاد بقودهم يحيى المفتوني ومعه عبد الله بن ياسين يدعو لهم إلى الإسلام في سوداني التكرور وحضور السنغال الأدنى وما زراءه من بلاد السودان الغربي في غانة وفي غيرها.

وفي عام ١٠٥٥هـ / ١٤٤٧ م جاءت مكاتبات سجل ماسة ودرعة جنوبى المغرب الأقصى من الفقهاء والمصلحين بدعوة المرابطين للجهاد منذ

الحكام المفسدين.

لتجه المرابطون بجيش كبير من المجاهدين الراغبين في الشهادة في سبيل الحق ونصرة المظلومين وتحقق لهم النصر وظهروا البلاد من المنكرات ورفعوا عن الأهل الضرر الجائزة وعيثوا واليا من لمنونة على سجل مسافة وأسلند يحيى بن عمر في جهاده ضد المشركين في السودان في عام ١٠٤٨هـ / ١٤٤٩م.

عين عبد الله بن عمر مكان يحيى أخاه أبو بكر بن عمر المتنوبي في قيادة المعركة في الجنوب.

عمل أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين قادة المرابطين على محاربة الألفصنة والشيعة وأعادوا البلاد إلى السنة واستولى المرابطون على أغمات وأقاليم حاجة ونكانة واستولوا على نابلة ثم حاربوا برغواطه في مدينة اسفى على المحيط وفي عام ١٠٥٩هـ / ١٤٥١م استشهد عبد الله بن ياسين.

وفي عام ١٠٦١هـ / ١٤٥٣م اسرع أبو بكر إلى التوجه إلى صحراء موريتانيا لفك الاشتباك الذي وقع بين قبيلتي لمنونة ومسوفة وجعل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب الأقصى الذي أسس مدينة مراكش وجعلها عاصمة لدولة المرابطين في عام ١٠٦٢هـ / ١٤٥٤م ثم اتسع جهاد المرابطين فامتد في عام ١٠٨١هـ / ١٤٧٤م إلى المغرب الأوسط وببلاد الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين بجنوده الذين من صنهاجة موريتانيا.

أما في الجنوب فكان أبو بكر بن عمر المتنوبي الذي جاحد لرفع رأية الإسلام في أرجاء أفريقيا حتى بلغ أفريقيا الاسترانية وقد بدأ بالذكر

والستغال الأدنى أولئك الذين اقضموا الجيش أبي بكر وساهموا معه في رفع لواء التوحيد في بلاد المورdan وينتشر حتى صار علم التوحيد راسخاً رسوخاً الجبال لا يزعزع، وقد قاد أبو بكر بجيشه المجاهدة في تلك البلاد متذناً من منطقة الإدراز في موريتانيا وأزكى وأودغشت قاعدتين لعملاته الحربية جنوباً وشرقاً، وظل البطل الإسلامي أبو بكر توازره صنهاجة موريتانيا حتى سيطر على طرق التجارة الرئيسية بين المغرب وأفريقيا.

وفي عام ١٠٨٧هـ/١٤٨٠م استشهد أبو بكر بن عمر في ساحة الجهاد. ثم عادت غانة وازدهرت وصارت صاحبة السيادة والنفوذ في الأرضي التي بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، وتبعثها الشطر الجنوبي من موريتانيا ومدينة أودغشت ونيمة ولاته، ثم ضعفت غانة أمام قبيلة الصوصو الوثنية، وأمند سلطان دولة مالي إلى غانة ثم ضعفت مالي. وظهرت دولة صنف في حوض النيجر الأوسط شرقي الستغال وقويت ثم استقلت عن مالي وأزداد نفوذها في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي في عهد أسرة اسكيَا واستولى (سن على) ملكها على تمبكتو وأمند سلطانها إلى لاته وإقامها في موريتانيا وكان حكامها بعد (سن على) متمسكن بالإسلام خاصة في عهد محمد بن أبي بكر عام ١٤٩٣هـ/١٥٨١م) الذي جعل مدينة تمبكتو عاصمة لدولته، ثم حارلت صنف الاستيلاء على بعض مذاجر الملح مما أغضب الأمير أحمد المنصور الذهبي سلطان الدولة السعودية في المغرب الأقصى فأرسل حملة عسكرية ١٥٧٩/٩٨٧ في عهد حاكمها اسكيَا إلى التنازل عن مملكته في بلاد موريتانيا والقبائل الصنهاجية وعادت الحملات العسكرية بالغنائم وبعد تلك الحملة تقدم أمير برنو شرقى صنف في عام

١٥٨٢/٤/١٠٠٠ م إلى المتصور الذهبي يعلن بيعه له ويعتبر إليه بهدية.

وعلما سقطت دولة صليبي مراكش على نشر الثقافة الإسلامية عن طريق مبعوثين من العلماء حيث انتشرت الحضارة الإسلامية في مدن ولاية تونكرو وجنى.

لقد عمل الفتح المغربي للسودان على اعلاء راية التوحيد الاسلامية كما استفاد المغاربة ماديا من الازواع الطبيعية التي تزخر بها أرض السودان.

كما أن رجال الجيش المغربي كانوا من جنسيات مختلفة وتزوجوا من النساء السودانيات وخلطوا أفراد الشعب السوداني ولكنهم كانوا مميزين بين السودانيين.

على أن موريتانيا عادت لأرضها التي كانت قد استولت عليها درلة صنفي كما أن بعض الجنود الذين كانوا قد شاركوا في العملية استقروا في ض موريتانيا منهم عرب المعقل قبيلة حسان التي نزلت بعض عشائرها من شقيقها كما نزلت قبائل حسان في أنحاء متفرقة أخرى من موريتانيا قد ساعدت تلك الخطوة في تعریف موريتانيا.

العلميون (٦٥-١٢١٨ـ١٩٥٤ـ٣٠١٨٦)

تنتمي العائلة العلوية في المغرب الأقصى إلى العرب الأشراف الذين عاشوا في المغرب منذ القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي واستطاعوا أن يجمعوا حولهم قلوب الأهالي حتى أنهم قدموهم على غيرهم لقيادة البلاد.

لقد تطلع المغاربة إلى قيادة ترفعهم من عثرتهم وتعيدهم إلى مجدهم السابق، وترفع عنهم الأغلال. لقد بايع المغاربة محمد بن الشريف في سجله.

لما ضعفت الدولة السعودية تطلع الشعب المغربي إلى العائلة العلوية لقيادة ليسعيد مجد البلاد المغربية من جديد.

وهكذا بايع المغاربة محمد بن الشريف في مدينة سجله ثم شرع هو في توسيع رقعة نفوذه فاستولى على درعة ثم اتجه إلى مدينة فاس فاحتلها وبعد وفاته تولى أخاه الرشيد بن الشريف العلوى (١٦٧٢-١٦٦٤ هـ / ١٠٧٥-١٠٨٣ م).

وقد تمكن الرشيد من إخضاع البلاد كلها لسيطرته عدا المدن الساحلية حيث كان الاستعماريون الأوروبيون قد استولوا عليها فكان على عاتق الأمير اسماعيل استرداد المهدية والعرائس وطنجة.

وفي خلال أقل من قرن كان المغرب قد توحد واتسعت أطراف الدولة العلوية حتى وصلت إلى مجال الصحراء في مناطق السودان وتوحدت القيادة المغربية العلوية حيث أنهى عهد حكام الولايات التابعة للحكومة المغربية.

توفي السلطان الرشيد ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢ م وخلفه السلطان اسماعيل (١٠٨٣-١٦٧٢ هـ / ١٦٢٢-١٦٣٥ م). ثم بعث السلطان بالحملات العسكرية التي قضت على الثورات في مهدها. ثم بدأ في تنظيم جيشه وجعله تحت سيطرته وضمن بذلك أحكام الرقابة وأحكام قبضته على البلاد وصد عنه

أعداته بجدارة وبحسارة.

اتخذ السلطان اسماعيل سياسة استعادة البلاد التي استولى عليها الأسبان والإنجليز، وغزا المعمورة في عام ١٦٩٢هـ/١٦٨١م ثم غزا مدنجة بعد حصارها وأدخلها إليها سكان إقليم الريف ثم استرد لاراش في عام ١٦٩١هـ/١٦٨٩م وأرزيلا في عام ١٦٩٣هـ/١٦٩١م.

ثم اتجه السلطان اسماعيل إلى شواطئ البحر الأبيض واستولى على مليلة.

كما أرغم العثمانيين على الوقوف عند الحدود الجزائرية فلم يتخذه جنودهم أرض المغرب الأقصى. وتوالى بعده سلاطين علويون ذيروا الأمر البلاد في حزم وحكمة وحسن إدارة لدفة الأمور وتصريف شؤون الرعية فدافعوا عنها مند الأجانب ونشروا فيها الווية العلوم والمعارف والأداب والفنون وأقاموا بين روعها العمran ونعمت البلاد ردها من الزمن بالاستقرار السياسي والاجتماعي ودخلوا في علاقات مع معظم الدول الأوروبية إلى أن بدأ احتكارهم بالتدخل الأجنبي إبان القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر العيلادي الذي اتخذ صورة الحرب تارة والمكر والخدعية تارة أخرى إلى أن بدأ هؤلاء السلاطين يعجزون عن مقاومة الأخطار الخارجية والداخلية بالرغم من الجهود الصادقة التي بذلوها في سبيل إنقاذ البلاد والحفاظ على كيانها ودعم وحدتها.

لقد أخذت فرنسا تولي إهتمامها نحو استغلال الصحراء الجنوبية بعد عام ١٦٩٩هـ/١٦٨١م فعمل الفرنسيون على فرض نفوذهم في جنوب المغرب الأقصى في موريتانيا.

واستطاعت فرنسا السيطرة على ترارزة في عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ثم اتجهت إلى الأدرار ثم تراجع الفرنسيون بعد ظهور المقاومة الموريتانية التي قادها ماد العينين محمد بن ناصر الذي تمكّن من صدهم عن الزحف داخل البلاد ولما عاود الفرنسيون محاولتهم في مهاجمة الأدرار عقد الشيخ ماء العينين اجتماعاً مع مشائخ القبائل في عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م ويعطوا إلى الأمير عبد العزيز سلطان المغرب لتجديهم وسد العدول عن الفرنسي فبعث السلطان عبد العزيز جيشاً يقوده الأمير إدريس للدفاع عن موريتانيا.

وفي عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م بدأت المعارك بين المغرب وفرنسا حتى انتهت في عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م باستيلاء الفرنسيين على الأدرار وظروا يواصلون توغلهم في موريتانيا حتى أخضنعوا لسلطانهم في عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م إلا أن المقاومة في بلاد المغرب من الجنوب إلى الشمال مند فرنسا ظلت مستمرة حتى عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م وقد واجه الفرنسيون صعوبات في إدارة البلاد حيث تعذر سيطرتهم على تحركات القبائل في البلاد ولذلك ظلت القيادة في إدارة البلاد في يد العسكريين ثم عادت الإدارة الفرنسية في موريتانيا في عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م إلى أسنان الإدارة إلى المدنيين.

وفي عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م رفع المرابطون من الصوفية راية للجهاد مند فرنسا إلا أنها لم تستمر حيث تمكّن الفرنسيون من إخمادها.

لقد سار نظام الحكم في موريتانيا قبل قدوم الفرنسيين إليها وفقاً لحدود عصيلة لكل قبيلة تتبع شيخ القبيلة المسؤول عن إدارتها باستقلالية. فلما جاء الفرنسيون نزعوا من المشايخ سلطانهم وجعلوهم همزة الرصل بين الشعب

والإدارة الفرنسية فصار شيخ القبيلة مجرد منطق الأوامر ونافق لها فكان ذلك من أسباب ضعف شيخ القبيلة.

وقد الفرنسيون موريتانيا إلى دواوين وجعلوا لكل دائرة مدير فرنسي ويغلوونه ثلاثة أفراد من الأهل وكان جمع الضريبة من الشعب من مهامهم الرئيسية أمام الإدارة الفرنسية وشكل للمجلس الوطني من أربعين عضواً بالانتخاب ويرأسهم فرنسي والمجلس هو الذي يحدد مقدار الضريبة التي يجمعها رؤساء الدواوين.

كما أن هناك مجلس عام تشكل أعضاؤه من بين أعضاء الجمعيات الإقليمية، ويرتبط ممثلو هذا المجلس بالجمعية الوطنية الفرنسية.

ويوجد كذلك مجلس تنفيذي عن الإدارة الحكومية في الإقليم والجمعية البرلمانية حق التشريع ومهمة الحكومة تنفيذ القوانين، ورئيس المجلس التنفيذي هو حاكم الإقليم.

وفي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م شكلت أول حكومة موريتانية ذات استقلال ذاتي.

السكان:

عدد السكان بسيط بالنسبة لمساحة البلاد وينقسم المجتمع الموريتاني إلى عدة طبقات مرتبطة ببعضها.

فقد اتى حسن العربية وهي الطبقة المحاربة والتي نزلت موريتانيا وكان لها دور بارز في تعریب موريتانيا خاصة وأن أهل موريتانيا كان لهم إقبال على التعليم.

نزلت قبائل حسان (بني حسن) التي استقرت في أدرار وتيبرس في الجذوب الغربي من موريتانيا والبرابيش الحسانين في مدينة تيشيت والأوداية الحسانية في المصحاري الواقعة بين ودان وولاته، فشغلت قبائل حسان العربية جميع موريتانيا.

ثم المرابطون وهم من صنهاجة التي خالطت العرب ثم تحولت إلى ممارسة الشعائر الدينية وتفرغوا للعبادة وكانوا موضع الرعاية من جانب الأهالي.

ثم جماعات السود وقد جمع الإسلام بين هؤلاء جميعهم وعمل على تعليمهم وحفظهم للقرآن والعلوم الإسلامية فهم يتعلمون في الزوايا التي هي بمثابة المعاهد الدينية ويسرف عليها العائلات العريقة في المراكز الكبيرة فيهم تقوم بتحقيقه القرآن والتعریف بمبادئ الدين.

ومنهم من يتجه إلى مراكز العلم في الشمال ليواصل تعليمه العالي في جامعة القرويين وفي غيرها.

وفي نفس الوقت عمد الاستعمار الفرنسي في موريتانيا إلى إدخال السرد في المدارس الفرنسية ليعملوا على إحداث فجوة ثقافية بين أفراد الشعب الموريتاني الواحد.

على أن المرابطين رأوا في خطة التعليم الفرنسية في البلاد ما يهدى شتون التعليم ويجعل ازدواجية منارة بمصلحة الشعب الموريتاني إذ يجعل من الثقافة الواحدة المميزة والتي ترفع من شأن الوطن ثقافتين قد تتعارض مع ما هو متبع في موريتانيا.

كما أن الاستعمار الفرنسي لموريتانيا عمل على تقييد حرية الشعب الموريتاني في إنشاء المدارس الحرة داخل المدن. فضلاً عن تقييد حريةهم في مواصلة التعليم في مراكز التعليم المتقدمة في الشمال. فضلاً عن ذلك فإنهم يتربصون بمن يواصل تعليمه في الشمال فيحرمونه من عودته إلى البلاد من المشاركة في العمل داخل المجتمع الموريتاني، لقد كان هدف الاستعمار الفرنسي إبعاد شباب موريتانيا عن بقية الشعوب العربية التي تتمتع بحرية الفكر.

أما خريجو المدارس الفرنسية فيعمد إلى تسخيرهم في خدمة أغراضه الاستعمارية.

الموارد الاقتصادية:

منذ الحملة العسكرية في عهد السلطان مصطفى الذهبي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وتوجلها في أراضي السودان وتقابل إسكيا داود عن مملكته في موريتانيا، كذلك إعلان أمير برنو شرقى ضفي إعلان تبعيته للسلطان مصطفى الذهبي، وأختلاط رجال جيشه بالسودانيات وزواجهن بالنساء السودانيات.

كما أن قبائل المعقل وخاصة قبائل حسان الذين بعث بهم المنصور الذهبي من مباطفهم في سجلama والدرعة في المغرب الأقصى ليوطد بهم فتراحاته في بلاد السودان تلك القبائل الصهاجية ورجال الحملة العسكرية لستقروا في الزرخن الموريتانية وصاروا من هنالها لقرب سكانها من أماكنهم التي جاءوا منها من الشمال.

وقد اشتغلت تلك القبائل بالزرعى متنقلين وراء الكلأ وفى أرض تبرس
غربي أدرار الممتدة جنوباً وغرباً حتى المحيط الأطلسى يرعنون فيها
أنعامهم وإبلهم.

وقد استعان الصنهاجيون بعمالهم من السودان يكافئونهم بأعمال
الزراعة والسوقى ورعي الأنعام والمواشى وحفر الآبار ويزاولون الصيد
البرى مثل الوعل والنعام والماعز وتنتسب لاته الدخن والذرة أما شنقيط
فيها نخل كثير ويزرع فى جبالها القمح والشعير والدخن واللوبيا، وفى أدرار
يزرعون القمح والشعير فى أرض النخل، كما يزرعون الفندي فى الأوidea
والرماد بطيخ أبيض اللون وأخضره والبطيخ الأبيض يصنعون من بنره
دقيقاً يختلط بدقيق الدخن ويكونوا منه العصيدة. وغالب طعام أهل المدن
اللبن والتمر.

كما يشتغلون بصيد الأسماك على طول الساحل الأطلسى كما يقرون من
باستخراج الملح والتترات فى أماكن متفرقة من البلاد ويوجد النحاس فى
كجوجيت والحديد فى فور جوزو. وترجع صناعات يدوية مثل صناعة
السرور والأنسجة الصوفية وغيرها.

حركة التحرر الوطنى

أخذت الحركة الوطنية الموريتانية شكلاً إيجابياً حيث تكون جيش
التحرير الموريتاني بقيادة الأمير سيسى زكريا، وذلك عقب حصول المغرب
على الاستقلال فى عام ١٩٥٦ هـ / ١٣٧٦ م. وبأذن جيش التحرير الموريتاني

يشن هجمات وغارات قوية على قوات الاحتلال عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م إلا أنه لم يكتب لهذه الحركة الموريتانية الدجاج حيث دبرت فرنسا خطة لاعتقال زعيمها ميسى زكريا وتعدد أعضائها فدخل بعضهم في دائرة الحكومة الفرنسية في موريتانيا ولجا البعض الآخر إلى المغرب مطالبين بالانضمام إلى المغرب.

وفي عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م عقد ممثلوا الصحراء الغربية إجتماعاً بصحراء المغرب يعلون فيه تأييدهم للمغرب في مواصلة الكفاح لاسترجاع بقية الأرض المغربية، واستكمال السياسة الفرنسية الناشمة في الأرض الموريتانية ثم عقد مؤتمر طنجة في نفس عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م جمع ممثلي من الجزائر وتونس والمغرب الذي أعلنا فيه تأييد كفاح شعب موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي ومرازرتها للانضمام إلى المغرب العربي.

لقد بلغ الوعي القومي درجة عالية إلى الحد الذي دفع ببعض الشخصيات السياسية الموريتانية إلى الاتجاه إلى الشمال وتعلن عن قرميتها المغربية وتقادي بالدفاع عن موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي.

ومن أجل تلك الأهداف عقد مؤتمر الرباط في عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م الذي نشكت فيه اللجنة التحضيرية من مشايخ قبائل موريتانيا ومن بعض كبار رجال الحكومة الموريتانية وأصدر ذلك المؤتمر قرارات أكدت إجماع موريتانيا على الحصول على الاستقلال مع الاتحاد مع المغرب.

وأعلن الملك محمد الخامس ملك المغرب تأييده لعقد هذا المؤتمر وقال عنه أنه دليل على يقظة موريتانيا والصحراء وانتشار الوعي القومي فيها وعزز شعبيها على التحرر والوحدة.

وتكلم في المؤتمر السيد أحمد حورمه ولد بابانا المستشار في شئون الصحراء بوزارة الداخلية وقال لقد أصبحت العبرية بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت وأعلن رفضه للمزامير الاستعمارية الفرنسية لفصل موريتانيا عن المغرب.

ثم تكلم الشيخ ماء العينين فقال : إن انضمام الجزء الجنوبي للمغرب واتصاله به سلسلة متصلة الحالات من القرن الأول للفتح العربي الإسلامي على يد عقبة بن نافع الفهري على اختلاف الدول إلى عام إثبات الرغفود الشنقيطيية الصحراوية إلى السلطان مولاي عبد العزيز في فاس وإثنائهم إلى السلطان مولاي عبد الحفيظ في مراكش ثم وفديهم التي مازالت تتحرى بعد الاستقلال على جملة مولانا محمد الخامس نصره الله بطل التحرير ورمز الرحمة، ثم واصل المؤتمر إجتماعاته واتخذ عدة قرارات أهمها :

أولاً: أن ممثلي موريتانيا والصحراء يجددون ولاءهم وإخلاصهم الدائم للمقارم الأول محرر الوطن صاحب الجلالة محمد الخامس وتعلقهم بالعرش العطوي المجيد.

ثانياً: يؤكدون أن موريتانيا والصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب كما يؤكدون عزمهم على التحرر من النظام الاستعماري المفروض عليهم والاندماج بالجزء المحرر من الوطن المغربي الكبير.

ثالثاً: يطالبون بعرض قضية موريتانيا والصحراء على منظمة الأمم المتحدة في أول مناسبة.

موريانيا في السياسة الدولية

اتجهت سياسة المغرب بعد إعلان استقلالها في عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م إلى السعي لحل مشكلة الحدود الجنوبية إلا أن فرنسا أصرت على تنفيذ خطتها في فصل موريانيا عن المغرب.

قامت سياسة المغرب بطلب انضمام موريانيا إليه على أساس جغرافي وقومي وتاريخي، وبيّن مطالب المغرب في استرجاع حدوده الأصلية حجج كثيرة منها، أن الروابط السياسية بين موريانيا والمغرب بدأ على الأقل منذ قيام دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادي كما يؤكد سلطة الدولة المغربية واستمرارها عدة قرون إلى أن فرضت الحماية على آن مجموعة من الدول الإفريقية بإيعاز من فرنسا عمدت إلى عقد مؤتمر في أبيجان عاصمة ساحل العاج قبل إعلان استقلال موريانيا بيومين وأعلنت في المؤتمر أن المؤتمر قرر وجوب تأييد استقلال موريانيا لدى بحث هذه القضية في الأمم المتحدة وتأييد انضمامها إلى عضويتها.

وفي عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م تقدمت حكومة المغرب بطلب تسجيل قضية موريانيا في جدول أعمال الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة.

وبعد مناقشات بين الدول الأعضاء في الأمم المتحدة انتهت رأى اللجنة السياسية الدائمة للجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إعلانها تأييد منع موريانيا الاستقلال.

وهكذا حصلت موريتانيا على استقلالها وأعلن قيام جمهورية موريتانيا الإسلامية في نهاية عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م وانتخب ولد داده رئيس التجمع الموريتاني رئيساً للجمهورية وانضمت الدولة الجديدة إلى الأمم المتحدة عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م ثم انضمت بعد ذلك إلى جامعة الدول العربية.

sharif mahmoud

الباب السادس

السودان

السودان من الفتح العربي إلى الاستقلال

- * الوصف الجغرافي
- * السكان
- * حركة تعریب السودان
- * الدين والحركات الصوفية في السودان
- * استقلال السودان

مع أن هذا الكتاب يتحدث عن تاريخ دول المغرب العربي فإنه يتناول أيضاً تاريخ السودان وذلك للدور الذي لعبته القبائل المغربية والعربية في دخول الإسلام إلى السودان ثم انتشاره بين ربوعه خاصةً السودان الغربي فلزم الحديث عن السودان باعتباره امتداد لحركة الجهاد الإسلامي العربي. أما شرق السودان وشماله وجنوبه فقد تمت إليه هجرات عربية من مصر منذ بداية الفتح الإسلامي وخلال العصور الإسلامية لمصر وخاصة عصر المماليك.

والسودان هضبة فسيحة تتعزل عن شمال وادي النيل فالصحراء يجري فيها النيل ويهده من الشرق مرتلقات البحر الأحمر ومن الغرب منطقة جدباء يجري فيها الروافد التابعة للنيل الأعظم ولا توجد حدود فاصلة بين الدول الجنوبية، وإنما هي حدود سياسية، ويسيطر خط الحدود مع حافة بعض للبحيرات متعرجاً حتى نيمولى فيمتد منها باستقامة إلى الساحل الغربي لبحيرة رودلف مجنازاً أراضي وعراة ويقطع مسلسلات عالية عند اقترابه من البحيرة وتركه لها. ثم يتبع خط الحدود مسيرة مع حافة هضبة الحبشة وهضبة أريترية حتى البحر الأحمر ثم يسير مع البحر الأحمر إلى خمسة ميل مع الإقليم المصري.

فالسودان ترتيب حدوده مع شمالاً ومع أريتريا والحبشة مرقاً ومع أوغندا والكونغو في الجنوب وفي الغرب مع دولة تشاد وتفرق مساحة السودان ضعفي مساحة مصر ولذلك تباعد خطوط العرض في بلاد السودان وكان لهذا التباعد نتائجه في تنوع الظواهر المناخية والحياة البدانية

والحيوانية والبشرية وتعددت التراحمي المضمارية الريفية الصحراوية كما تزعمت المجتمعات البشرية وتعدد الاقتصاد.

في يوجد على النيل العظيم المجتمع الحضرى وفي جبال النوبة فى جنوب شرق كردفان المجتمع القبلى وكذا عند روافد النيل الجنوبيه .

كذلك يوجد المجتمع الرعوى والمجتمع الزراعى . وتنتمى المناطق فى السودان . فهضبة السودان المستوية يجري فيها نهر النيل وروافده ويحيط بها المرتفعات من الشرق والجنوب ومجموعة متعددة من التلال منها مرتفعات النوبة التى فى جنوب شرقى كردفان.

ويحيط بجهز النيل الذى يجري فى هضبة السودان الصحراء التى تمتد على شاطئه من الشرق كما تمتد من الغرب حتى حدود المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب .

وتطل أرض الصحراء التى تغطىها الرمال والحمى بعض التلال التى لايزيد ارتفاعها عن بعض مئات من الأمتار وهى متباذلة ، تبدو متباudeة أحياناً وتنقاب أحياناً أخرى تشكل سلسلة جبال متباذلة .

وتحتالف شكل الأرض فى الناحية الشرقية فهى عند البحر الأحمر صخور صلبة بلورية الشكل وتمتد فى ارتفاعها إلى آلاف الأقدام مع الانحدار الفجائي الشديد إلى الداخل وتمتد حتى تربط مرتفعات الإقليم المصرى من ناحية والإقليم الأريتري من ناحية أخرى

على أنه يوجد سهل ساحلى ضيق يفصل تلك التلال عند ساحل البحر كما توجد روافد مثل العلاقى . هذا بينما يغطي ظهر الصحراء ناحية

الغرب الذى تتدفق المياه الجوفية من ببابيع تشكل واحات تسليمه ونخيله والعلقان، فى هذا الجزء الغربى يوجد وادى العلاك الجاف الضحل الذى يذلوج عرضه بين ميل وميلين وينتهى إلى النيل قرب بلدة الدبة، كما يوجد وادى المقدم وينتهى عند بلدة كورتى.

ويبدأ من النيل الأبيض فى الجنوب فى هذا المجال الصحراوى إقليم رمل الترية ويمتد نحو الغرب حتى دارفور تختلطه بعض التلال التى يوجد بها بعض الأودية التى تخفيها الرمال شمala.

والسودان الشمالى ويقع بين وادى حلفا والخرطوم. أما فى السودان الأوسط ويقع بين الخرطوم وحوض نهر السوباط وبحر الغزال فتبدأ الترية السوداء التى تشمل كل منطقة السودان الأوسط والتى تتدنى من الشرق حتى تضم كل الأجزاء الجنوبيه منكلا، كما تشمل على البطانة فيما بين النيل الأزرق وعطبرة وهى منطقة خصبة الترية تسقط بها كمية من الأمطار تكفى لإقامة بعض المزروعات وبه مراجع واسعة على شاطئ النيل ونهر عطبرة ويزرعون الحبوب والقطن.

والسودان الجنوبي الرافع بين هذين الحوضين والوحوض الجنوبي لنهر النيل.

وفي الجنوب إلى حوض نهر الغزال يوجد حوض مستوى السطح تشقه عدة روافد مجاري مياه تفريض مياها على جوانبها وتعطى مظاهر المستنقعات وهي تعرف بمنطقة السدود وبعض هذه المجاري تواصل سيرها حتى بحر الغزال أو بحر الجبل. وهذه الناحية الجنوبيه من السودان تغطيها للحشائش والأدغال.

أما منطقة المستنقعات فتحطمتها الغابات والبردى وبعض الحشائش الأخرى. وتترتفع بعض أجزاء في المنطقة ببلي عليها سكانها فراهم وير عون أغذامهم ويزرعون بعض البقاع ومنه من يشنغل بصيد الأسماك ويصطادون في الغابات.

أما عن المناخ في السودان فهو يتدرج من المظاهر الصحراوية في الشمال العلوي الجاف شديد الحرارة إلى المظاهر المدارية في الجنوب حيث المطر الغزير وحيث الرطوبة تنقل درجة الحرارة عنها في الشمال.

وتتعرض سهول السودان لدواعين من الرياح فتهب الرياح التجارية الشمالية الشرقية من صحراء العرب في شهر نوفمبر وتستمر حتى شهر إبريل.

ثم تأتي الرياح الجنوبية المشبعة بالأمطار من شهر مارس حتى يبلغ الذروة في شهر يونيو وأغسطس ثم يقل تدريجياً حتى شهر نوفمبر، بينما يأتي الجفاف في ديسمبر ويناير وفبراير.

والمعطر أهم العوامل المناخية في السودان وذلك بسبب وجود مناطق كثيرة لارتفاع من مياه الأمطار ورودافده وتزرع أرضتها بالأمطار بما يزيد عن ثمانية في المائة من أرض السودان المنزرعة وحيثما تكون الأمطار يكثر ازدحام السكان، وحيث يقل المطر تقل كثافة السكان وتختلف حرفياً الرعي للإبل والماشية، ونذكر الأمطار كلما كان الإتجاه جنوباً، كما يطول موسم الأمطار.

أما في منطقة الخرطوم فيتمد موسم الأمطار من يونيو إلى أغسطس.

أما في أقصى الجنوب في جوبا فيمتد من فبراير إلى نوفمبر ويستمر العطر مدة أربعة شهور في واد مدنى.

وفي السودان الشمالي حيث تمتد السهول الشرقية ناحية البحر الأحمر فيزدح النذرة في تلك السهول وعلى شواطئ النيل وتسكنه قبائل البقارة . كما تكثر المرعات في تلك التواحي التي ينتقل فيها الرعاع من ناحية إلى أخرى للرعي .

وتكثر في السودان الجنوبي وتعطيه الحشائش والأدغال وفي جنوب نهر الموياط ويحر الغزال .

ويتحول في الجنوب إلى مستنقعات تعطيها الغابات والبردي والخشائش التي تتسرب في فقد كثير من المياه المنحدرة من بحيرة البرت إلى بحر الغزال .

السكان:

الزنوج هم سكان السودان الأصليين وهم العنصر الأسود (السود) على أنه دخل السودان جماعات من الحبشة ومن بلاد العرب شرقاً ومن مصر وشمال أفريقيا (برير) شمال وغرباً. على أن قدوم تلك الجماعات إلى بلاد السودان كان بعرض التجارة والعبود. وكان لدولة المرابطين دور في نشر الإسلام في أفريقيا وامتداده من جنوب المغرب الأقصى من موريتانيا إلى حوض النيل وبلاد البربر والكامن من الملثمين الذين دخلوا في الإسلام ثم قاموا بحمل لواء نشر الدعوة الإسلامية وتمكنوا من فترات رحلاتهم للتجارة من تغفل التفود الإسلامي من ترشاد إلى غرب السودان

وأرض التربة. كما أن الكثلة الكبيرة من قبيلة زوارة البربرية المسلمة التي كانت في فزان وهاجرت إلى أقليمي وادي دارفور غربى الخرطوم وهاجرت معها عرب الشوا وهم رعاة الشاة ومنهم في غربى السودان اسلامات وخزام والجعاونة والمحايد والدكاكير ثم بعد ذلك أولاد سليمان وهولاء أقاموا مملكة إسلامية في أقليمي دارفور ووادي حوالى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى .

على أن القبائل العربية التي اندفعت إلى أرض التربة ونزلتها، وبقى بعضهم في دنفلة ثم واصلوا سيرهم مع النيل حتى وصلوا إلى النيل الأبيض ثم اتجهوا إلى الجنوب بغرب منتشرين في أرض كردفان .

أما سكان جبل التوبا فهي تعد وحدة جنسية من سلالات الفتح الذي تمت إلى دارفور حتى نيجريا ومحالل الذهب (غانة) حيث كانت إقامتهم في مناطق جبلية عالية تحول بينهم وبين الاملازاج مع العنصر العربي في تلك المناطق .

وينقسم السودان إدارياً تسع مديریات هي مديرية الشمالية وعاصمتها دنفلة ومديرية الخرطوم وعاصمتها أم درمان ومديرية كسلا وعاصمتها كسلا ومديرية كردفان وعاصمتها الأبيض ومديرية دارفور وعاصمتها الفاشر ومديرية النيل الأزرق وعاصمتها وار ومديرية أعلى النيل وعاصمتها الملاكال والمديرية الاستوائية وعاصمتها جوبا .

والزنج قبائل كثيرة من الشاك غربى النيل الأبيض عند بحيرة نو في قرى متسللة لكل قرية شيخ ولكل مجموعة من القرى ناظر وأفرادها أقرياء وشجعان طوال القامة أما قبائل الدنكا فتسكن شرقى النيل الأبيض

سود الوجوه وهم أجمل النزوج شكلًا. أما قبائل الدوير فتقع في بحر الغزال ويحر سبت في منطقة السدود والمستنقعات والجزر ثم النوبة التي تسكن أفرادها جنوبى كردفان وأجسامهم عارية.

ويحترف النزوج الذين يطلق عليهم اسم العبيد أو السود أو الـجرو الصيد وتربية البقر والماشية وكل قبيلة لغة ساذجة قليلة الألفاظ وهم في غالبيتها وثنيون.

أما الصحراة الشرقية بين النيل وساحل البحر الأحمر فهناك قبائل الـبجة وهم أيضاً بقايا شعوب إثيوبيا القديمة ويقال أنهم من سلالة أولاد كوش ابن حام بعد الطوفان وكانتوا وثنيين ثم صاروا مسلمين وقى الـبجة قبائل للعبابدة ويصلون بالسودان والبشرية من القصدير إلى سواكن والآخران والهندورة وهم أقوى الـبجة بين خوريكة والمعطبرة وطريق برير سواكن وقبائل بدوى عامر والجباب.

كما أن سكان الجزيرة العربية من نزح إلى السودان في تاريخ بعيد، غير أن نزوح القبائل العربية كان أوضاع واكثر فالعرب الذين سكنوا السودان بعد الإسلام هم أكثر السكان عدداً وأوفرهم حضارة وذكاء وعلماً.

ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان اتجه عبد الله بن أبي سرح بحملة عسكرية إلى أرض النوبة حتى دنقلا وعقد مع أهل النوبة معااهدة اشتهرت عليهم فيها صيانة المسجد الذي بناه المسلمون في دنقلا وحماية المسلمين الذي يقدمون إلى النوبة وقد مهدت هذه الخطوة للعرب النزوح إلى أرض النوبة والعيش في تلك الأراضي في بلاد مريس بأرض السود وبأرض المعدن ببلاد بجة في شرق السودان.

وفي العصر العباسي في عهد الخليفة المعتصم حرم العرب من المرتبات التي كانت تدفع لهم كجنود، ونزل جماعات من عرب بلى وجهينة ومن اليمينية إلى أرض المعادن أرض المعادن أرض البجة وفي عهد المدرك العباسي نزلت قبائل من ربيعة كذلك.

وقد منعت هذه الهجرات العربية قبائل البجة - سكان شرق السودان - من الاغارة على الصعيد كما ثبت مصاورة بين العرب من ربيعة والبجة وصارت معادن الذهب بالعلاقى في أيدي العرب الذين اتسع نفوذهم وكثرت أموالهم وصارت لهم مكانة في بلاد البجة وبنوا القرى وحفروا الآبار وعمرت بهم المنطقة وكثير العرب من مصر من بلى سليم وغيرهم وفي العصر الفاطمي دخل جماعات من بنى فره بلاد الديوب بعد خلاف وقع بينهم وبين الحكام الفاطميين واستقروا بها بعد خلاف وقع بينهم وبين الحكام الفاطميين واستقروا بها.

وفي عهد الخليفة الفاطمي الجاكم حصل زعيم ربيعة بشر بن اسحاق من الخليفة لحاكم على لقب كلز الدولة مكافأة لوفائه لل-fatimiyin.

وفي العهد الأيوبي

اخلف الأيوبيون ويدى الكرز فانسحب بدو الكرز من مصر واتجهوا إلى الجنوب واستقروا في بلاد مريس وهؤلاء هم جماعة الكرز الذين في بلاد الديوب لم يخرجوا منها وظلوا على حالهم لا يدازعم فيها أحد.

وفي العصر المملوكي

ظهرت حركة المقاومة العربية التي قادها الزعيم العربي حصن الدين

شُلُبُ الَّذِي قَالَ أَنَّ الْعَرَبَ هُمْ أَصْحَابُ الْبَلَادِ وَمَدْعُ الْأَجَادَادِ مِنْ تَنَاوُلِ
الْفَرَاجِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَرَبَ أَحْقَى بِالْحُكْمِ مِنِ الْمُمَالِيكِ.

جَمِيعُ حَسْنِ الدِّينِ الْعَرَبُ الَّذِينَ بَلَغَ عَدْدُهُمْ إِلَى عَشْرِ الْفَ فَارِسٍ
وَحَارِبُ بِهِمِ الْمُمَالِيكَ بِقِيَادَةِ عَزِ الدِّينِ أَبِيكَ سُلْطَانِ الْمُمَالِيكِ.

وَقَامَتِ الْمَعَارِكُ الْحَامِيَّةُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُمَالِيكِ وَأَنْتَهَتْ بِخُرُوجِ الْعَرَبِ
مِنْ مَصْرَ فَاتَّجَهُوا إِلَى بَلَادِ السُّودَانِ ، فَكَاثُرُوا هَذَاكَ أَهْلَ الْبَلَادِ حَتَّى صَارُ
لِقَبَائِلَ بَلَى وَجَهِيَّةَ وَمَجِيدَ وَمَهْرَةَ وَجِيدَانَ مِنِ الْيَمِينِيَّةِ الْغَلْبَةُ عَلَى بَلَادِ
الْلَّوِيَّةِ .

وَفِي عَهْدِ السُّلْطَانِ الْمُمْلُوكِيِّ قَلَّا وَلَوْنُ وَصَلَّتْ جَهِيَّةُ كَمَا جَاءَ فِي نَسْبِ
الْسُّودَانِيَّينَ إِلَى مَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ قَبْيَلَةً عَلَى النَّدِيلِ الْأَزْرَقِ حَتَّى تُونِسَ .
وَلَسْتَقْرُ بَعْضُهُمْ فِي الْجَزْءِ الْمُعْتَدِلِ مِنِ الْجَنُوبِ إِلَى كَرِدَفَانَ وَدَارِفُورِ .

وَفِي غَرْبِ السُّودَانِ يَوْجُدُ جَمَاعَاتٌ تَنَسَّبُ إِلَى الْهَلَالِيِّينَ أَوْ إِلَى أَبِي
زَيْدِ مُثْلِ التَّنَجُورِ وَالْفُورِ وَالْزَّرِيقَاتِ وَهَلَالِيَّةِ الْبِرقِ وَالْزِيَادِيَّةِ وَقَدْ نَتَجَ عَنْ
اللِّتَّامَازِجِ بَيْنِ الْعَرَبِ وَالْسُّودَانِيِّينَ صَعْدَيْهِ التَّمَيِّزُ بَيْنَهُمَا .

كَمَا أَنَّ هَذَاكَ جَمَاعَاتٍ مِنْ قَبَائِلَ بَنِي سَلِيمِ وَبَنِي فَزَارَةِ تَعْرُفُ بِاسْمِ
بَنِي سَلِيمِ وَتَنَتَّهُ إِلَى مَجْمُوعَةِ الْبِقَارَةِ وَتَعْبُشُ عَلَى النَّدِيلِ الْأَبْيَاضِ مِنِ
اللَّاحِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ فِي كَرِدَفَانَ . وَمِنْ قَبَائِلَ فَزَارَةِ الْفَيْسِيَّةِ الَّتِي فِي شَرْقِ وَوَسْطِ
كَرِدَفَانَ فَتَنَالَفَ مِنْ دَارِ حَامِدِ وَبَنِي جَرَارِ وَالْزِيَادِيَّةِ وَالْبِزَعَةِ وَالشَّنَابَلَةِ
وَالْمَعَانِيَا . ثُمَّ انْتَسَبَ الزِيَادِيُّونَ فِيمَا بَعْدَ إِلَى أَبِي زَيْدِ الْهَلَالِيِّ .

أَمَّا الْبِزَعَةُ فَقَدْ قَدَمُوا مِنْ شَمَالِ أَفْرِيَقِيَا كَمَا قَدَمَتْ قَبَائِلُ هَرَارَةَ مِنْ

صعيد مصر إلى السودان ونزلوا في شمال السودان وغالبيتهم بدور حل
ومنهم من استقر في دنقلا، وترحل هوارة في فصل الامطار بقطاعها إلى
غرب السودان ويقومون بالرعي مع الكباش من وادى الكاب إلى حدود
دارفور. ثم يعودون إلى الشرق في فترة الجفاف.

ويعيش جماعة أخرى من هوارة بالقرب من الأبيض في كردفان حول
خمي وأم دليكه وقد اختلفت محلة بعض هوارة من العناصر الزنجية لشدة
اختلاطهم بهم.

أما قبيلة قريش فإنهم كانوا أكثر إنعاماً مع عرب السودان من
غيرهم. فمنهم البكريون والعمريون والزبيريون والطاليبيون والعبياسيون
والأمويون.

على أنه يمكن تقسيم العرب في السودان إلى ثلاث فرق جهينة
والطاليبيون والعبياسيون، على أن أكثر الطالبيين يجتمعون في ركاب غلام
الله بن عاذ وأما العبياسيون فلتجتمعهم قبائل الجعليين على أن غالبية عرب
السودان تنتمي إلى جهينة.

ومن القبائل التي تنتمي إلى جهينة الشكرية ومن قبائل قريش من جاء
السودان من مصر ومنهم من جاء من بلاد المغرب العربي.

ومن القبائل التي تنتمي إلى أبي بكر الصديق قبيلة نجد المسلمة، كما
أن هناك جماعات تنسب نفسها إلى البكرية وهؤلاء يعيشون في الجزيرة
وعلى صنفتها النيل الأبيض، وغالبيتهم يمارسون الزراعة ومنهم شعبه
نمارس البداوة وتعيش في البطانة.

واشتهر الجعليون وهم أكثر عدداً في السودان بأنهم عباسيون ويعيش
الجعليون على نهر النيل في المنطقة بين الخرطوم وبلاد النوبة وفي شعب
وقروع البطانة والليل الأزرق والليل الأبيض جنوب الخرطوم ونحو الغرب
إلى كردفان والغالب أنهم أتوا إلى السودان من مصر.

وسكن الطالبيون وادي الكلوز ووادي النوبة إلى حدود دنقلاً ويبعدون
هذاك صلة تربط بين الطالبيين والكلوز ثم قدم إليهم جماعات منهم
للجواربة والن الغربية وجاروهم.

أما قبائل الركابية فيسكنون أواسط بلاد المحسن في دنقلاً ويৎسبون
إلى جد من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب وهو ركب بن غلام الله.
وقد هاجر هؤلاء إلى غرب السودان.

أما الجعافرة فقد نزلوا بلاد المحسن ومنهم جماعة تعيش في كردفان
ولها اتصال بالجسامعة والعليقات وهي عشيرة كانت في وادي العلاقى في
أرض المعدن ومنهم جماعة سكنت بين المضيق وكديسوكو ومنهم جماعة
للسوارية في بلاد المحسن.

أما أسرة سوار الذهب من البيت الهاشمى فقد عاشت في دنقلاً. وأما
جماعة الفادنية فقد سكنت في بورحصين وهؤلاء يرجع نسبهم إلى محمد
بن الحنفية.

على أن جماعات كثيرة في أنحاء متفرقة في السودان تذهب إلى
قرى منهم العبابدة وهم من نسل الزبير بن العوام ويتعلمون بالكراءلة
والعبابدة والكراءلة من قبائل بطحاء مكة وقد هاجروا من مصر إلى غرب

السودان ولهم في كردفان أثار، ثم اشتغلوا بالرعي وهم جماعة القرن أبناء عمهم، وتزلا بالضفة الشرقية للنيل شرقى العريفات وإلى مابعد شرقى الحلفاية شمالاً وملوك سدار (القرونج) وهم أيضاً من قريش وهي أول سلطنة إسلامية في السودان، ظل القرونج يحكمون على مدى ثلاثة قرون منذ بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وهم من بني أمية وهم من جاء من الغرب ويحتمل من الجنوب من العبشة حيث أن الكامن واليرنر يذكرون أن جماعة من بني أمية قدمت إليهم عقب تبع العباسيين لبني أمية.

ومن قريش أيضاً قبيلة كنانة بن خزيمة ويذكر أن كنانة من نزح إلى السودان في عهد الملوك قدمت كنانة إلى السودان بزعامة متصور ومنهم شعبت بطنون كنانة السنة منهم أولاد سوار، وسكنوا سواكن، ثم غادروها إلى دنقلاً واستقروا بها وقتاً ما ثم افترقت جماعتهم فذهبت جماعة منهم إلى كرن جنوبي نقل في كردفان وذهب آخرين إلى الكبايش، واستقر آخرون منهم وهو الغالبية في شرقى النيل الأبيض وظلوا بها لم يبرحوها.

لقد تحول السودان الشمالي ليكون موطناً للقبائل العربية ويقع السودان الجنوبي كجزء من الجنس الزنجي في أفريقيا. ففي السودان الشمالي شبه الصحراء توجه جماعات حامية، وتتبادر هذه الجماعات من ناحية التنقل والإقامة فهي مستقرة أحياناً مثل الكثرة والدناقة والمحسن والسكوت.

وفي المديري الشمالي يعيش الناس على جانبى النيل فيما بين حلاوة وبدرير، أما الجماعات المتنقلة مثل البشرية والأدرار والهدودرة فهم يعيشون

في صحراء عذاباً ومرتفعات البحر الأحمر وقد امتدت النوبة في شرق السودان بالبجاية ومع العرب، ويتحدث البشارية والبجاية العربية، والبجاية عادة قوم رعاة ومنهم أيضاً من يعمل بالزراعة في دلتا الجاشي ودلتا طوكر وأيضاً في بور سودان.

أما السودان الأوسط، فيوجد العرب في مديرية الخرطوم وكردفان ودارفور وجنوب ك耷لا في الجبل الأبيض، ويعيش بعض الأجناس الأخرى في تلك المناطق مع العرب مثل زغاوة والفور يعيشون في دارفور والماليت وتعيش جماعات ميدوم في جبال ميدوم.

وتقوم الجماعات العربية في الشمال برعي الإبل بينما يعمل آخرون في الحواف الجنوبية برعي الأبقار.

أما مجموعة جهينة من قحطان فهي:

- أ) مجموعة رفاعة واللحويين والعوامرة والخوادة والشكرية وهم يعيشون في مديرية النيل الأزرق وفي البطانة.
- ب) مجموعة دار حامد وبني جرار والزيادية والبزغة والشانبلة والمعاليا ويعيش هؤلاء في مديرية كردفان في المناطق الشرقية والوسطى.
- ج) مجموعة الدويحية والمسلمين والبقاء والمحميد والماهرية ودارفور وبعضهم مثل الدويحية والمسلمية تعيش في أرض الجزيرة ومديرية النيل الأزرق، على أن البقاء الذين في كردفان تتضمن منهم بني سليم وأولاد حميد والهبانة والحوازمة والمسيرية والحرمر والمسيرية الزرق.

أما البقاء الذين في دارفور فتشعب إلى الزريقات الهبانة والتعايشة

وتنقسم الكبابيش الذين حول وادى الملك إلى عدة قبائل:

وفي جنوب السودان:

يعيش البقارية في منطقة وفيرة الزرع والمطر وهم يرتحلون كرعاة للبقر فهم يعيشون في الشفاء الجاف على منفاف بحر العرب في الأطراف الجنوبية لدارفور وكردفان أما في فصل الأمطار حيث تتحول المنطقة إلى مستنقعات، وبهاجم الذباب الماشية فحيثما يتجهون صرب الشمال ثم إذا انتهت فترة الأمطار فإنهم يبدأون في الاتجاه صوب الجنوب إلى بحر العرب فيتقابلون مع النيلين - سكان مجرى أعلى النيل - من الدنكا والدوير والشلوك وينتشرون في مديرتي بحر الغزال وأعلى النيل، ويعيش قبائل الدوير والدنكا في المرتفعات بعيداً عن المجرى المائي الذي تغمر الأرض في فصل الفيضان ثم يلحدرون متوجهين إلى الأرض المنخفضة بعد انحسار المياه في فترة الجفاف وتتمو الحشائش قيرعون فيها ماشيهم.

فقبائل الدنكا تعيش حياتها بين الأراضي المنخفضة والأراضي المرتفعة التي يبيتون فيها بيوتهم حماية لهم من مياه الفيضان الذي تغمر الأرض المنخفضة في فصل الأمطار ويعودون إلى الأرض المنخفضة في فترة الجفاف حيث يقومون بزراعة الأرض خلالها.

على أن اعتماد القبائل النيلية في الجنوب على الأمطار بشكل عام على الرغم من عدم انتظام هطول الأمطار خلال العام، ولا تقوم تلك القبائل بالاستفادة من لحم ماشيدها وإنما تستخدمها للمبادلة بالحراب.

sharif mahmoud

وأمس قبائل النوبة التي في جنوب السودان فهى مستقرة وتعمل
بالزراعة.

الدور العربي في تعريب السودان في العصر المملوكي

افت الدولة الأيوبية بكل ثقلها لحماية الثغور المصرية الشامية من الخطر الصليبي ولكن الحدود الجنوبية لمصر لم تلق مثل تلك العناية إلى حد أنه أهمل شأن الحامية العسكرية التي كانت قائمة على الحدود عند أسوان مما أدى إلى قيام ملك النوبة بشن غارات على المناطق الملاصقة لحدود مصر الجنوبية وتمكن من أسر جماعة من أهلها.

حقيقة أن الخطر كان يجيء دائمًا من مصر من الشمال أو الشرق إلا أن الجنوب كان أيضًا في حاجة إلى عناية الدولة وحمايتها لأهلها. أما في عصر دولة المماليك فقد أسيئت الدولة عنایتها واهتمامها بحدود مصر الجنوبية، ونشطت العلاقات بين مصر والنوبة، فكان لمصر دور فعال في حماية عرش النوبة من مختصبيه.

ومن الجدير بالذكر أن القبائل العربية في مصر شاركت في هذا العصر في الحملات الحربية ضد النوبة.

ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس (١٢٥٩-١٢٧٦ م) وقع صراع بين شكتده ملك النوبة وبين خاله داود على العرش عام ١٢٧٤ م واستطاع داود بإيعاد شكتده عن عرش النوبة فلجأ إلى مصر واستنصر بالظاهر بيبرس لإعادته إلى العرش ولما كان ملك النوبة الجديد يسعى جاهدًا إلى توسيع رقعة ملکه واتجه بالفعل إلى جنوب مصر مهدداً حدودها فقد أدى ذلك إلى توتر العلاقات بين مصر والنوبة وعزز الظاهر بيبرس على مواجهة داود، وسبق ذلك لقاء تم بين شكتده ملك النوبة المخلوع والظاهر بيبرس في مصر وفي هذا اللقاء عرض شكتده على

الظاهر طلبه فقبل الظاهر معاونته ، فجهز حملة عسكرية شاركت فيها القبائل العربية بالوجه القبلي.

خرجت الحملة من أسوان وتقابلت مع الجيش التورى بقيادة الملك داود ووقع القتال بين الفريقين ثم تمكن العرب والمماليك من إيقاع الهزيمة بالملك داود وإعادة سكنته إلى العرش ، ثم وقع سكنته في مقابل ذلك وثيقة يتعهد فيها ببذل جزية سنوية لمصر.

وقد نصت الوثيقة على أن تكون الحصون المجاورة لأسوان ملكاً لمصر ، وأن يعين نائباً للسلطان شرط على التوريين طاعته ويطلق سراح الأمرى المصرىين الذين كانوا محتجزين بالذيبة .

وهكذا شارك العرب فى حملات الدفاع عن حدود مصر الجنوبية . وأسهموا فى بسط سلطان مصر على بلاد التورى وافتتاح عدد من المدن الواقعة من أعلى الجزائر حتى بلاد العلي^(١) .

فى عهد المنصور قلاورن (١٢٩٠-١٢٨٩هـ) عاد ملك التورى إلى شق عصا الطاعة على مصر فاضطرر السلطان لتجهيز حملة مملوكية لتأديب ملك التورى وإخضاعه . واشترك فى هذه الحملة أيضاً قبائل العرب من أولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد الشريف شعبان وأولاد الكافر وبطى هلال وغيرهم وقد تذكرت الحملة من إيقاع الهزيمة بملك التورى وأسره وتعين ملك آخر على البلاد وأعادت مصر فرض الجزية السنوية عليها على التورى الذى كان جارياً فى عهد بيبرس .

(١) بلاد العلي علو، رعى المعرفة ببلاد التورى العليا وكانت قاعدة مدينة (سرية) الواقعة على النيل الأزرق جنوبى الفخر طرم بمدافة ٢٢ كم انتجم الزاهرة، ج ١ ص ١٨٩ .

وفي عام ١٢٩٥هـ / ١٨٨٩م أضطررت الظروف السلطان قلاون إلى إرسال حملة أخرى إلى بلاد النوبة وبلغ عدد من اشترك من العرب في هذه الحملة أربعمائة ألف من عرب الوجهين القبلي والبحري وقد نجحت هذه الحملة لل مصرية من تحقيق أهدافها فانتصر المماليك على النوبيين وتبعدوا ملك النوبة إلى مابعد مدينة دنقلا بمسيرة خمسة عشر يوماً وعادت الحملة إلى مصر في ١٢٩٠هـ / ١٨٩٣م بعد أن تمكن قادتها من تنصيب أسرة الملك داود عرش النوبة وإقرار الجزية السنوية لمصر.

وفي عهد الناصر قلاون (١٢٩٣هـ - ١٢٩٤هـ / ١٨٧٤ - ١٨٧٥م) قامت حملة حربية من مصر عام ١٢٠٧هـ / ١٨٩٣م بناء على طلب من ملك النوبة (إيائى) الذي قدم بنفسه إلى مصر وقد اشترك في هذه الحملة جماعة كبيرة من العرب. وكان نتائج تلك الحملات العربية انتشار العرب في بلاد النوبة واستقرارهم في تلك البلاد وقيام علاقات مصاورة بين العرب والنوبيين وأخيراً انتقال ملك النوبة إلى العرب.

وقد عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله «ثم انتشرت أحياط العرب من جهة في بلادهم واستوطنوها وملوكها»^(١).

كان تغلب العناصر العربية وانتشارها بالسودان عامل رئيسيًا من عوامل الاستقرار الدائم الذي لم يساعد على تأمين الحدود الجنوبية لمصر ضد غارات النوبيين فحسب بل ساعد أيضًا على تعمير وتأمين بلاد النوبة نفسها وحمايتها من الغزو العثماني الذي تعرضت له مصر والشام، ولم تنج من مساوئه.

(١) ابن خلدون، العبر، جه، ص ٤٦٤.

في أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أرسل السلطان سليم العثماني إلى الملك عمارة دنقس (١٥٣٤-١٥٠٥/٩٤١-٩١٠ م) يدعوه إلى الدخول في طاعته أو اعلان العرب عليه، وقد واجه الملك للعربي الموقف بشجاعة فأرسل إلى السلطان العثماني في كتاباً يرغبه فيه عن حرب أهل السودان لأنهم مسلمون يدينون بدين الاسلام وليسوا على استعداد لتقديم جزية سلوفية لأنه ليس لديهم ما يقدمونه، ثم أرفق بكتابه كتاباً بأسلوب قبائل العرب في تلك المنطقة . وقد عدل السلطان العثماني عن عزمه وانسحب بغير حرب . وبهذه الشجاعة العربية امكن تجنب البلاد حالة الحرب حيث قبل السلطان سليم دفاع ملكها وانسحب دون إراقة نقطة دم واحدة.

وهكذا تحقق الأمن لمملكة سوار، وكذلك ساهم العرب في تعمير البلاد فإن مدينة سوار نفسها إنشاء الملك عمارة وقد بلغ انتشار العرب واندماجهم بالمحاورة مع التراثيين إلى الدرجة التي لا يمكن عندها نفرقة العربي عن التراثي إذ أن الجميع أصبحوا يتكلمون العربية وهي لغة الكتاب عندهم ولا يوجد لغة غيرها وهم يتكلمون بلهجة حسنة .

ومن القبائل العربية في السودان خمير وريبيعة وينو كاهيل وينو ذبيان وينوعبعين وفزانة وينو سليم وأغلبها من القبائل التي كانت بمصر ثم هاجرت إلى السودان واستقرت به .

ومن مناطق استقرار العرب نجد أنه في جزيرة (أبا) شرقى النيل الأبيض وغريبه نزلت كنانة وسكنت سليم في جنوبهم وفي بلاد أبي حراز وعبيود ود مدنى سكن العراقيون من بنى جعفر الطيار وسكن معهم

الكواهلة وينسبون إلى الزبير بن العوام وفي شرقى وغربى الذيل الأرق
سكن العلمانيون ويندر حسين واللحوين والقواسمة الحمده والعقبليون
وجميعها تائب إلى جهة ويتضح مما سبق أن القبائل العربية التي
هاجرت من مصر في عهد الدولتين الأيوبيه والمملوكية هي التي قامت
بمهمة تعریف السودان . وظلت بلاد السودان منطقة جذب للعرب المقيمين
في صعيد مصر حتى القرن الثاني عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادي .
وهكذا بفضل جهود العرب أصبحت الحدود الفاصلة بين مصر والسودان
منطقة عبور آمنة للطرفين . وبواسطتها كان يتم التبادل التجارى وأنواع
النشاط الأخرى المختلفة . وازدهرت الهجرة للعلم بالأزهر بالقاهرة بجانب
نشاط المصلحين من أفراد القبائل العربية وتطور دور القبائل العربية في
التعریف حتى أصبح السودان في القرن الرابع عشر الهجرى / العشرين
الميلادى عریبا في لغته مسلما في دینه .

الدين:

انتشر الاسلام في شمال السودان وصارت غالبية المسلمين سنة، كما انتشر في غرب السودان أيضا إلا أن غالبية غرب السودان من الوثنيين ويوجد عدد محدود من المسلمين والسيحيين.

وتقوم برساليات التبشير في السودان كما توجد بعض البعثات الاسلامية.

على أن الاتصال بين الشمال والجنوب مستمر وغير منقطع مما يبشر بوحدة السودان المستمرة.

على أن السودانيين قد أقبلوا على الدين الاسلامي بقلوب مفتوحة وراغبة. وقد عرف السودان المسيحية في القريا السقلي وظللت هناك حتى بداية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ثم أقبلت القبائل العربية من الشمال إلى الجنوب وتبعوا مجرى النيل حتى وصلوا إلى النيل الأبيض، ثم ساروا إلى الجنوب ثم إلى الغرب في أرض كردفان، والجنوب يشق مع مجرى العطبرة والنيل الأزرق في البطانة ثم في الجزيرة.

ونزل الخوالد بها حول كابوشين والجعليون حول شندى والجامعة على النيل الأبيض وتحولت رفاعة في الجزيرة خامسعة لحكم الفونج، كما سارت البقارية مع النيل إلى أن وصلوا دنقلا ثم اتجهوا غربا إلى دارفور، ثم تحول جماعة منهم نحو الشرق.

كما أن الجماعات الكبابيش التي اختلطت بغيرها من الأهالى مما أثر في حركة تعرّب السودان بشكل سهل انتشار الاسلام في أنحاء مختلفة من

البلاد.

ذلك قامت ممالك اسلامية في اتجاه السودان منها سلطنة دارفور
١٠٤٧ـ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥ـ١٦٣٧م التي قامت في غرب السودان بجهود من
الكتجارة القادمين من إقليم بحيرة نشاد ومملكة تقلن التي أقامها جماعة
الجموعين في جبال التردا السفلى في القرن العاشر الهجري / السادس عشر
الميلادي وبقيت هذان حتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر
الميلادي. وقد أخذ المسجد دوره في نشر العقيدة الاسلامية في ربوع
السودان فالمسجد هو الاساس الأول لكل نهضة واصلاح في إطار الأمة
الإسلامية التي اشرف على الدنيا من خلال المسجد شعرين هداية ونور
ومعرفة ورائد حضارة منذ أربعة عشر قرنا فلمسجد درر هام ورسالة
عظمى في بناء الأمة بناء قويا سليما يضطلع عن جدارة واستحقاق باعباء
نشر الدوة وإصالها إلى كل البشر لسعادة الإنسان.

فالمسجد قلوب متعاطفة عاملة بالإيمان وقلوب وعقول نيرة تنعم
بالعلم والمعرفة وأرواحا تصقل وتهذب وجندوا يهتمون برسالة التوحيد
الإسلامية.

لقد امتهن الاسلام بواحدنيته ويساينته وارتبط السودانيون بعقيدتهم الاسلامية وصاروا يفخرون بها وصار لا لهم كبيرا لديهم ونظروا إلى الحياة نظرة اسلامية صحيحة حتى اجتذب الصالحون انتهاء الناس لقيادتهم وقد ساعدت جماعات الصرفية التي ظهرت في السودان والتي من أهمها:

الطريقة الميرغنية:

أسسها الإمام أبو عثمان الميرغلي في ١٢٠٨-١٢٧٠هـ / ١٨٥٢-١٧٩٢م الذي قام برحلات في جنوب السودان ونشر الطريقة الميرغنية (الختمية) كما انتشرت في شمال وشرق السودان.

الطريقة الجدورية: (١٢١١-١٢٤٨هـ / ١٧٩٦-١٨٣٢م)

التي أسسها محمد المجدوب الصغير.

الطريقة الادريسية : التي أسسها الشيخ ابراهيم الرشيدى في عام ١٤٩١هـ / ١٨٧٤م.

هذا ويرجع الفضل في ظهور الطرق الصرفية الثلاثة إلى تلاميذ السيد محمد بن ادريس الفاسي المتوفى ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م والطريقة القادرية الجيلانية التي أنشأها الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى ١٤٦٦هـ / ١٩٤٢م والتي قام بدخولها إلى السودان تاج الدين البهاري.

التيجانية:

التي أنشأها احمد بن محمد بن المختار التيجاني وهي منتشرة في غرب أفريقيا.

الدعوة السنوسية:

وهي الدعوة التي نادى بها محمد بن على السنوسى (١٢٠٢هـ / ١٨٥٩م - ١٢٧٦هـ / ١٧٨٧م) وهو جزائرى المولد. وهذه الدعوة السنوسية هي أول مراحل التحرر الاسلامى المنظم والتى عملت على تحقيق وحدة الشعوب الاسلامية.

لقد بلغ من نجاح الدعوة السنوسية في المغرب العربي أن اتخذها شريف سلطان (وادى) بالسودان أساساً روحياً للمنطقة التي كان يحكمها وهي منطقة متاخمة من الغرب لمديرية دارفور.

قامت الدعوة السنوسية بنشر الزوايا التي تعد مدارات لنشر الدعوة الاسلامية وخدمة المجتمعات الاسلامية ونشر العمران وتشكيل قوات مدربة عسكرياً للدفاع عن البلاد حتى بلغت الزوايا السنوسية ما يزيد عن المائة منتشرة بين برقة وطرابلس وقزان و طريق مصر و طريق وادى بالسودان. وقد سيطرت السودان جنوبياً كما شارك دينار سلطان دارفور السودانية محمد المهدي السنوسى في مقاومة الاستعمار الأنجليزي.

الدعوة المهدية:

بدأ صاحب الدعوة المهدية وهو محمد بن عبد الله بالالتحاق بالدعوة المسروقية السحانية وهي فرع من الطريقة للخلوتية، وقد أدخل الطريقة السمانية إلى السودان الشيخ أحمد الطيب البشير، وحفيده الشيخ الفقيه محمد شريف نور هو استاذ المهدى محمد بن عبد الله (صاحب الثورة المهدية) اختلف المهدى مع الشيخ محمد الشريف شقيقه في الطريقة السمانية وجدد

عليه العهد.

ولد المهدى فى عام ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م ونشأ نشأة دينية فدخل الخلوة وتعلم للقرآن وحفظه ودرس علوم الدين ومال إلى الزهد والتصوف ثم بدأ يدعو الناس لدعوته بأنه المهدى المنتظر الذى على يديه سيعود المسلمين إلى مجدهم القديم ويقهرون أعداءهم.

واسعست الدعوة المهدية وكثير اتباعها ورأى ضرورة التحصن ضد الدولة فاختار منطقة تقل فى مديرية كريمان فى جبل قدير وبذلك أمكنه التغلب على أعدائه من العسكر الإنجليز، ثم اتجه المهدى إلى الأبيض وجعلها مقرا له وقد تحولت الدعوة المهدية إلى حركة سياسية.

ظل المهدى يكافح الإنجليز فى السودان حتى تمكن من التغلب عليهم وبسط سلطانه على السودان.

وفي عام ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م توفي المهدى بعد ما عهد بخلافة ثانية عبد الله التعايشى لقيادة الحركة المهدية.

ظل عبد الله التعايشى يقاوم الانجليز إلى أن تغلبوا عليه فى عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م وخضع السودان للإنجليز.

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ / ذى القعدة ١٣٧٢ هـ أخذت هذه الورقة ت العمل على مساعدة السودان فى الحصول على حرية واستقلاله والخلاص من الاستعمار وانسحبت القوات الأجنبية عن السودان.

واجرت الانتخابات وتشكل برلمان وطني وتكونت حكومة وطنية وأعلن استقلال السودان بعد أن نفت سودنة الوظائف، وانضم إلى جامعة الدول

العربية ثم إلى الأمم المتحدة ثم وقع اضطراب في بلاد السودان حتى قام فريق من الضباط بقيادة اللواء جعفر نميري في عام ١٩٦٩/٥/١٣٨٩ م الذي أعلن قيام جمهورية السودان الديمقراطية ثم شرع السودان في الاتجاه لنقرية عرى الصداقة بين السودان وأشقائه من الدول العربية.

الخاتمة

بدأ الفتح العربي للمغرب حيث انتقلت القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى أرض المغرب وكانت غالبية تلك القبائل من عرب اليمن والجaz وتبعتها الإمدادات الراوفة صحبة كل أمير جديد. مما أدى إلى إقامة مدن عربية كانت بمثابة مركز تجمع لتلك القبائل في المغرب.

وابتداء من القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي بدأ تدفق كبير من القبائل القيسية المستقرة بالشام إلى المغرب في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٢٥ـ٧٤٢ـ٧٢٣هـ) بعد ظهور ثورات البربر والمنازعات العصبية القبلية في عهد الدولة الأموية . وقد رأى الخليفة الأموي هشام أن يعدل من التكرين العربي في بلاد المغرب للحد من سيطرة القبائل اليمنية التي كانت تمثل القابلية من عرب بلاد المغرب خاصة بعد ما ظهرت بعض المشاغبات القبلية في المغرب وأيجاد توازن في نفس الوقت بين العناصر العربية اليمنية والقيسية . وبينهما وبين البربر مما يقلل من خطر قيام البربر بثورات تهدد النفوذ العربي في بلاد المغرب .

ونتيجة لكثر العناصر العربية ظهرت الدوليات العربية المستقلة بالمغرب في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي والتي قامت بتأسيس مدن عربية جديدة كما كانت مراكز جذب قوية للقبائل العربية سواء من خارج بلاد المغرب أو من داخلها للعمل بخدمة تلك الدول مما ساعد على نشر لحضارة الإسلامية في المناطق التي خضعت لgovنها كدولة الأدارسة في المغرب الأقصى في عام ١٧٢هـ/٧٨٨م . والأغالبة بأفريقيا في عام ١٨٠هـ/٨٠٠م واعتبار من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي خلقت

الدولة الفاطمية الشيعية هذه الدوليات العربية في حكم بلاد المغرب واعتمد الفاطميون على أسر عربية خلائقه توازراً لهم فأرسلوا إلى بني همدون إدارة المسيلة والزاب والى الكلبين حكم جزيرة صقلية وعملوا على تشكيل بلاطهم من الوزراء والكتاب والقمنة من العاشرة العربية وغيرها.

ثم جاءت الهجرات الهلالية في ملتصف القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادى حيث حركتها الدولة الفاطمية بعد انتقالها إلى مصر تلك الهجرة التي نجحت في نشر الدين الاسلامى واللغة العربية وتكونن الدوليات العربية المستقلة في القرن الثالث الهجرى/ الناسع الميلادى ببلاد المغرب فأئت الهجرات الهلالية لتعريب تلك القبائل البربرية وتعديل التكوين الجنسي والعمرى لسكان المغرب ونفع عن امتزاج العرب والبربر أجياك أفرى شكيبة وأشد مراما من أجدادهم. كما ساهموا في نشاط الدول الغربية الاسلامية التي قامت بعد ذلك في بلاد المغرب مثل دولة المرابطين التي شملت المغاربة الأقصى والأوسط والمصحراء وامتد نفوذها إلى الأندلس واستمر نحو قرن حتى ملتصف القرن السادس الهجرى/ الثاني عشر الميلادى وتلامهم الموحدون الذين وجدوا المغرب كله مع الأندلس في دولة واحدة مدة قرن من الزمان ثم انهارت دولتهم وقامت على أنقاضها ثلاثة دول مستقلة هي الدولة الحفصية بتونس وبني عبد الواد بتلمسان والدول المربيتة بقبائل بالغرب الأقصى .

وبينما اصطدمت قبائل البربر بعد اسلامها أنساباً عربية حتى تتساوى مع القبائل العربية وتشترك في الحياة السياسية الجديدة خلال الأربعية قرون الأولى للهجرة عمدت بعد ذلك بعض الدول المغربية ذات الأصل البربرى لأن تتشكل لنفسها خلافة خاصة تستند إلى الأسس الشرعية الالازمة كالنسب

النبي والأنصاف العربي لهذا قال الموحدون بانتماء خلفائهم إلى الرسول عن طريق الأدarsة واتخذوا اللون الأخضر شعارا لهم كي يظهروا ميلهم للدعوة الفطوية . بينما زعم الحفصيون أنهم من سلالة الخليفة أبي حفص عمر بن الخطاب . ولقد حرصوا على الاعتزاز بهذا الأصل وإظهاره في كل مناسبة ويظهر ذلك واضحا في أقوال كتاب وشعراء تلك الدول بل لقد حرص ملوك وأمراء بنى مرين على مصاورة القبائل العربية المقيمة في المغرب فزوجوا النساء العربيات واستخدموها في الحاجة والكتابة رجال من العرب . ولعل تلك السياسة العربية التي انتهجتها تلك الدول المربيبة كانت وازعا هنوريا لاكتساب الشرعية الكافية في مواجهة جيرانها وأعدائها من الموحدين والحفصيين وبني عبد الواد الذين أدعوا لأنفسهم هذا الأصل العربي والنسب النبوى ، كما اتخذوا أحكاما من القبائل العربية .

كما أن القبائل العربية لعبت دورا أساسيا في صراع الموحدين مع بني غانية (بقايا دولة المرابطين) والعماليك الغز الذين انتقلوا من مصر إلى أفريقيا . إذ قام العرب بمحالفة بني غانية ومناصرتهم حتى بدأ أن دولة المرابطين تبعث من جديد في أفريقيا بمعاونة القبائل العربية إلا أن الموحدين قضوا على هذا التحالف وتبعوا بني غانية بالقتل والشرد . كما نقلوا القبائل العربية التي عارنت بني غانية إلى المغرب الأقصى . حيث شرقت رياح ببلاد الهيبط وجشم ببلاد تامسنا واستخدموها العماليك الغز في جيوشهم .

ولاشك أن هذه الامتدادات التي لعبت فيها القبائل العربية دورا ولمنها أدت إلى تعين أبي حفص والبا دائمًا على أفريقيا مما ساعد على قيام الدولة الخصبة المستقلة بعد ذلك .

كما ساهمت القبائل العربية بدور إيجابي في السياسة الجماعية للدول المغربية ببلاد الأندلس فما أن استنجدت الأندلس ببلاد المغرب لمقاومة الغزو المسيحي بقيادة مملكة قشتالة حتى لبت تلك القبائل الداء للدفاع عن الأندلس .

وقد أشاد المؤرخون ببلاد الفرسان العرب في موقعة إقلين في عام ٥٠١هـ/١١٠٨م في العهد المرابطي وفي موقعة الأرك في عام ٥٩١هـ/١١٩٥م في العهد الموحدى . وحتى حينما نجح القشتاليون في الانتقام لهزيمة الأرك وتمكنوا من دحر الموحدين في موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م كانت القوات العربية آخر من ترك ميدان المعركة وقام بعض قرمانهم بمعاونة الخليفة الناصر على الفرار .

وفي عهد الدولة المرينية أزدادت مشاركة القبائل العربية عدد اشتراكهم في الجيوش المرينية بل كانت جموعهم تشكل الجانب الأكبر من الامدادات التي وصلت من المغرب إلى الأندلس . ولم يقتصر دورهم في العمليات الحربية على تنفيذ ما يصدر إليهم من أوامر عسكرية بل شارك شيوخها كمستشارين في المجال الحربي للسلطان المريني لإبداء الرأي حول الخطط العسكرية وأسند إلى القبائل العربية حماية الممتلكات المرينية بالأندلس والدفاع عنها .

ونتيجة لقيام ثلات دول متنازعة على أنفاس دولة الموحدين اضطررت كل دولة إلى الاعتماد على بعض هذه القبائل المستقرة ببلادها اعتمادا يكاد يكون تاما بحيث صار من الصعب استغناء ملوك هذه الدول عن الحفاظ على أمن بلادهم في حالة تخلي تلك القبائل عنهم . فاعتمدت

لدولة الحفصية على قبائل رياح ثم قبائل بنى سليم وكرفة من عرب الأثنين بعد تمرد رياح عليهم. كذلك حالف بدو عبد الواد قبائل زغبة التي استقرت بالغرب الأوسط وعرب ذوى عبيد الله وذوى منصور (المنبات وأولاد حسين والعمارنة) من العقل.

أما الدولة المربيبة فقد اعتمدت على القبائل المستقرة ببلادها بقيادة عرب سعيد لاستعادة أملاك الدولة الموحدية سواء في المغرب الأوسط أو في أفريقيا خلال عهدي السلطان أبي الحسين المررين وأبي عثمان في الفترة من عام ١٢٣١هـ/١٢٥٩م إلى عام ١٢٣١هـ/١٢٥٨م حيث يصل ملك المررينين ما بين برقة إلى السوس الأقصى.

وعلى الرغم من ذلك لم تكن جميع القبائل العربية التي استقرت ببلاد المغرب تطلي الود خالصاً للدول النظامية التي استقرت بأرضها، فما أن تضطرب الأحوال السياسية لدولة حتى ترى بعضهم ثائرين أو مؤيدين للحركات الخارجية عليها، ويلاحظ أن هذه القبائل بجانب ذلك منحوا تأييدهم ومساعدتهم لمن انتسب من الثوار إلى ذرية على بن أبي طالب لما لهم من مكانة في نفوس سكان المغرب مما ساعد على انقسام هذه الدول بين ثراثها ثم سقوطها، إذ أن تقسيم أفريقيا بين عرب رياح وسليم أدى إلى انقسام الدولة الحفصية في عام ١٢٨٤هـ/١٢٨٥م إلى قسمين قسم شرقي عاصمه تونس يدعم بمحالفة عرب سليم المستقرين في المنطقة من المعتدة من قابس إلى بونة ونقطة غرباً وقسم غربي عاصمه بجاية يحظى بمحالفة عرب رياح المستقرين بالجانب الغربي بمنواحي قبرصية وأدى الصراع بينهما إلى ثورات العرب المتعددة وقيام الأسر القوية بتأسيس إمارات لهم تنعم بالحكم الذاتي بفضل موقعها المنعزل واعترفت بالإسم لا

بالفعل بسلطان الدولة الحفصية فكانت هذه الإمارات بمذابة جمهوريات صغيرة يحكمها مجالس من الأعيان العرب أو يلي أمرها أسر عربية من ذوى القفوذ العريض.

ولقد حاربت هذه الإمارات الحفصية طوال القرن اللامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى تعاونها القبائل العربية المستقرة حولها. كذلك عادت قبائل الشعالية وبعض عرب ذوى عبد الله من المعقل ومحصين وسoid من زغبة ردوة بذى عبد الواد بسبب ما كان لبعضهم من وضع متميز مع المرحدين حرموا منه بانهيار دولتهم.

وفي المغرب الأقصى استغلت القبائل العربية ضعف قبضة الدولة المرinية على أطرافها واستقلت بأوطانها ببلاد الهبط وتمستا وقادلة والسواء.

وتحتيبة لانتشار القبائل العربية بال المغرب وتعدد مواطن استقرارها فى جميع أنحاء البلاد امتنجت بقبائل للبرير وصاهرتها مما أدى إلى تطور مفاهيم القبلية العربية بال المغرب فيما يختص بالعلاقة الذى تربط الرجل بالمرأة والزواج والخلف والجوار والشعر والغاء والزنى ورحلة الشفاء والصيف ومساكنهم وطعامهم وإختيارهم لشيخ القبيلة ومساعديه من وزراء ووكلاء وكتاب وغيرهم، وتأثرهم فيما يختص بالمعتقدات والعادات وتأثر تقافتهم بطريقة التعليم فى المغرب لحاجة القبيلة المستمرة إلى الرئيس والوزير والوكيل والكاتب والمتنى لمساعدة زعيمها فى حكم القبيلة متأثرة فى ذلك بما شاع فى الجاهلية بشبه الجزيرة العربية وبطريقة حياة القبيلة البربرية ببلاد المغرب وبما أصنافه الإسلام من قيم تربوية جديدة.

فإلى جانب المظاهر الدنبوى الصاخب للقبيلة العربية ببلاد المغرب كان هناك مظاهر آخر في حياة بعض رؤسائها وأفرادها الذين كرسوا حياتهم على عمل الخير ونشر العلم والدين وإقامة الزوايا والروابط والمساجد في مختلف أنحاء المغرب، ويلاحظ أن هذه النزاعات الصوفية الإصلاحية لم تثبت أن أخذت تزداد انتشاراً بمرور الوقت بين القبائل العربية فبعد أن كانت في بداية الأمر قاصرة على بعض أفراد القبيلة وأهليهم ومربيهم إذ بها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي تشمل رئيس القبيلة ومعه قبيلاته التي تعاهده على اتباع طريقته ونحلته.

وتشير هذه النزاعات الصوفية الإصلاحية في اهتمام العرب بركب الحجيج من المغرب إلى مصر إذ يرافقه كثير من زعماء القبائل العربية سواء لقضاء فريضة الحج أو مصاحبة إحدى أميرات الدولة خصوصها زوجات الخلفاء العرب أو القيام بحماية الركب على طول امتداد بلاد المغرب لمروره في مناطق استقرار القبائل العربية وكثيراً ما انضم إلى الركب من يزيد من زعماء هذه القبائل على طول الطريق.

كذلك تظهر هذه النزاعات الإصلاحية في قيام هذه القبائل بالمساهمة في تغريب المغرب ونشر الثقافة العربية ببلاد السودان لسيطرتها على طرق التجارة من شمال أفريقيا والمغرب إلى موريتانيا وإلى الهدوب.

ولقد شاركت هذه القبائل في التواهي الإدارية والعسكرية ببلاد المغرب إذ أنشأت إمارات قوية في عصرى الموحدين والحنفيين وبذى مرين ومدح الشعراة والكتاب أمراءها الذين نجحوا في إدارتها فأضافت الدولة إليهم مزيداً من الإقطاعيات لإدارتها واصنفت لإنفارهم على ما بأيديهم بمرسوم

صادر من السلطان بالتقليد والخلع كما أستدلت للدولة الحفصية إلى بعض أمراء العرب وظائفها الإدارية مثل جباية ديوان البحر بتونس وجباية سائر الأعمال التونسية كما أستدلت وظائف القضاة والفتيا إلى العلماء من هذه القبائل خصوصاً في المدن التي تسيطر القبائل العربية على نواحيها وزدادت مكانة شيوخ القبائل العربية خلال سيطرة الدولة المربيبة على جميع بلاد المغرب حتى عين أبو عنان المريني، يوسف بن ملصور والي بكمون والزاب في طبقات وزرائه وتصدروا المجالس السلطانية وأصبحوا ضمن أهل الشورة وأنضم بعضهم إلى مجلس منادمه في خلوته كما لختار السلطان منهم بعض وزرائه وسفرائه إلى جيرانه من الملك.

أما عن دورهم في النواحي العسكرية فنظراً لحبهم للقتال اهتمت القبائل العربية بأسلحتها من النوع الخفيف الذي ينلائم مع حياة الترحال التي يعيشونها وأهمها السيف والرمح والترس والسمم والجلدية والخدر وأحسروا استخدامها حتى شكلت الدولة المربيبة منهم فرقة رماة القوى العربية تستعين بها في حروبها بجانب الأسلحة التقليدية التي اضطربت القبائل إلى استخدامها في ظروف خاصة مثل المنجنيق خلال حصارهم لمدحهم والدروع البيض والدرق اللطمية والقسى الخطمية خلال حروبهم المقدسة بالأندلس.

واعتمدت هذه القبائل في حروبها على الكر والفر وينفذ أمامهم شاعر القبيلة يحرضهم على القتال وتتأثرت القبائل البربرية بهم وحدث حذوه في المغرب. كما انحدروا الرأيات والطبول التي اقتصرت في الدولة المرحادية والمربيبة على رأية صغيرة وطنيل صغير أيام العرب فقط وزادت في للدولة الحفصية إلى أعلام من الكنان البيض تمتاز بها القبيلة.

أما مكانتهم في الجيوش المغربية فإلى جانب وجودهم في الجيش النظامي للدولة الموحدية وإنما لهم في ديوان العطاء فقد كان يعتمد على القبائل العربية بأفريقيا عند نشوب الحرب فتستدعيهم الدولة في الوقت المناسب. ويخرج الخليفة بنفسه لتفقد قواتهم في إحتفال مهم يعرف بالتميز وكانوا يتميزون في الأداءات والمرتبات. فرسانا ورجاله - على التوحيدين وغيرهم من الجند - وزادت هذه المكانة في الجيش المريني لتزوج معظم أمراء الدولة المرينية من النساء العربيات واستخدامهم لأحوالهم من العرب في الحجابة والكتابة لزعماهم في قيادة الجيوش للقضاء على الثورات الداخلية بالدولة ولا يستبعد حصولهم على نصيب الأسد من المقررات والمرتبات المخصصة للجند.

ولقد أثرت هذه الحياة الاقتصادية المغربية تأثيراً واضحاً إذ نقلوا إلى المغرب خبرتهم الطويلة في تنمية الثروة الحيوانية والتدخل الصناعي في توليد الأعوام وتكثيرها وانتخاب الأنواع الأصلية منها، حتى اشتهرت المنطقة الممتدة من برقه وحتى تلمسان بتربية الخيول، العناق، الأحصاف المقدرة عدد الأعراب وتأثرت بعض القبائل الزناتية بخبرة القبائل العربية في هذا المضمار فأخذوا عنهم تربية الخيول وتحسين أنسابها ظهرت الخيول الفازية في منطقة تادلا والخيول المحمدية في قبائل غمار، مما أدى إلى ازدهار تربية الخيول ببلاد المغرب، وأصبحت الخيول العربية الهدية المملوكية المفضلة بين ملوك بلاد المغرب والأندلس ومصر.

وصلت محل الهدايا من الإبل، كما استندت إليهم كل من دولة بلى عبد للوال والدولة المرينية إدارة مزروعهم وتربية أنعامهم فقام عرب بنى صبيح من سيد يدارتها الانفراد بها حتى أصبحت متراة فيهم حتى آخر الدولة

المرينية وакبر دليل على نجاحهم في إدارة هذه المراعي وتربية الأنعام اطلاق لفظ «المريني» على أجرد أنواع الغنم.

كذلك ساهموا في الزراعة والفلحة ونجحوا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي في إعادة تعمير المنطقة المعذدة من برقة إلى طرابلس وزراعتها حتى تشتهر فراها بأنواع خاصة من المحاصيل كسفرجل قرية تاجورة بوطن حرب الجواري . كذلك اشتهرت إمارات الجريد والتزاب العربية بتنوع انتاجها من الشمار وانتشار الصناعة في بعض مدنها وأعتمادها بصفة رئيسية على زراعة التحريك وتصنيعه كما ساهم من اندماج من هذه القبائل في الحياة الاقتصادية بالبلاد.

ولقد سيطرت القبائل العربية على طرق التجارة الداخلية فلا يجناها غيرهم إلا بخفة أحدهم ووسعوا نطاق هذه التجارة بين التل والصحراء وأحتكروا تعبين بعض المدن الأفريقية مقابل توزيعهم لمنتجاتهم ، مثال ذلك توزيع المرجان المستخرج من مرسى الخرز .

كما سيطروا على التجارة الخارجية خصوصا مع بلاد السودان ومصر فاحتكروا استخراج الملح سواء في أفريقيا أو المغرب وأمدوا به بلاد السودان وصدروا لمصر الخيول والأغنام كما اشتهروا بتصدير نوع من الملح يستعمل كثير من العقاقير إلى المملكة المسيحية .

المصادر العربية المخطوطة

لين منكلي (الأمير محمد)

التدبرات السلطانية في القرن الحربي بدون تاريخ
مكتبة اسكندرية رقم ١١٤٧ بـ.

القادرى (محمد بن على)

الدواوين الشريفة في تحقيق محن الخليفة ، مكتبة
اسكندرية ٢٨٦١ ج بدون تاريخ.

القاضى (أحمد بن عبد الله) (ت ١٤١٨/٨٢١)

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان . معهد
إحياء المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية
(ميكروفيلم رقم ٣٨١)

الكرمى (مرعى بن يوسف)

نزهة الناظر فيمن ولى مصر من الخلفاء والسلطين.
مكتبة اسكندرية ١٤١٦ ج بدون تاريخ.

الذيرى (محمد بن قاسم المسكنى)

الإمام بما قضنت به الأحكام المقضية في وقعة
اسكندرية. نسخ مصورة من مخطوطات الهدى بمكتبة
بكلية الأدب ج اسكندرية رقم ٧٣٨ .

المصادر والمراجع

- ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (١٢٦٠ هـ / ٥٨٥ م) المقتضب من كتاب تحفة القادم . نشر إبراهيم الإباري ، القاهرة ١٩٥٧
- الحلة السبراء جزءان نشر د/ حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ابن الأثير: أبو الحسن بن علي بن محمد بن أبي الكرم الجزارى (ت ١٢٣٢ هـ / ٦٣٠ م)
- أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة ١٢٨٠ هـ)
- الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٠٣ هـ
- ابن إياس: بداع الزهور في وقائع الدهور (طبع بولاق ١٣١٢).
- ابن الأحمر: أبو الوليد بن الأحمر (ت ١٤٠٧ هـ / ٨١٠ م)
- روضۃ الدُّسُرِین فی دُوَلَةِ بَلْ مَرِین
نشر عبد الوهاب منصور (الرياط ١٩٦٢)
- ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (أربع أجزاء مصر ١٩٣٩)
- ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (٩٠ هـ / ١٣٨٠ م) د. دورة الأرض (ليدن ١٩٣٨)
- ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (٧٧٦ / ١٣٧٤ م)

أعمال الاعلام فيمن بوضع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام
 (الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصفلية نشر مختار العبادي
 . وابراهيم الكهانى (الدار البيضاء ١٩٦٤).

ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت ١٩٥٦-١٩٥٨)
 مقدمة ابن خلدون (المكتبة التجارية القاهرة).

ابن حلكان: وفيات الأعيان (مصر ١٩٤٨ تحقيق محي الدين عبد الحميد
 خمسة أجزاء.

ابن عبد ربه: العقد الفريد (مصر ١٩٥٣) تحقيق العريان في ثمانية أجزاء.
 ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها (نشر ماسية القاهرة ١٩١٤)

الإدريسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت ٥٤٨/١١٥٤) المغرب
 وأرض السودان ومصر والأندلس.

الأندلسي: محمد بن محمد الأندلسي ، (ت ١١٤٩/١٧٣٦)
 الحل السنديبة في الأخبار التونسية ج ١ تحقيق محمد الحبيب
 الهيلة ، تونس ١٩٧٠.

القيباغ : (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصاري ت ٦٩٦/١٢٩٧)
 معالم الإيمان في معرفة أهل القبور. تحقيق ابراهيم شبوح
 تونس ١٩٦٨.

ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعبي

القيروانى ت أواخر القرن الحادى عشر / السابع عشر الميلادى
المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس . تحقيق محمد شمام عام
١٩٦٧ .

موده الكاشف: مصر فى فجر الإسلام (القاهرة ١٩٤٧)

الميد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير القاهرة ١٩٦٦ .

شغیر (نعمون) تاريخ السودان القديم والحديث دار
ال المعارف .

عمار عباس المدخل الشرقي لمصر (المعهد الفرنسي
القاهرة ١٩٤٩) .

موضن محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله (ط ثانية القاهرة ١٩٥٦)

- Abun-Nasr, J.:
A history of the maghreb. London. 1975.
- Arkell.
A history of the Sudan. London. 1955.
- Bel, A. *Le region Masulmane en Berberie.* Paris. 1938.
- Brunschvign, R.
La tunisie dans le Haut moryen age, Le cairo 1948.
- Faurel, H. *Les Berberes, Etude sur conquête de L'Afrique par les Arabes,* vols. 1,2. paris 1875.
- Hill, D.
Islamic Architecture in north Africa. London 1976.
- Mac-Michael (cambridge 1912) *the tribes of northern and central Kordofan.*

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٦	باب الأول: ليبيا
٧	الفصل الأول: ليبيا من الفتح العربي إلى العهد المرحدى
٥٢	الفصل الثاني: ليبيا من العهد العثماني إلى الاستقلال
٧٧	الفصل الثالث: الدور الحضاري الليبي
٩١	باب الثاني: أفريقيا (تونس)
٩٢	الفصل الأول: أفريقيا من الفتح العربي حتى قيام دولة الأغالبية
١١٣	الفصل الثاني: أفريقيا من عهد الأغالبية حتى الاستقلال
١٣٩	باب الثالث: المغرب الأوسط (الجزائر)
١٤٠	الفصل الأول: الجزائر منذ الفتح العربي حتى دولة بنى عبد الواد
١٦١	الفصل الثاني: الجزائر من العهد العثماني حتى الاستقلال
١٨٧	الفصل الثالث: المجتمع الجزائري

١٩٧	باب الرابع: المغرب الأقصى
١٩٨	المغرب الأقصى منذ الفتح العربي إلى قيام المملكة المغربية
٢٠٤	باب الخامس: سوريا
٢٠٥	سوريا منذ الفتح العربي حتى قيام الجمهورية
٢٨٤	باب السادس: السودان
٢٨٥	السودان من الفتح العربي إلى الاستقلال
٣١٢	الخاتمة
٣٢٢	المصادر العربية المخطوطة
٣٢٣	المصادر والمراجع
٣٢٦	المراجع الأجنبية
٣٢٧	الفهرس

sharif mahmoud

